

# جوهرة خط العرب

في عصور العرب في الزاهرة

الجزء الأول

العصر الحجري  
عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان



# تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابقة ، وآلائك الضافية ، وأصلى وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فلا مراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها ما جباهم الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم ، وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنما لتعدّ - بعد القرآن الكريم والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويمًا يحتذيه المتأدب في تقويم قلمه المعوجّ ، وشحنّ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك ممين فيأض يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة منشورة في كتب الأدب والتاريخ ، لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة الخطابة في عصر

من المصور ، أو تترجم نخطيب من خطباء العربية ، ألفت الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفتت وقتنا مديداً في التنقيب عن خطبه في بطون الأسفار ، بله ما يعترضك من مشاق في تحرير ألفاظها ، وتحقيق عباراتها ، لما نالها من عبث النساخ والطباع ، من التصحيف والتحريف الذي ينبهم معه معناها ، ويستغلق به تفهمها .

كل أولئك حدّا بي أن أعبد السبيل لشدة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس ، الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله العذبة ، فلا يكادون يسيغونها ، ويصبون إلى اجتناء ثماره الشهية ، فتحول دونها الأشواك ، وفيهم من درس اللغات الإفرنجية ، وتزود من أفكار الغربيين وآرائهم بقسط وفير ، ولكنه تعوزه جزالة اللفظ ، وريانة الأسلوب .

استخرت الله ، فجمعت كل ما أثر عن العرب في عصور العربية الزاهرة ، من خطب ووصايا من مظانها - على قدر ما هداني إليه اطلاعي - وضمنت إليها ما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء ، من حوار ومجاوبة ، أو جدال ومناظرة ، مما يدخل في باب الخطب ، وينتظم في سلكها ، وأودعتها ذلك السفر كي يكون لها ديوانا جامعا ، ومرجعا عاما ، يسهل مراجعتها فيه ، وسميته : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة .

وبوّته أربعة أبواب في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : ويحوى الباب الأول في خطب الجاهلية ، والباب الثاني في خطب صدر الإسلام .

الجزء الثاني : ويحوى الباب الثالث : في خطب العصر الأموي .

الجزء الثالث : ويحوى الباب الرابع : في خطب العصر العباسي الأول ، وذيل الجمهرة ، في خطب متفرقة .

وإذ كان الشريف الرضى رحمه الله قد أفرد خطب الإمام على كرم الله وجهه بمؤلف خاص ، وهو : « نهج البلاغة » والإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، قد جمع في مؤلفه : « بلاغات النساء » طائفة قيِّمة من كلام بليغات النساء ، وطرائف أقوالهن . رأيت أن نقل ما ورد في هذين السفرين الجليلين بحذاء غيره ، ليس على الحقيقة إلا ضمهما إلى كتابي ، وتضخيمه بهما ، ولذلك اجتزأت بإيراد جملة صالحة مما جاء فيهما ، مما استدعاه المقام .

ولم أقصر على إيراد الخطبة بإحدى الروايات الواردة فيها ، بل عُنيت بالتوفيق بين الروايات المختلفة ، وإتمام بعضها من بعض ، لما في ذلك من زيادة الفائدة للقارئ ، فإذا ما رأيت الخطبة مروية بصورتين يتبين فيهما الاختلاف ، أوردت الصورتين جميعاً .

وقد ضبطت ألفاظها ضبطاً وافياً ، وعقبت كل خطبة بذكر مصادرها التي نقلتها عنها ، كما ذيلتها بشرح يفسر غريب ألفاظها ، ويحلّ مستغلق كلماتها ، وأوردت فيه كل ما تمس إليه الحاجة في فهمها ، من نُبذ تاريخية توضح المقامات التي أقيت فيها ، إلى ما هنالك .

ولست أستطيع أن أصور للقارئ مقدار ما عانيت من المتاعب في ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها الصحيحة ، بعد تقليبها على كل وجه ممكن ، حتى تخلص من شوائب التشويه الشائن ، الفاشي في كتب الأدب والتاريخ .

وإني أقدم كتابي هذا إلى أبناء العربية الشريفة ، وفاء بما لها في عنقي من حق واجب ، وصنيعة مشكورة ، وافقه أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، وأن ينفع به النفع المرجو منه ، وأن يمدني بروح منه ؛ ويظلني بظلال الصحة

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،  
وهو كتاب : « جبهة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة »

كي تكمل حلقة النثر العربي في تلك العصور ، إنه المستعان ، عليه توكلت  
وإليه أنيب .

أحمد زكي صفوت

حرر بالقاهرة في { ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ  
يوليو سنة ١٩٣٣ هـ



## فهرس

### مآخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى لأبي عليّ القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى لأبي الفرج الأصبهانى : » الرابع - السابع - الثامن - الحادى
- عشر - الرابع عشر - الخامس عشر :
- صبح الأعشى لأبي العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى
- نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى : » الثالث - الخامس - السابع
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل لأبي العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
- العقد الفريد لابن عبد ربه : » » - الثانى - الثالث
- زهر الآداب لأبي إسحق الحضرى : » » :
- البيان والتبيين للجاحظ : » » - الثانى - الثالث
- نهج البلاغة للشريف الرضى : » » :
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
- أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى
- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميدانى : » - » » :
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري : » - » » :
- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى : » » :

- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -  
ابن جرير الطبري : السادس  
تاريخ الكامل لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث  
مروج الذهب للمسعودي : » » - الثاني  
الإمامة والسياسة لابن قتيبة : » »  
المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء : » »  
معجم البلدان لياقوت الحموي : » الثامن  
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام : » الأول - الثاني  
السيرة الحلبية لابن برهان الدين الحلبي : » »  
إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني :  
بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور :  
شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون :  
لابن نباتة المصري :  
أبناء نجباء الأبناء لابن ظفر المسكي :  
المحاسن والأضداد للجاحظ :  
الشعر والشعراء لابن قتيبة :  
شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون :  
بلوغ الأرب للسيد محمود شكري : الجزء الأول - الثالث  
الألوسی :  
مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح :



# الباب الأول

## الخطب والوصايا

في

### العصر الجاهلي

الخطب

### إصلاح مرثد الخير

بين سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْمَنِ بْنِ مَثُوبٍ

كان مرثد الخليل بن ينكف قتيلا ، وكان حدبًا على عشيرته ، محبًا لصلاحهم ، وكان سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ (١) وميمم بن مَثُوبِ بْنِ ذِي رُعَيْنِ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حبيهما شر ، فبتفاني جذماهما (٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

(١) أخو علس ، وعلس هو ذو جدن .

(٢) الجذم : الأصل وكذا الجذر .

## ١ - مقال مرشد الخير

إِنَّ التَّخْبِطَ<sup>(١)</sup> وَأَمْتِطَاءَ الْمَجَاجِ<sup>(٢)</sup> ، وَأُسْتِحْقَابَ<sup>(٣)</sup> اللَّجَاجِ ، سَيَقْفُكُمَا  
 عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا<sup>(٤)</sup> بَوَارِ الْأَصِيلَةِ<sup>(٥)</sup> ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاوِيَا أَمْرَكُمَا  
 قَبْلَ أَنْتِكَاثِ<sup>(٦)</sup> الْعَهْدِ ، وَانْحِلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْتِثِ الْأَلْفَةَ ، وَتَبَايُنِ الشَّهْمَةِ<sup>(٧)</sup> ،  
 وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةِ رَافِيهِ<sup>(٨)</sup> ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ<sup>(٩)</sup> ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِبَةٍ<sup>(١٠)</sup> ، وَالْبُقْيَا  
 مُعْرِضَةٍ<sup>(١١)</sup> ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ عَصَى  
 النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَضْفَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آَلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ  
 سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ<sup>(١٢)</sup> أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاوَفُوا الْقَرْحَةَ<sup>(١٣)</sup> قَبْلَ  
 تَفَاقُمِ الثَّأِي<sup>(١٤)</sup> ، وَأَسْتِفْحَالِ<sup>(١٥)</sup> الدَّاءِ ، وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِيكَتِ  
 الدَّمَاءُ ، أَسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ<sup>(١٦)</sup> عُرَى  
 الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ<sup>(١٧)</sup> الْبَلَاءُ .

- (١) التخبيط : ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة ، أو السير على غير هدى . (٢) ركب فلان هجاج (غير مصروف) ، ووهاج مبنيا على الكسر : أى ركب رأسه . (٣) الاستحقاب : استعمال من الحقيية أو من الحقاب ، فأما الحقيية ، فإي يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : يريم تشد به المرأة وسطها (واليريم خيط فيه لونان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم بالهجاج أو جملة في وعائه . (٤) التورود : الإشراف على المساء وغيره ، دخله أو لم يدخله . (٥) الأصل . (٦) انتقاض : (والأنكاث جمع نكث ، وهو مانقض من الحبال ليعاد ثانية) . (٧) القرابة . (٨) ناعمة من الرفاهية . (٩) ثابتة . (١٠) متصلة . (١١) ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال قد أعرض لك الظى فارمه ، أى أمكنتك من عرضه . (١٢) عاقبة . (١٣) الجرح . (١٤) السعى والمثاى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . (١٥) اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفحل . (١٦) تقطعت . (١٧) من باب فرح ونصر .

## ٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ <sup>(١)</sup> لَا تُبْرِئُهَا إِلَّا سَاءَةُ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَشْفِيهَا  
الرِّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ <sup>(٣)</sup> بِهَا الْكِفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ  
عَلِمَ بَنُو آيِنَانَا هَوْلَاءَ ، أَنَا لَهُمْ رِدَاءٌ <sup>(٤)</sup> إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا أَجْدَبُوا ، وَعَصْدٌ  
إِذَا حَارَبُوا ، وَمَمْرُغٌ إِذَا نُكِبُوا ، وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :  
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُوْنَا وَأُمَّنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِيْنَ أُمَّ وَلَا أَبُ

## ٣ - مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مَيْثَمُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّعَامَةَ ، وَجَدَّ بِهِ <sup>(٥)</sup> فِي الْمَقَامَةِ <sup>(٦)</sup> ،  
وَاسْتَكْتَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكِرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا <sup>(٧)</sup> بِالْمَلَامَةِ ، وَمَوْئِبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ،  
وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بِيَدٍ إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً  
إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا يَتَفَقَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا  
بِشَرِّهَا <sup>(٨)</sup> ، وَنَحْنُ بَنُو فَخْلِ مُقَرَّمٍ <sup>(٩)</sup> ، لَمْ نَقْعُدْ بِنَا الْأُمَهَاتُ وَلَا بِهِمْ ،  
وَلَمْ نَنْزِعْنَا أَعْرَانُ الشُّوءِ وَلَا إِيَّاهُمْ ، فَعَلَامَ مَطَّ <sup>(١٠)</sup> الْخُلْدُودِ ، وَخَزَرُ الْعَيْونِ <sup>(١١)</sup>

(١) العلة: الضرة ، وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، ( والأخفاف : من أهمهم واحدة  
والآباء شتى ) . (٢) جمع آس ، وهو الطيب . (٣) تمض بها وتحملها . (٤) عون .  
(٥) عابه . (٦) المجلس . (٧) خليقا . (٨) مثلها . (٩) القرم : السيد ، وأقرمه :  
جملة قرما . (١٠) مد . (١١) الخزر أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليشتخزلني :  
إذا نظر إليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .

وَالْجَنيفُ<sup>(١)</sup> وَالْتَصَعْرُ ، وَالْبَأُو وَالْتَكْبُرُ ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِعُطُولِ  
مُعْتَقَدٍ<sup>(٢)</sup> ؟ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي<sup>(٣)</sup>  
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ<sup>(٤)</sup> ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ  
وَعَفِيرَةٌ<sup>(٥)</sup> .

### ع — مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ :

لَا تُنْشِطُوا<sup>(٦)</sup> عُقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا تُؤَثِّرُوا<sup>(٨)</sup>  
نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمُتَلَفَةُ الْمُسْتَأْصِلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ<sup>(٩)</sup> وَالْأَلِيلَةُ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَفْوًا بِالْحَلْمِ ،  
أَبْلَادَ<sup>(١١)</sup> الْكَلْمِ ، وَأَنْيَبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ  
تُقْبِلُ بِزَبْرِجٍ<sup>(١٢)</sup> الْفُرُورِ ، وَتُدْبِرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بَذَلِي نَصِيحَةً حَبَوْتُ بِهَا مَنِي سُدَيْعًا وَمِيمًا  
وَقَلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقَلِّ جُرْهُمَا  
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ<sup>(١٣)</sup> أَنْ تَهْدَمَا  
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُهُ عَلَيْكُمَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشْمَا

(١) التكبر ، وكذا البأو . (٢) اعتقد ضيعة ومالا : اقتناها . (٣) لاه : أراد الله ، فحذف اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزوني : تسوسني . (٤) مهلكة . (٥) مسارة وغفران . (٦) نشط العقدة : عقدها ، وأنشطها حلها ، والعقل ككتب جمع عقال ، وهو الحيل . (٧) هو مثل ، وأصله في الإبل ، يقال : لقحت الناقة إذا حملت ، وألقحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عون ، وهي الثيب . يقال للحرب عون إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة (٨) تذكروا . (٩) الاستئصال . (١٠) الكتل . (١١) الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالندوب جمع نذب) . (١٢) السحاب الذي تشغره الريح والزينة . (١٣) الثابتة .

فإنَّ جُنَاةَ الحَرْبِ لِلْحَيِّنِ عُرْضَةٌ تُفَوِّقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافَ الْمُقَشَّاءَ (١)  
حَدَارٍ ، فَلَا تَسْتَنْبِئُوهَا ، فَإِنَّهَا تَعَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمَّ مُكَشَّاءَ (٢)  
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبِلُ نَصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَةَ (٣) ،  
وَنَحُلُّ الضَّغَانِ ، وَنُثَوِبُ إِلَى السَّلْمِ . (الأمالي ١ : ٩٢)

## ه - طريف بن العاصي والحريث بن ذبيان يتفاخران

عند بعض مقاول حمير

أَجْتَمَعَ طَرِيفُ بِنِ الْعَاصِي أَلْدَوْسِيُّ ، وَالْحَرِيثُ بِنِ ذُبْيَانَ - وَهُوَ أَحَدُ الْمَعْمَرِينَ -  
عِنْدَ بَعْضِ مَقَاوِلِ (٤) حَمِيرٍ ، فَتَفَاخَرَا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْحَرِيثِ : يَا حَارِثُ ! أَلَا تَخْبِرُنِي بِالسَّبَبِ  
الَّذِي أَخْرَجَكَ عَنْ قَوْمِكَ حَتَّى لِحِقَمِ بِنْتِ عُمَانَ ؟ فَقَالَ : أَخْبَرْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . خَرَجَ  
هَجِينَانُ (٥) مِنْ بَرِّ عِيَانَ غَمًّا لهُمَا ، فَتَشَاوَلَا (٦) بِسَيْفَيْهِمَا ، فَأَصَابَ صَاحِبُهُمْ عَقِبَ صَاحِبِنَا ،  
فَعَاثَ (٧) فِيهِ السَّيْفُ ، فَزُفِرَ (٨) ، فَمَاتَ ، فَسَأَلُونَا أَخْذَ دِيَةِ صَاحِبِنَا دِيَةَ الْهَجِينِ ، وَهِيَ  
نِصْفُ دِيَةِ الصَّرِيحِ (٩) ، فَأَبَى قَوْمِي ، وَكَانَ لَنَا رِبَابًا (١٠) عَلَيْهِمْ ، فَأَبَيْنَا إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيحِ ،  
وَأَبَوْنَا إِلَّا دِيَةَ الْهَجِينِ ، فَكَانَ أَسْمُ هَجِينِنَا ذُهَيْنَ بِنِ زَبْرَاءَ ، وَأَسْمُ صَاحِبِهِمْ عَنَقَشَ بِنِ  
مُهَيَّرَةَ ، وَهِيَ سُودَاءُ أَيْضًا (١١) ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرَ بَيْنَ الْحَيِّينِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهَا :

(١) تفوقهم : تسقيهم الفوق بالضم (وهو ما بين الحلبتين) والذعاف : الدم ، أو سم ساعة (وسم ذعاف)  
والمقشم : المخلوط . (٢) هو مثل : أي لا تخرجوا نبيثها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت : يريد  
لا تثيروا الحرب ، ومكشما : مقطوعا . (٣) المداوة والشحناء . (٤) جمع مقول ، والمقول والقليل  
هو الذي دون الملك الأعظم . (٥) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرف :  
الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) . (٦) تضاربا . (٧) أفسد . (٨) نزع الرجل إذا  
سال دمه حتى يضعف . (٩) الصريح : الخالص النسب . (١٠) زيادة . (١١) كذا في الأصل ،  
ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، فلعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » .

حُلُومَكُمُ يَا قَوْمَ لَا تَغْزِبْنِيَّ<sup>(١)</sup> وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُم بِالْتِدَابُرِ  
وَأَدُّوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تَرْهَقُوا سُبَّةَ فِي الْعَشَائِرِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنَّ ابْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي قَادَ لَمْ يَكُنْ بَدُونَ خُلَيْفٍ أَوْ أُسَيْدِ بْنِ جَابِرٍ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنَّ لَمْ تَعَاطُوا الْحَقَّ فَالسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَالسَيْفُ أَجُورُ جَابِرٍ  
فَتَظْفَرُوا<sup>(٤)</sup> عَلَيْنَا حَسِداً ، فَاجْمَعِ ذُووُ الْحِجْجِي مَنْ أُنْ نَلْحَقُ بِأَمْنِ بَطْنِ مِنَ الْأَزْدِ ،  
فَلَمَحْنَا بِالنَّمْرِ بْنِ عَثْمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَّ<sup>(٥)</sup> فِي أَعْضَادِنَا ، فَأَبْنَا عَنْهُمْ ، وَلَقَدْ أَثَارْنَا<sup>(٦)</sup>  
صَاحِبَنَا وَهُمْ رَاغِمُونَ .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :  
تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَوْلَا أَمْعَدَ مِنْ صَوَابٍ ، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ خَطَلٍ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا أَجْلَبَ  
لَقَدَّعَ<sup>(٨)</sup> مِنْ قَوْلِ هَذَا ؛ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا قَتَلُوا بِهِجِينِهِمْ بَدَجًا<sup>(٩)</sup> ، وَلَا رَقُوا بِهِ دَرَجًا ،  
وَلَا أَنْطُوا<sup>(١٠)</sup> بِهِ عَقْلًا ، وَلَا اجْتَفَتْ<sup>(١١)</sup> بِهِ خَشَلًا<sup>(١٢)</sup> ، وَلَقَدْ أَخْرَجَهُمُ الْخُوفُ عَنْ أَصْلِهِمْ ،  
وَأَجْلَامَ عَنْ مَحَلِّهِمْ ، حَتَّى اسْتَلَانُوا خَشُونَةَ الْإِزْجَاجِ ، وَاجْتَوَا إِلَى أَضِيقِ الْوِلَاجِ<sup>(١٣)</sup> :  
فَلَا وَذُلًا .

فقال الحرث : أَسْمِعْ يَا طَرِيفُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا إِخْلَاكَ كَأَفَا غَرْبِ<sup>(١٤)</sup> لِسَانِكَ ،  
وَلَا مُنْهِنِيَّ<sup>(١٥)</sup> شِرَّةَ نَزْوَانِكَ ، حَتَّى اسْطَوَ بِكَ سَطْوَةٌ تَسْكُفُ طِمَاحَكَ ، وَتَرْدُ

(١) لا تبعذنها - وأعزب : بعد وأبعد . (٢) العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت دية ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جنائيه . وأرهقته عمرا : كلفته ذلك . (٣) فاد يفود : مات ( وفاد يفيد : يبختر ) . (٤) تظاهروا . (٥) أوهن وأضعف . (٦) أثارت : أدركت منه ثأري ( وأصله اثتار ) . (٧) خطأ . (٨) الكلام القبيح ، أفذع له إذا أسمه كلاما قبيحا . (٩) البذج : الحروف ، فارسي مرعب . (١٠) لغة في أعطوا . (١١) صرعوا . (١٢) الخشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد أنهم لم يتألموا ثأره . (١٣) الولاغ الباب ، وجمعه الولاغ ، وهي أيضا النواحي والأزقة . (١٤) غرب الشيء : حده . (١٥) نهته عن الأمر فنهته : كفه وزجره فكف ، والشرة : الحدة ، والنزوان : الوثوب .

جَاحِك ، وَتَكْمَيْتِ تَبْرُكُكَ<sup>(١)</sup> ، وَتَقَمَّعَ تَسْرُعَكَ .

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تَعْرِضْ لِطُحْمَةِ<sup>(٢)</sup> اسْتِنَانِي ، وَذَرَبِ<sup>(٣)</sup> سِنَانِي ، وَغَرَبِ شَبَابِي ، وَمِيسِمِ<sup>(٤)</sup> سِبَابِي ، فَتَكُونَ كَالْأُظْلِ<sup>(٥)</sup> الْمَوْطُوءِ ، وَالْعَجَبِ الْمَوْجُوءِ<sup>(٦)</sup> .  
فقال الحرث : إياي تخاطب بمثل هذا القول ؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتِكَ<sup>(٧)</sup> ، وَلَوْ وَهَصْتِكَ<sup>(٨)</sup> لَأَوْهَطْتِكَ<sup>(٩)</sup> ، وَلَوْ نَفَحْتِكَ<sup>(١٠)</sup> لَأَفَدْتِكَ .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالْتَبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَابًا  
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْمَحْجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابُ<sup>(١١)</sup> الْمَنْصُوبَةُ ، لَنْ لَمْ تَرَبَّعْ كَلِي ظَلْعِكَ<sup>(١٢)</sup> ،  
وَتَقَفَ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدَعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلًا ، وَغَمْرَكَ ضَحْلًا<sup>(١٣)</sup> ، وَصَفَاكَ<sup>(١٤)</sup> وَحَلَا .  
فقال الحارث : أَمَا وَاللَّهِ لَوَرُمْتَ ذَلِكَ لَمُرُّغْتَ بِالْحَضِيضِ<sup>(١٥)</sup> ، وَأَغْصِصْتَ  
بِالْجَرِيضِ<sup>(١٦)</sup> ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْفَيْتَ لَقِي<sup>(١٧)</sup>

(١) التمرع إلى الشر . (٢) طحمة السيل دفعته ، واستن الفرس قص وعدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ، والاستنان : النشاط ، استن الفرس : جرى في نشاطه على سنه في جهة واحدة .  
(٣) الذرب : الحدة ، وكذا الغرب . (٤) المكواة . (٥) الأظل : أسفل خف البعير .  
(٦) العجب : أصل الذنب والموجوء : المدقوق ( من وجأ التيس : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما شيئا بالخضاء ) . (٧) أساخه : جمعه بيسخ ( أو يسوخ في الأرض ) أي يغوص . (٨) كسرتك .  
(٩) صرعتك صرعة لا تقوم منها . (١٠) نفضه بسيفه : تناوله . (١١) الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . (١٢) ربع يربع : كف ، وظلع ظلما غمز في مشيه ، وارباع على ظلعك أي إنك ضعيف فانه عما لا تطيقه وكف . (١٣) العمر : الماء الكثير ، والضحل : الماء القليل ( وكذا الضحضاح ) . (١٤) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .  
(١٥) أسفل الجبل . (١٦) الجريض . النصة من الجرض ، وهو الرقيق يغص به يقال جرض بريقه يجرض ابتلهه بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، يضررب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فرض حزنا حتى أشرف على الهلاك ، فرق له وقال انطق بما أحببت : فقال ذلك . (١٧) اللقي : الملقى المطروح .

تَهَادَاهِ الرُّوَامِسَ<sup>(١)</sup> . بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ<sup>(٢)</sup> .

فقال طريف : دون ما ناجتكَ به نفسك مُقَارَعَةٌ أَبْطَالٌ ، وَحِيَاضٌ أَهْوَالٌ ،  
وَخَفْزَةٌ<sup>(٣)</sup> إِعْجَالٌ ، يُمْنَعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْهَالِ .

فقال الملك : إِيهَا<sup>(٤)</sup> عَنكَمَا ! فَارَأَيْتَ كَأَيُّومٍ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا<sup>(٥)</sup> ، وَلَمْ  
يَثْلِبَا<sup>(٦)</sup> ، وَلَمْ يَلْصُوا<sup>(٧)</sup> ، وَلَمْ يَقْفُوا<sup>(٨)</sup> .  
(الأمالي ١ : ٧٣)

---

(١) الروامس : الرياح التي ترمس أي تدفن . (٢) المستوى من الأرض ، والطامس : الدارس  
( كالطاسم ) (٣) الحفز : الدفع . (٤) إيها : كلمة زجر بمعنى حسبك ( وإياه : أمر . كلمة  
استزادة واستنطاق) . (٥) لم يشتا . قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . (٦) ثلبه : عابه .  
(٧) لصاه : قذفه . (٨) قفاه : قذفه بأمر عظيم .



# وفود العرب

## يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابن كَأ كل أبناء المَقاول ، وكان مسروراً به يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبا به فوقه<sup>(١)</sup> ، فجزع عليه أبوه جزعاً شديداً ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يؤسونه<sup>(٢)</sup> ، وكان في القوم الملبب ابن عوف ، وجعاده بن أفلح ، فقام الملبب فقال :

### ٦ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع لثدنت ، ومُتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تحطأتك جَلَل<sup>(٣)</sup> ، ما لم تُدِن الأجل ، وتفض الأمل ، وإن حادثنا ألم بك ، فاستبد<sup>(٤)</sup> بأفلك ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تنأهت إليك أنباء من رزى فصبر ، وأصيب فاغتر ، إذ كان شوى<sup>(٥)</sup> فيما يرتقب ويحذر ، فاستشعر اليأس عما فات ، إذ كان ارتجاعه ممتنعاً ، ومرامه مستصعباً ، فليشء ما ضربت الأسي ، وفرع أولو الأبواب إلى حسن العزاء .

(١) وقص عتقه : كسرهما . (٢) أساء تأسية : عزاه ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان وفلان . (٣) الجلل : العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . (٤) البدة بالضم : النصيب ، واستبد به : جعله نصيبه . (٥) الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

## ٧ - خطبة جماعة بن أفلح

وقام جماعة فقال : « أيها الملك ، لا تُشِمْزْ قلبك الجزع على ما فات ، فَيَغْفَلَ دهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَنَاضِلْ عوارِضَ الحزن بالأُنْفَة عن مضاهاة<sup>(١)</sup> أفعال أهلِ وَهْيِ<sup>(٢)</sup> الْقُقُولِ ، فَإِنَّ العزاءَ لُحْزَمَاءَ الرِّجَالِ ، وَالجَزَعَ لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ<sup>(٣)</sup> ، ولو كَانَ الجَزَعُ يُرَدُّ فَائِتًا ، أَوْ يُجْبَى تَالِفًا ، لَكَانَ فِعْلًا دَنِيتًا ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَبْيَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَّا يَتَهافت<sup>(٤)</sup> فِيهِ الْأَرْدَلُونَ ، وَصَنْ قَدْرَكَ عَمَّا يَرِكِبُهُ الْمُخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ » .

(الأمالي ٢ : ١٠١)

## ٨ - تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني، وحممة بن رافع الدومي عند ملك من ملوك حمير، فقال : تساء لا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أيديك ؟ قال : عند ذى الرثية<sup>(٥)</sup> العديم ، وذى الخلة<sup>(٦)</sup> الكريم ، والمسر الغريم ، والمستضعف المظلم . قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي القوال . قال : فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحريرى الكاند<sup>(٧)</sup> ، والمستميد<sup>(٨)</sup> الحاسد ، والمُلْحِفُ الواجد . قال : فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا

(١) مشاكلة . (٢) ضعف . (٣) والحجال جمع حجلة (بفتحتين) ، وهى القبة وموضع يزين

بالثياب والستور للعروس . (٤) التهافت : التتابع . (٥) الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين

(الروما تزم) . (٦) الخلة الحاجة . (٧) الكاند : الذى يكفر النعمة ، والكنود الكفور : (إن

الإنسان لربه لكنود) . (٨) المستميد والمستمير : المستعطى .

مُنِعَ عَدْرَ ، وَإِذَا مُوْطِلَ صَبَرَ ، وَإِذَا قَدَّمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَشْرَةٌ ؟ قَالَ : مِنْ إِنْ قُرْبَ مَنَعَ ، وَإِنْ بَعُدَ مَدَحَ ، وَإِنْ ظَلِمَ صَفَحَ ، وَإِنْ ضَوِّقَ سَمِحَ ، قَالَ : مِنْ أَلَمِ النَّاسِ ؟ قَالَ : مِنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ ، وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ ، وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ<sup>(١)</sup> ، ظَاهِرُهُ جَشَعَ<sup>(٢)</sup> ، وَبَاطِنُهُ طَبَعَ<sup>(٣)</sup> . قَالَ : فَمَنْ أَحْلَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا قَدَرَ ، وَأَجْمَلَ إِذَا اتَّصَرَ ، وَلَمْ تُطْعَمِ عِزَّةَ الظَّفَرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ ، وَجَمَلَ الْعَوَاقِبَ نَصَبَ عَيْنِيهِ ، وَبَذَّ التَّهَيَّبَ دَبْرَ أُذُنِيهِ<sup>(٤)</sup> ، قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مِنْ رَكِبَ الْخِطَارَ<sup>(٥)</sup> ، وَاعْتَسَفَ<sup>(٦)</sup> الْعِثَارَ ، وَأَسْرَعَ فِي الْبِيدَارِ ، قَبِلَ الْاِقْتِدَارَ . قَالَ : فَمَنْ أَجْوَدَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ بَذَلَ الْمُجْهُودَ ، وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمُعْهُودِ . قَالَ : فَمَنْ أْبْلَغَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ جَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيزَ<sup>(٧)</sup> ، بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ ، وَطَبَّقَ<sup>(٨)</sup> الْمَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِيذِ . قَالَ : فَمَنْ أَنْعَمَ النَّاسَ عَيْشًا ؟ قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعِفَافِ ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ ، وَتَسَخَّطَ عَلَى الْقِسْمِ ، وَاسْتَشْعَرَ النَّدَمَ ، عَلَى فُوتِ مَا لَمْ يُحْتَمَمْ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ ؟ قَالَ : مَنْ اسْتَشْعَرَ الْيَاسَ ، وَأَبْدَى التَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ ، وَاسْتَكْتَفَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ ، وَلَمْ يَسْتَخْطِ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْكَمَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَدَّ كَرَّ ، وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْمًا ، وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .

(الأمالي ٢ : ٢٨٠)

## ٩ - خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية بن عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :

- (١) تقبض . تكنع جلده إذا تقبض أي مسك بنجيل . (٢) الجشع : أسوأ الحرص . (٣) الدنس . (٤) جعلت الشيء دبر أذني : إذا لم ألفت إليه . (٥) جمع خطر ، وهو الإشراف على المهلك . (٦) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . (٧) الصعب . (٨) التطبيق : أن يصيب السيف المفاصل فيفصلها لا يجاوزها .

« يا صمعة إنك جئت تشتري مني كبدى ، وأرحم ولدى عندى ، منعتك ، أو بعثك ،  
النكاح خير من الأئمة<sup>(١)</sup> ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ ،  
وقد أتكتحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفرّ من السر إلى العلانية ، أنصحُ ابنا ، وأودِعُ  
ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :

« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كرىمتكم ، على غير رغبة عنكم ،  
ولكن من خُطّ له شيء جاءه ، رب زارعٍ لنفسه حاصدٌ سواء ، ولولا قَسَمَ المَحْظُوظِ  
على قدر الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذى أرسل الحيا<sup>(٢)</sup> ،  
أثبت المرعى ، ثم قَسَمَهُ أَكْلا<sup>(٣)</sup> لكل فَمٍ بَقْلَةٌ ، ومن الماء جَرَعَةٌ ، إنكم تروُن  
ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ ذى قلب واعٍ<sup>(٤)</sup> ، ولكل شيء راعٍ ،  
ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسٌ وإما أحمقٌ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسه ،  
ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائباً إلا داعياً ، ولا غائماً  
إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُميتُ الناسَ الداءَ ، لأحيامُ الدواءَ ، فهل  
لكم فى العلم العليم ؟ قيل ما هو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً  
شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض  
والسموات ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيُلْمُهَا<sup>(٥)</sup> نصيحة لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والمقد القرين ٣ : ٢٢٣)

## ١٠ — حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ربيعة ، وكانا قد

(١) الأيامى : الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما أيم كجيد ، سواء كان تزوج من  
قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرا كانت أو ثيبيا ، وقد آمت تميم أيما وأيمة وأيوما ، وفى الحديث :  
« أنه كان يتعوذ من الأئمة » . (٢) الحيا : المطر . (٣) الأكل : ما يؤكل والرزق . (٤) حافظ .  
(٥) يقال للمستجد ويلمه أى ويل لأمه ، كقولهم : لأب لك يريدون لأب لك فركبوه وجملوه كالشيء الواحد .

برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشفى <sup>(١)</sup> على الفناء ، دعاها لِيَبْلُو <sup>(٢)</sup> عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا : قال لعمره - وكان الأكبر - أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال : « السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحُساد ، الباسل الذوّاد <sup>(٣)</sup> ، الصادر الورّاد » قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحبُّ إلىَّ منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمّام <sup>(٤)</sup> الزعيم ، الذي إن همَّ فعل ، وإن سُئِلَ بذل . »

قال : أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك ؟ قال : البرم <sup>(٥)</sup> اللثيم ، المُستخذي <sup>(٦)</sup> للخصيم ، المبطّان <sup>(٧)</sup> النهيم ، العبيّ البكيم ، الذي إن سئل منع ، وإن هُدِّد خضع ، وإن طلب جشع <sup>(٨)</sup> . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : غيره أبغض إلىَّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النّوم الكذوب ، الفاحش الغصوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصّدّام .

قال : أخبرني يا عمرو : أيّ النساء أحب إليك ؟ قال : الهرّ كولة <sup>(٩)</sup> اللّقاء <sup>(١٠)</sup> ، المنكورة <sup>(١١)</sup> الجيّداء ، التي يشفي السقيم كلامها ، ويبري الوصب <sup>(١٢)</sup> إلسامها ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعنتها <sup>(١٣)</sup> أعنتت ، الفاترة الطّرف ، الطّفلة <sup>(١٤)</sup> الكف ، العميمة الرّذف . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحبّ إلىَّ منها . قال : ومن هي ؟ قال : « الفتّانة العيين ،

(١) أشفى عليه : أشرف . (٢) ليختبر . (٣) من زاد عنه : إذا دفع . (٤) السيد (ويضم) . (٥) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر . (٦) الخاضع المستكين ، والخصيم : المخاصم . (٧) من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهي من الأكل . (٨) الجشع : أسوأ الخرص . (٩) المرتجة الأرداف . (١٠) الملتفة الجسم . (١١) المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين ، والجيّداء : من الجيد بالتحريك ، وهوطول الرقبة ، وأدقتها مع طول . (١٢) المريض . (١٣) استعنته : طلب إليه العتي (الرضا) وأعنته أعطاه العتي . (١٤) الناعمة .

الاسيلة<sup>(١)</sup> الخلدن ، الكاعب<sup>(٢)</sup> النديين ، الرّداح<sup>(٣)</sup> الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحيل<sup>(٤)</sup> ، الرّخيمة<sup>(٥)</sup> الكلام ، الجمّاء<sup>(٦)</sup> العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام<sup>(٧)</sup> .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : القتّاته<sup>(٨)</sup> الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوّافةُ الملبوب<sup>(٩)</sup> ، العابسة القطوب ، السّبابة الوتوب ، التي إن أتممتها زوجها خانتها ، وإن لان لها أهانتها ، وإن أرضاها أعضبتها ، وإن أطاعها عصته ، قال : ماتقول ياربعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها أبغض إلى منها . قال : وأيتهنّ التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة<sup>(١٠)</sup> اللسان ، المؤذبة للجبران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترّته<sup>(١١)</sup> ، وإن ناطقها اتهرته . قال ربيعة : وغيرها أبغض إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكفور غير الشكور ، اللثيم الفجور ، العبوس الكالج<sup>(١٢)</sup> ، الحرون الجامح ، الرّاضى بالهوان ، المختال المتّان ، الضعيف الجتّان ، الجعد<sup>(١٣)</sup> البنان ، القنول غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذي لا يرع<sup>(١٤)</sup> عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال : أخبرني يا عمرو : أى الخليل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقربان للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفّيت<sup>(١٥)</sup> العريق ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويَلْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس والله نعت ! قال : فما تقول

(١) الأسيل من الحدود: الطويل المسترسل . (٢) كعب الثدى: نهد . (٣) الثقيلة العجيبة الضخمة الوركين . (٤) الزوج . (٥) اللينة الكلام . (٦) التي ليس لعظامها حجم . (٧) المراد موضع اللثام ، فهو على حذف مضاف . (٨) البتامة . (٩) الكثيرة الانتباه ، والهيوب : الريح المثيرة للغباب . (١٠) الطويلة . (١١) أحفظته وأغضبته . (١٢) كالج : تكشر فى عبوس . (١٣) كناية عن البخل . (١٤) ورع : كورث كف . (١٥) السريع .

يا رببعة؟ قال : غيره أحب إلى منه . قال : وما هو؟ قال : الحصان الجواد ، السلس  
القياد ، الشهم الفواد ، الصبور إذا سرى ، السابق إذا جرى .

قال : فأى الخليل أبغض إليك يا عمرو؟ قال : الجموح الطمّوح ، النكول<sup>(١)</sup>  
الأنوح<sup>(٢)</sup> ، الصنول<sup>(٣)</sup> الضعيف ، المأل العنيف ، الذى إن جاريته سبقتة ، وإن طلبته  
أدركتة . قال : ما تقول يا رببعة؟ قال : غيره أبغض إلى منه . قال : وما هو؟ قال :  
البطيء الثقيل ، الحرّون الكليل ، الذى إن ضربته قمص ، وإن دنوت منه شمس<sup>(٤)</sup> ،  
يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب . قال رببعة : وغيره أبغض إلى منه .  
قال : وما هو؟ قال : الجموح الخبوط<sup>(٥)</sup> ، الرّكّوض الخروط<sup>(٦)</sup> ، الشّموس الصّروط<sup>(٧)</sup> ،  
القطوف<sup>(٨)</sup> فى الصعود والمبوط ، الذى لا يسلم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرنى يا عمرو أى العيش ألدّ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ،  
واغتياب<sup>(٩)</sup> مدامة . قال : ما تقول يا رببعة؟ قال : نعم العيش والله وصف ! وغيره  
أحب إلى منه . قال : وما هو؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وعزّ وغنى عميم ، فى ظل  
نجاح ، وسلامة مساءً وصباح ، وغيره أحب إلى منه . قال : وما هو؟ قال : غنى دائم ،  
وعيش سالم ، وظلّ ناعم .

قال : فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قال : الصّقييل الحسام ، الباتر المجذام<sup>(١٠)</sup> ،  
المأضى السّطام<sup>(١١)</sup> المرهف<sup>(١٢)</sup> الصمصام<sup>(١٣)</sup> ، الذى إن هزّزته لم يكب<sup>(١٤)</sup> ، وإذا  
ضربت به لم ينب<sup>(١٥)</sup> . قال : ما تقول يا رببعة؟ قال : نعم السيوف نعت ! وغيره أحب

(١) النكول : الذى يتكل عن قرنه . (٢) الكثير الزحير . (٣) كثير الصئيل : وصئيل  
الفرس : صهيله . (٤) شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . (٥) الكثير الخبط :  
وهو السير على غير هدئ . (٦) الخروط : الدابة الجموح تجتذب رسلها من يد ممسكها ثم تمضى .  
(٧) الكثير الضراط . (٨) قطفت الدابة : ضاق مشيها فهى قطوف . (٩) اغتياب : شرب  
الغبوق ، وهو ما يشرب بالمشى ، والمدامة : الخمر كالدمام . (١٠) من الجذم : وهو القطع . (١١) الحد .  
(١٢) رهف السيوف ، وأرهفه : رققه . (١٣) السيوف لا ينثنى كالصمصامة . (١٤) لم يعثر .  
(١٥) لم يكلم عن الضريبة .

إلى . قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرنق اللامع ، الظمان الجائع ، الذى إن هزته هتتك<sup>(١)</sup> ، وإذا ضربت به بتك<sup>(٢)</sup> . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفطار<sup>(٣)</sup> الكهام<sup>(٤)</sup> ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذُبح به لم ينخع<sup>(٥)</sup> . قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الطبيع<sup>(٦)</sup> الددان<sup>(٧)</sup> ، المعصد<sup>(٨)</sup> المهان .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا أعتكر البأس ، وأشتجر الدعاس<sup>(٩)</sup> ؟ قال : أحبها إلى المارن<sup>(١٠)</sup> المثقف ، المقوم المخطف<sup>(١١)</sup> ، الذى إذا هزته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : « نعم الرمح نعت ! وغيره أحب إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الذابل<sup>(١٢)</sup> العسال ، المقوم النسال ، الماضى إذا هزته ، النافذ إذا همزته .

قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرماح إليك ؟ قال : الأعصل<sup>(١٣)</sup> عند الطعان ، المثلم السنان ، الذى إذا هزته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس الرمح ذكر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الضعيف المهز<sup>(١٤)</sup> : اليبس الكز<sup>(١٥)</sup> ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال : انصرفا ، الآن طاب لى الموت . (الأمالي ١ : ١٥٢)

(١) مزق . (٢) قطع . (٣) الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . (٤) سيف كهام : كليل . (٥) لم يبلغ النخاع . (٦) من الطبع : أى الصدا . (٧) الذى لا يقطع . (٨) القصير الذى يمتن فى قطع الشجر وغيرها . (٩) الطعان : دعه إذا طعنه . (١٠) المارن : ملان من الرمح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهو مانسوى به الرماح . (١١) الخطف بضم فسكون : الضمر ، وإخطف الحشى : انطاوؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى : أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ، ورمح مخطف أى دقيق . (١٢) قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر القنائة) ، والعسال : انشديد الاضطراب إذا هزته ومنه العسلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه . (١٣) الملتوى : المعوج (١٤) مهزه كمنعه : دفعه . (١٥) الكزازة : اليبس والانقباض كز فهو كز .



## ١١ - إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بسباً<sup>(١)</sup> ، فأتاها قوم يحطّبونها ، فقالت : ليصف كل رجل منكم نفسه ، وليصدق وليوجز ، لأتقدم إن تقدمت ، أو أدع إن تركت ، على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدْرِك ، فقال : « إن أبي كان في العز الباذخ<sup>(٢)</sup> ، والحسب الشامخ ، وأنا شرس الخليفة ، غير رعيدي<sup>(٣)</sup> عند الحقيقة » قالت : لا عتاب على الجنادل فأرسلتها مثلاً<sup>(٤)</sup> ، ثم تكلم آخر منهم ويقال له ضبيس بن شرس فقال : « أنا في مال أثيث<sup>(٥)</sup> ، وخلقي غير خبيث ، وحسب غير عثيث<sup>(٦)</sup> ، أخذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض<sup>(٧)</sup> بالقرض » فقالت : لايسرك غائباً من لايسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر منهم ، يقال له شماس بن عباس فقال : « أنا شماس ابن عباس ، معروف بالندى والباس ، حسن الخلق في سجيّة ، والعدل في قضيّة ، مالى غير محذور على الأقل والكثير ، وبابى غير محجوب على العسر واليسر ، قالت : الخير متبع والشر محذور ، فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضبيس ، لن يستقيم معكم معاشره لعشير حتى يكون فيكما ابن عريكة<sup>(٨)</sup> ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت منى محل الأهرع<sup>(٩)</sup> من الكنانة ، والواسطة<sup>(١٠)</sup> من القلادة ، لدمانة<sup>(١١)</sup> خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع مجدّ أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .

(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

- (١) سباً : بلدة باليمن . (٢) العالى . (٣) الرعيدي : الجبان . (٤) قال الميداني : « يضرب في الأمر الذي إذا وقع لامرء له ، قاله أبو عمرو » . (٥) كثير : عظيم . (٦) لم أجد في كتب اللغة وصفا من مادة عث على فعيل ، وإنما الذي فيها « رجل عث بفتح العين أى ضئيل الجسم » وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذي هنا فعيل ، وأرى أن معناه مشين معيب من عث العفة الصوف إذا أكلته فهو عثيث بمعنى معثوث . (٧) القرض : القطع . (٨) العريكة : الطبيعة ، ورجل لين العريكة : أى سلس الخلق . (٩) الأهرع آخر سهم في الكنانة رديثا كان أو جيذا أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والمراد هنا الثاني . (١٠) واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجمل وسطه . (١١) الدمانة : السهولة .

## ١٢ - رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي

عن أشياخ من بني الحرث بن كعب قالوا :

« أَجْدَبَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ فَأَرْسَلُوا رُوَادًا <sup>(١)</sup> ، مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَبِعَثَتْ بَنُو زَيْدٍ رَائِدًا ، وَبِعَثَتْ النَّخْعُ رَائِدًا ، وَبِعَثَتْ جُفَيْفٌ رَائِدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ الرُّوَادُ قِيلَ لِرَائِدِ بْنِ زَيْدٍ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا مُوشِمَةً <sup>(٢)</sup> الْبِقَاعِ ، نَاتِحَةً النَّقَاعِ <sup>(٣)</sup> ، مُسْتَحْلَسَةً الْغَيْطَانِ <sup>(٤)</sup> ضَاكِكَةً الْقُرْيَانِ <sup>(٥)</sup> وَاعْدَةَ <sup>(٦)</sup> وَأَحْرَ بَوْفَاءَهَا ، رَاضِيَةً أَرْضَهَا عَنْ سَمَايْهَا . وَقِيلَ لِرَائِدِ جَمْفَى : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا جَمَعَتْ السَّمَاءَ <sup>(٧)</sup> أَقْطَارَهَا ، فَأَمْرَعَتْ أَصْبَارَهَا <sup>(٨)</sup> ، وَدَيْبَتْ أَوْعَارَهَا <sup>(٩)</sup> ، فَبَطَّنَانَهَا غَمِقَةً <sup>(١٠)</sup> وَظَهَّرَانَهَا غَدَقَةً <sup>(١١)</sup> ، وَرِيَاضَهَا مُسْتَوْسِقَةً <sup>(١٢)</sup> ، وَرَقَاقَهَا رَائِخٌ <sup>(١٣)</sup> ، وَوِاطِنَهَا سَائِخٌ <sup>(١٤)</sup> ، وَمَاشِيهَا <sup>(١٥)</sup> مَسْرُورٌ ، وَمُضْرِمُهَا <sup>(١٦)</sup> مَحْسُورٌ . وَقِيلَ لِلنَّخَعِيِّ مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : « مَدَاحِي <sup>(١٧)</sup> سَيْلٍ ، وَزُهَاءٌ <sup>(١٨)</sup> لَيْلٍ ،

(١) الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء . (٢) أوشمت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات ( وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق ) . (٣) النقاع : جمع نقع ( كشمس ) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، ونايحة : أي راشحة ، من التتح وهو خروج العرق من الجلد . (٤) الغوط ، والنيط ، والفاط ، والفاطط : المظمن الواسع من الأرض وجمعه غوط ( بالضم ) وأغواط وغيطان ، وغياط ، واستحلس النبات : إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها . (٥) القرينان : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كفى . (٦) أي تعد تمام نباتها وخيرها ، وأحر : أخلق . (٧) السماء هنا : المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال النبات ، فصار المطر كأنه قد جمع أكنافه . (٨) مرع الوادى مثلث الرء مراعاة وأمرع : أعشب وأخصب فهو مربع ومربع ، وأصبارها : نواحيها جمع صبر بالكسر والضم . (٩) ديبت : لينت . (١٠) البطنان : جمع بطن ، وهو الغامض من الأرض أى المظمن منها ، وغمقة : ندية . (١١) الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيرا ، وغدقة : كثيرة البلل والماء . (١٢) منتظمة . (١٣) الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورأخ : مفرط اللين ، يقال : ربخت العجين إذا كثرت مائه ، ورأخ العجين يريخ . (١٤) أي تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، وتسوخ وتسوخ واحد . (١٥) الماشى : صاحب المشاية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته . (١٦) المصرم : الفقير المقل . (١٧) مداحى : جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها ويدحها دحوا : أى بسطها . (١٨) الزهاء : الشخص ، وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرتها .

وَعَيْلٌ<sup>(١)</sup> يُوَاصِي غَيْلًا ، قد ارتوت أجزاؤها<sup>(٢)</sup> ، ودُمَّتْ عَزَاؤها<sup>(٣)</sup> ، والتبذت أقواؤها<sup>(٤)</sup> ، فرايدها أُنِقَ<sup>(٥)</sup> وراعيها سَنِقَ<sup>(٦)</sup> فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ<sup>(٧)</sup> ، عازِبها<sup>(٨)</sup> لا يُفْرَع ، ووَارِدُها لا يُنْكَع<sup>(٩)</sup> ، فاخْتاروا مرَادَ<sup>(١٠)</sup> النخعي . ( الأماك ١ : ١٨٣ )

### ١٣ — مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى تخم ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس ابن حُجْر ، أيام كان مقيمًا بالجَبَلَيْنِ<sup>(١١)</sup> ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هُنَالِكَ لَا أُعْطَى مَلِيكًَا ظَلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ<sup>(١٢)</sup>

(١) الفيل : الماء الجارى على وجه الأرض ، ويواصى : يواصل . (٢) الأجزاء : جمع جزر (بضمين) وهى التي لم يصبها المطر ، أو التي قد أكل نباتها ، أو التي لا تنبت . (٣) دمت : لين ( وروى دمت كفرح ) ودمت : لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . (٤) الأقواز جمع قوز (كشمس) : وهو المستدير من الرمل . (٥) أى معجب بالمرعى . (٦) من سنى كفرح أى بشم واتخم ، وراعيها : الذى يراعاها . (٧) القَضَضُ : الحصى الصغار ، يريد أن النبات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قَضَضًا ، والرمض : أن يحصى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض ، لأن النبات قد غطى الأرض . (٨) العازب : الذى يعزب بإبله أى يبعد بها فى المرعى . (٩) أى لا يمنع . (١٠) أى مرعى . (١١) الجبلان : سلمى وأجأ ( كجبل ) شرقى المدينة ، وهما لطيف ، قال رجل من بنى سلامان جاور فى طيء :

ألفت مساكن الجبلين إني رأيت الغوث يألفها الغريب

(والغوث قبيلة من طيء) . (١٢) قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن جوين فيما زعم السيرافي ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وَأَلَيْتَ لَا أُعْطَى مَلِيكًَا مَقَادِقَ وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »

وقال الميداني فى شرح المثل « لاغزو إلا التعميب » — ج ٢ : ص ١٣١ — « يقال عقب الرجل :

وهو أن يغزو مرة ثم يثنى من سنته ، وأول من قال ذلك حاجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار ( أبو امرئ ) =

وكان المنذر ضغينا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لَسَاءَ مَثْوَىٰ أُتِيْتَهُ رَبِّكَ  
وَتَوَيْكَ<sup>(١)</sup> ، حين حاولت إضباةً طَلَّتَهُ<sup>(٢)</sup> ومخالفتَهُ إلى عشيره ، أما والله لو كنت  
كريمًا لأتويتَهُ مُكْرَمًا مُوقِرًا ، ولجانبتَهُ مُسَلِّمًا ، فقال له : آيَتِ اللَّعْنِ<sup>(٣)</sup> لقد عَلِمْتُ

= القيس ) وذلك أن الحرث بن مندلة ملك الشام ، وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم ( سليح كجريح  
قبيلة باليمن ، والضجاعم كانوا ملوكا بالشام ) وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في شعره فقال :

هناك لا أعطى رئيسا مقادة ولا ملكا حتى يثوب ابن مندله

وكان قد أغار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان  
بها أهل حجر فوجد القوم خلوفا ، ( الخلوف بالضم : الذين ذهبوا من الحى ، ومن حضر منهم أيضا ) ووجد  
حجرا قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود ( وهي هند بنت ظالم بن  
وهب بن الحرث بن معاوية ) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شيخا كبيرا ، وابن مندلة شابا جميلا ،  
فقالت له : النجاء النجاء ، فإن وراك طالبا حثيثا ، وجمعا كثيرا ، ورأيا صليبا ، وحزما وكيدا ، فخرج  
ابن مندلة مغذا إلى الشام ( أى مسرعا ) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ،  
فقال : من أغار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لاغزو إلا  
التعقيب ، فأرسلها مثلا يعنى غزوه الأول والثانى .

ثم جسد فى طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون منزل ابن مندلة فكمن فيه ، وبعث سدوس  
ابن شيبان ، فقال له . اذهب متتكررا إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم  
رجع إلى حجر فحدثه بحدث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار ( والمرار كغراب : شجرة  
مرة إذا أكلت منها الإبل تقلصت مشافرها ) فأكل منها من الغضب ، فسمته العرب آكل المرار ،  
( وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث ) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندلة فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :

إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور

كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبا خيتعور

( والخيتعور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالمراب ، وكالذى ينزل من الهواء فى شدة  
الحر كنجس العنكبوت ) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة فى الأغاني ( ١٥ : ٨٢ ) ولسكنه روى أن الذى أغار على  
حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد  
ابن سليح القضاعى أغار عليه وهو ملك فى ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريعة البحرين فبلغ زيادا غزاته  
فأقبل حتى أغار فى مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأة حجر . . . . إلى آخر القصة » .

( ١ ) ثوى المسكان وبه : نزل ، وأثواه : أضافه ، والمثوى : المنزل ، والثوى : كنى البيت المهيبا  
له ، والضيف وهو المراد هنا . ( ٢ ) الطلة العجوز ، وصبا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة  
والمراد حاولت رد عزه السالف إليه . ( ٣ ) آييت اللعن : تحية جاهلية أى آييت أن تأتى ماتلن به .

أبناءه أدد<sup>(١)</sup> إني لأعزها جاراً ، وأكرمها جوارراً ، وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافراً ،  
 وزال شاكرراً ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتخال هُضْبِيَّاتٍ أَجَاذَاتِ الْوِبَارِ<sup>(٢)</sup> ،  
 وَأَفْنِيَّاتِ سَلْمَى ذَاتِ الْأَغْفَارِ<sup>(٣)</sup> ، مَا نَعَاتِكَ مِنَ الْمَجْرِ<sup>(٤)</sup> الْجَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ الْكَثِيرِ<sup>(٥)</sup>  
 وَالْحَصْنِ وَالْمِهَارِ<sup>(٦)</sup> وَالرَّمَاحِ الْجَرَّارِ<sup>(٧)</sup> ، وكل ماضى الْفِرَارِ<sup>(٨)</sup> ، بيد كل مسعَرٍ كَرِيمِ  
 النَّجَّارِ<sup>(٩)</sup> ؟ قال عامر : أبيت اللعن ، إن بين تلك الهُضْبِيَّاتِ وَالرَّعَانَ<sup>(١٠)</sup> وَالشَّعَابِ  
 وَالْمُصْدَانَ<sup>(١١)</sup> لَفَتِيَانَا أَبطالا ، وكهولا أزوالا<sup>(١٢)</sup> ، يضر بون القَوَانِسِ<sup>(١٣)</sup> ويستنزلون  
 الفوارس ، بِالرَّمَاحِ الْمَدَاعِسِ<sup>(١٤)</sup> لم يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ<sup>(١٥)</sup> ، ولم تُرَشِّحْهُمْ<sup>(١٦)</sup> الإماء ، فقال  
 الملك : يا عامر لو قد تجاوزت الخليل في تلك الشعاب صهيلا ، كانت الأصوات قَمَقَمَةً<sup>(١٧)</sup>  
 وصليلا ، وَفَغَرَ الْمَوْتَ<sup>(١٨)</sup> ، وأعجز القوتُ ، فتقارشت الرِّمَاحُ<sup>(١٩)</sup> وَحَمَى السِّلَاحِ ،  
 لَنَسَاقِي قُوَّتِكَ كَأَسَا لَا صَحْوَ بَعْدَهَا ، فقال مهلاً أبيت اللعن ، إن شَرَابَنَا وَبَيْلِ ،

(١) هو ادد بن زيد بن يشجب (بضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ  
 ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو ادد : هم مذحج وطي والأشعر .  
 (٢) الوبار : شجرة حامضة شائكة . (٣) الغفر بالتحريك : صغار الكلاب .  
 (٤) المجر : الجيش العظيم . (٥) الكثير . (٦) الحصن : جمع حصان ، وهو الفرس الذكر ،  
 والمهارة : جمع مهر ، وهو ولد الفرس . (٧) الحرار والأحرار : جمع حر ، وهو خيار كل شيء .  
 (٨) الفرار : حذ الرمح والسهم والسيف . (٩) يقال هو مسعر حرب : أى موقد نارها كأنه  
 آلة لسعر الحرب أى إيقادها ، والنجار : الأصل .  
 (١٠) الرعان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضا على  
 رعون .

(١١) الشعب : بالفتح الجبل ، وبالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج  
 بين الجبلين ، المصد (كشمس وكتف) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .  
 (١٢) أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . (١٣) القوانس : جمع قونس كجعفر ، والقونس  
 والقونوس : أعلى بيضة الحديد . (١٤) المداعس : جمع مدعس ، وهو الرمح الذى لا ينثنى .  
 (١٥) الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . (١٦) الترشيح : التربية .  
 (١٧) القمقمة : حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .  
 (١٨) فغر الموت فاه : أى فتحه . (١٩) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

وَحَدَّثَنَا أَلِيلٌ <sup>(١)</sup> ، وَمَعَجَمَتَا صَلِيبٍ <sup>(٢)</sup> ، وَلِقَاءَنَا مَهَيْبٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامٍ إِنَّهُ لَقَلِيلٌ بَقَاءُهُ  
الصَّخْرَةَ الصَّرَاءِ <sup>(٣)</sup> عَلَى وَقَعِ الْمَلَّاطِيسِ <sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ : أَيُّبِتُ اللَّعْنَ ، إِنَّ صَفَاتَنَا عِبْرُ  
الْمَرَادِيسِ <sup>(٥)</sup> ، فَقَالَ : لِأَوْ قِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ لَا عُقْبَتَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً  
لَا يَهْبُ رَاقِدًا ، وَلَا يَسْتَقِظُ هَاجِدًا <sup>(٦)</sup> ، فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ : إِنَّ الْبَغْيَ أَبَادَ عَمْرًا <sup>(٧)</sup> ،  
وَصَرَخَ حُجْرًا <sup>(٨)</sup> ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سُلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَأْنَا ، وَإِنْ لَقِينَا لَمْ تَلْقَ أَنْكَاسًا

(١) حاد ، والله تأنيلا حده . (٢) عجم العود كنعصر : إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ،  
والمعجم اسم مكان منه وصليب أى صلب ، وهو كناية عن شدتهم ومنعهم . (٣) صخرة صراء : صماء .  
(٤) الملطس : كعبر ، والملطاس : الممول الغليظ لكسر الحجارة . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم ،  
ويقال ناقة عبر أسفار (بتثليث العين) أى قوية على السفر تشق مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا  
الرجل الجرى على الأسفار الماضى فيها القوى عليها ، والمردس والمرداس : شئ صلب عريض تدك به الأرض ،  
وردها دكها به وردس الحجر بالحجر (كنعصر وضرب) كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحمل ذلك المراديس  
فلا تتحطم تحمها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم . (٦) الهجود : النوم .

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الخيرة ، وكان يلقب مضرط الحجارة نشدة ملكه ، وقوة  
سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمه امرئ القيس بن حجر بن الحارث ،  
وكان سبب قتله أنه قال يوما لجلسائه : هل تعلمون أن أحدا من العرب يأنف أن تحتم أمه أمى ؟ قالوا :  
مانعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ؟ فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ،  
وزوجها كلثوم بن عتاب ، وأبها عمرو ، فسكت مضرط الحجارة على ما فى نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم  
يستزيره ، ويسأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب ، ومعه أمه ليلى ، فنزل  
على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدمه ، فأمر فضربت خيامه بين الخيرة والفرات ، وأرسل إلى  
وجوه أهل ملكته ، فصنع لهم طعاما ، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو  
وعمر بن كلثوم وخوواصل أصحابه فى السرادق ، ولأمه هند قبة فى جانب السرادق ، وليلى أم عمرو  
ابن كلثوم معها فى القبة « وقد قال مضرط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف  
فحى خدمك عنك ؟ فإذا دنا الطرف فاستخدمى ليلى ومرها فتناولك الشئ بعد الشئ ، ففعلت هند  
ما أمرها به أبها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليلى : ناولينى ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى  
حاجتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلى : واذاه يا آل تغلب فسمها وادها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه  
والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر فى وجهه وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق فى  
السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله ، وخرج فتادى يا آل  
تغلب فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلحقوا بالخيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ :  
(٨) هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره . (١٩٧) .

ولا أغسأسا<sup>(١)</sup> ، فهبش وضاءيمك وصنائيمك<sup>(٢)</sup> ، وهلم إذا بدالك ، فنحن الألى قسطوا<sup>(٣)</sup> على الأملاك قبلك ، ثم أتى راحلته فركبها ، وأنشأ يقول :

تَعَلَّمَ (أَبَيْتَ اللَّغْنَ) أَنْ قَنَاتَنَا      تَزِيدَ عَلَى غَمَزِ الثَّقَافِ تَصْعَبًا<sup>(٤)</sup>  
 أَتَوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ      رُوَيْدُكَ بَرَقًا ، لَا أَبَا لَكَ ، خُلْمًا<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةٌ بِالْقَنَا      وَحَامَتُ رِجَالَ الْعُوْثِ دُونِي تَحَدُّبًا<sup>(٦)</sup>  
 أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي      تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا<sup>(٧)</sup>  
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارِنَا فَاتِّعْتَرِفِ      رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْتَرِبًا<sup>(٨)</sup>  
 وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَاهِمِ      رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْ كِبَا<sup>(٩)</sup>  
 وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادُهُمْ      وَمَلَّهَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا<sup>(١٠)</sup>  
 فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي      تُحْكَمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبًا<sup>(١١)</sup>

( ذيل الأمل ص ١٧٩ )

- (١) الأذكاس : جمع نكس بالكسر وهو الضعيف ، والأغساس : جمع غس بانضم وهو الضعيف أيضا .  
 (٢) هبش : جمع ، والوضائع : جمع وضيمة ، أنقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والعشور .  
 والصنائع : جمع صنعة : يقال هو صنعة فلان ، وصنيعه إذا اصطنته وأدبه وخرجه ورباه ، والمعنى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال . (٣) أى جاروا .  
 (٤) الثقاف : ماتسوى به الرماح . (٥) هبلته أمه (كفرح) فقدته ، والبرق الخلب : المطمع المخلف . (٦) خطر الرجل بسيفه ورمحه : رفعه مرة ووضعته أخرى ، وجديلة والنوث من طيء ، وتحذب به تعلق ، وتحذب عليه تمطف . (٧) الخرج كسبب : لونان من بياض وسواد خرج كفرح فهو أخرج ، وظلم أخرج : وهو الذى لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والسكبية : الدهمة (السواد) أو غبرة مشربة سوادا ، كهب كفرح وكرم فهو أكهب وكاهب . (٨) ازداره : زاره (افتعل من الزيارة) واعترف الشيء عرفه ، وأذال ثوبه : إذا أطال ذيله قال كبير :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة      اجاد المسدى سردها فأذاها

- والحديد : الدروع ، وشيء معقرب : أى معوج معطوف ، يريد أنها دروع مزرودة (الزرد والسرد بالفتح : تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض) والمعنى تجد أبطالا قد لبسوا الدروع السابعة المزرودة ، وهناك معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ؛ والحديد : أى الفرس الحديد السير أى السريع ، والمعقرب الشديد الخلق المجتمعمة . ومار معقرب الخلق أى ملزز مجتمع شديد ، فالمعنى : تجد أبطالا يجهدون فى ميدان القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . (٩) السكوبة : الجماعة . (١٠) السدير والخورنق : قصران بناهما النعمان الأكبر بالحيرة . (١١) الرمح الزاعى : هو الذى إذا هز كأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض اليه ، والحرب : المحدد .

## ١٤ - قيس بن رفاعة والحارث بن أبي شمر الغساني

كان قيس بن رِفاعَة يَفدُ سنة إلى الثَّعْمان اللَّخْمِي بالعراق ، وسنة إلى الحارث ابن أبي شَمِرِ الغَسَّانِي بالشَّام<sup>(١)</sup> ، فقال له يوماً وهو عنده : يابنَ رِفاعَة ، بلغني أنك تفضل النعمان<sup>(٢)</sup> عليّ؟ قال :

« وكيف أفضّله عليك أبيتَ اللعن ؟ فوالله لَقَفَاكَ أحسنُ من وجهه ، ولَأَمُتُكَ أشرفُ من أبيه ، ولَأَبوكَ أشرف من جميع قومه ، ولشِمالِكَ أجود من يمينه ، ولحِرِّمانِكَ أنفع من نَدَاه ، ولَقَلِيلِكَ أكثر من كثيره ، ولِإِمَادِكَ<sup>(٣)</sup> أغزر من غديره ، ولِكِرْسِيِّكَ أرفع من سريره ، ولجِدولِكَ أغمر من بحوره ، وليَوْمِكَ أفضل من شهره ، ولشَهْرِكَ أمدُّ من حَوْلِهِ ، ولحَوْلِكَ خير من حُقْبِهِ<sup>(٤)</sup> ، ولزَنَدُكَ أورى من زنده ، ولجِنْدِكَ أعزّ من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن نخم الكثير النوك<sup>(٥)</sup> ، فكيف أفضّله عليك<sup>(٦)</sup> ؟ » .

(الأمالي : ١ : ٢٦١ ومروج الذهب : ١ : ٢٩٨)

## ١٥ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أنى أبو جَبَيْلِ قيس بن خُفَّافِ البرُجُمِي حاتم طيء ، فى دماء حملها عن قومه ، فأسلهوه<sup>(٧)</sup> فيها ، وعجز عنها ، فقال : والله لآتين من يحملها عنى ، وكان شريفاً شاعراً ، فلما قدم عليه قال : « إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأملى ،

(١) كان المناذرة ملوك الحيرة من نخم ، والغساسنة : ملوك الشام من الأزدي . فكلاهما من أصل يمي ، وكان بينهما أحقاد وأضغان وحروب . (٢) النعمان بن المنذر . (٣) التمداد : الماء القليل لا مادة له . (٤) الحقب بالضم وبضمين : ثمانون سنة أو أكثر ، والدهر ، والسنة أيضاً . (٥) النوك بالضم والفتح : الحق . (٦) وذكر المسعودى أن هذا الحديث كان بين حسان بن ثابت الأنصارى ، وبين الحارث بن أبي شمر . (٧) خذلوه .



فَقَدَّمْتُ مَالِي ، وَكُنْتُ أُمْلَى ، فَإِنْ تَحْمَلَهَا فَرُبَّ حَقٍّ قَدْ قَضَيْتَهُ ، وَهَمَّ قَدْ كَفَيْتَهُ ،  
وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمِمْ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَيْأَسْ مِنْ غَدِكَ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَمَلْتُ دِمَاءَ لِلْبِرَاجِمِ بَجَّةً<sup>(١)</sup> فُجِئْتُكَ لِمَا أَسْأَلْتَنِي الْبِرَاجِمِ<sup>(١)</sup>

وَقَالُوا (سَفَاهَا) لِمَ حَمَلْتَ دِمَاءَنَا فَقُلْتُ لَهُمْ يَكْفِي الْحِمَالَةَ حَاتِمٌ<sup>(٢)</sup>

مَتَى آتَتْ فِيهَا يَقِلُّ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَخْطَأْتُكَ الْأَشْأَمُ<sup>(٣)</sup>

فِيحْمَلُهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ زَادَنِي زِيَادَةٌ مَن حَنَّتْ إِلَيْهِ الْمَكَارِمُ

يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمٌ طَيِّبٌ فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلسَّخَاءِ مَاتِمٌ

يُنَادِينُ مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا نَرَى مَجِيئًا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوْءِ حَاتِمٌ

وَقَالَ رِجَالُهُ أَنَّهُ بَبَّ الْعَامُ مَا لَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمٌ<sup>(٤)</sup>

وَلَكِنَّهُ يَعْطَى مِنْ أَمْوَالِ طَيِّبٍ إِذَا جَلَّفَ الْمَالَ الْحَقُوقُ الْوَلَوَائِمُ<sup>(٥)</sup>

فَيُعْطَى الَّتِي فِيهَا الْغَنَى وَكَأَنَّهُ لِتَصْغِيرِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ جَارِمٌ<sup>(٦)</sup>

بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشْرَجٌ وَوَعَدُ وَعَبَدَ اللَّهُ تِلْكَ الْقِتَامُ<sup>(٧)</sup>

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلَكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي<sup>(٨)</sup> مِنَ  
الغارة على بني تميم ، فخذها وافراً ، فَإِنْ وَفَى بِالْحِمَالَةِ ، وَإِلَّا أَكَلْتَهَا لَكَ ، وَهُوَ مِائَتَا بَعِيرٍ  
سِوَى بَنِيهَا وَفِصَالِهَا ، مَعَ أُنَى لَا أَحِبُّ أَنْ تُؤَيِّسَ قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَضَحَكَ أَبُو جُبَيْلٍ  
وَقَالَ : لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا ، وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ ، وَأَيُّ بَعِيرٍ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، لَيْسَ ذَنْبُهُ  
فِي يَدِ صَاحِبِهِ ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مِائَةَ بَعِيرٍ ، فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ رَاجِعًا  
إِلَى قَوْمِهِ . فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

(١) البراجم من تميم . (٢) السفاه : السفه . والحماله : الذية يحملها قوم عن قوم .  
(٣) الأشأم : ضد الأيمن . (٤) أنهب المال : جملة نها يفار عليه . (٥) أي جرفه وانتقصه .  
(٦) جرم الرجل (يفتحتين) : أذنب كأجرم . (٧) جمع ققام : وهو السيد . (٨) المرباع : ربع  
الغنيمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها .

أَتَانِي الْبُرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ لِهَمٍّ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلٍ  
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوًا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ (١)  
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عَلَانِهَا عِلَلِ الْبَخِيلِ  
فَخَذَهَا إِنهَا مَائِنَا بِعِيرِ سَوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ (٢)  
فَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَّانَ يُزْرِي بِالْجَزِيلِ  
فَأَبَ الْبُرْجِيِّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ  
يَجْرُ الذَّلِيلُ يَنْفُضُ مَذْرُوبَهُ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمْلِ ثَقِيلِ (٣)

( ذيل الأمال ٢٢ ، والأغانى ٧ : ١٤٥ )

## ١٦ - مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حجر الكندي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد وفيهم قبيصة بن نعيم يسألونه العفو عن دم أبيه (٤) ، فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء - وكانت العرب لا تنعم بالسواد إلا في الترات - فلما نظروا إليه قاموا له ، وبدر إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحمده أيامه ، وتتنقل به أحواله ، بحيث لا تمعج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ، ولك من سؤدد منصبك ، وشرف أعراقك (٥) ، وكرم أصلك في العرب ، تحمده (٦) يحتمل ما حمل عليه

(١) يقال : آتيتك به رهوا أى آتيتك به عفوا سهلا لا احتباس فيه . (٢) الناقة المسنة ، والرذية : مؤث الرذى ، وهو الضعيف من كل شيء ومن أثقله المرض . (٣) المذروان . أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء ينفض مذرويه . أى باغيا مهتدا .

(٤) وكانت بنو أسد ( وهم من المضرية ) خاضعة للملوك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي يؤدونها إليه . (٥) الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . (٦) المحمده : الأصل .

من إقالة العثرة ، ورجوع عن المفوّة ، ولا تتجاوز المهم إلى غايةٍ إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصّبح ، ما يطول رغباتها ، ويستغرق طلباتها ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمّت رزيقته نزاراً واليمن ، ولم تُخصّصْ بذلك كئندة دوننا ، للشرف البارِع كان الحُجْر ، التاجُ والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشّيم ، ولو كان يُفدى هالك بالأنفَس الباقية بعده لما بخلت كرامنا بها على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أخراه على أولاه ، ولا يَلْحَقُ أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :  
إمّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرّمات صوتاً ، فقدناه إليك بِنِسْمَةٍ<sup>(١)</sup> ، تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَأْتِي قَصْرَتَهُ<sup>(٢)</sup> ، فنقول : رجل امْتُحِنَ بهالكِ عزيز ، فلم يَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ<sup>(٣)</sup> إلا تمكّينه من الانتقام . أو فداء بما يروح<sup>(٤)</sup> على بني أسد من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القُضْبُ<sup>(٥)</sup> إلى أجفانها ، لم يرددها تسليط الإحن<sup>(٦)</sup> على البرآء . وإما أن وادَعْتَنَا إلى أن تضع الحوامل ، فتسُدُّ الأُزْرَ ، وتُعقدُ الحمرُ فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

---

(١) النسم : سير عريض تشد به الرحال ، والقطة منه نسمة . (٢) القصرة : أصل العنق .  
(٣) السخيمة : الحقد . (٤) يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والنعم الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل ، وهو المراد هنا . (٥) السيوف . (٦) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد .

## ١٧ — رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لا كُفءٌ لحُجْرٍ في دمٍ ، وأنى لن أعتاضَ به جَمَلًا ولا ناقةً ، فأكتسب به سُبَّةَ الأبد ، وفَتَّ العَضْدِ<sup>(١)</sup> ، وأما النَّظْرَةُ<sup>(٢)</sup> فقد أوجبها الأجنَّةُ في بَطُونِ أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سببًا ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقًا ، وفوق الأسننة علقًا<sup>(٣)</sup> » :

إذا جالت الحرب في مَأزِقِ تُصَافِحُ فيه المنايا النفوسا  
أتقيمون أم تنصرفون ؟

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ، وحرِب وِبالِيَّةِ » ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :

لعلك أن تستوخِمَ الوِرْدَ إنْ غَدَتِ كُتَاتِبُنَا في مَأزِقِ الحربِ مُنْمَطِرِ<sup>(٤)</sup>  
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذِبُه ، فرُوَيْدًا ، ينفرج لك دُجَاهَا  
عن فُرْسَانِ كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، واقْد كان ذِكْرُ غَيْرِ هذا بي أولى ، إذ كنت نازلا  
برَبِي<sup>(٥)</sup> ، ولكنك قلتَ فأوجبتَ » فقال قبيصة : « ما يَتَوَقَّعُ فوق قدر المعاتبة  
والإعتاب<sup>(٦)</sup> » فقال امرؤ القيس : « هو ذاك » .

( صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأغانى ٨ : ٧٢ والمثل السائر ١٠١ )

(١) فته : كسره ، وهو كناية عن الضعف والوهن . (٢) الإمهال . (٣) أى دما .

(٤) تستوخمه : أى تجده وخيما . (٥) الربع : المنزل . (٦) أعتبه : أرضاه .

## ١٨ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قال هاني بن قبيصة الشيباني يحرّضُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ (١) :  
« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَمْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ قَرُورٍ ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي  
مِنَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَالْأَدْنِيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ  
مِنِ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّمَعُ فِي ثَغْرِ (٢) النَّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ،  
يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِلنَّيَا مِنْ بَدٍّ » .  
(الأمالي ١ : ٩٢)

## ١٩ - خطبة عمرو بن كلثوم

« أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ، ولا يعبر عنه  
في تزكية أصحابه أصدق من اعتمادهم بإمام برغبته ، وإثمانه إياهم على حرْمَتِهِ » .  
(البيان والتبيين ٢ : ٦٩)

## ٢٠ - أكرم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :  
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَقَرٌ لَا يَحْلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ  
مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَازْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيِّظَعُنُ  
عَنْكَ وَيَدْعُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ ، فَأَمْسِ عِظَةً وَشَاهِدْ عَدْلًا ، فَجَعَلَكَ بِنَفْسِهِ ،

(١) كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبني شيبان ، وكان

أبريز أغزاهم جيشا ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

(٢) جمع ثغرة بالضم : وهي نقرة النحر بين الترقوتين ( والثغرة بالفتح : كل عورة منفتحة ) .

وأبقى لك وعليك حكمته؛ واليوم غنيمة، وصديق أتك ولم تأته، طالت عليك غيبته،  
وستسرع عنك رحلته؛ وغد لاتدرى من أهله، وسيأتيك إن وجدك، فما أحسن الشكر  
للمنعم، والتسليم للقادر، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها،  
واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها، وخير من الخير معطيه، وشر من الشر  
فعله .

(المقد الفريد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

### ٣١ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ، فقال :

« أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو  
آت آت ، ليل داج<sup>(١)</sup> ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر<sup>(٢)</sup> ، وبحار  
تزخر<sup>(٣)</sup> ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة<sup>(٤)</sup> ، وأنهار مجرأة . إن في السماء نجرا ،  
وإن في الأرض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا  
فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه : إن لله دينًا هو أرضى له ، وأفضل من  
دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا . ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك  
يقول :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر

(١) مظلم . (٢) تضيء وتتلاذأ . (٣) تمتلئ وترتفع . (٤) مدحوة : أى مبسوطة ،

ولأنما قال مدحاة لمرعاة السجع .

ورأيت قومي نحوها تمضي الأَكْبَرُ والأصغر  
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقين غابر<sup>(١)</sup>  
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، وإعجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٨ ،  
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، المقدم الفريد ٢ : ١٥٦ ، ومجمع الأمثال للميداني ١ : ٧٤)

## ٢٢ - قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل  
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ،  
قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال :  
ما قضى به الحقوق . (الأمالي ٢ : ٩٣)

## ٢٣ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر طويلاً ،  
ثم قال : « أرعوني أسماكم ، وأضعوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظ منكم حيث أريد ،  
طَمَحَ<sup>(٢)</sup> بالأهواء الأشرُّ ، وَرَانَ<sup>(٣)</sup> على القلوب الكدر ، وطَخَطَخَ<sup>(٤)</sup> الجَهْلُ النظر ،  
إن فيما ترى لَمُعْتَبَرًا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ  
ونجوم تسرى فَتَعْرُبُ ، وقر تَطْلُعُهُ النحور ، وَتَمَحَّهْهُ أَدْبَارُ الشهور ، وعاجز مُثْرٍ ،  
وَحَوْلٌ مُكْدٍ<sup>(٥)</sup> ، وشَابٌ مُحْتَضِرٌ ، وَيَفَنٌ<sup>(٦)</sup> قَدْ غَبَرَ ، وَرَاحِلُونَ لا يَثُوبُونَ ، وموقوفون

(١) مقيم . (٢) ارتفع وعلا وذهب . (٣) غلب . (٤) أظلم . (٥) رجل حول :  
شديد الاحتيال ، وأكدي : لم ينجح ، وأصله من أكدي إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي  
الصفة العظيمة الشديدة . (٦) الذي يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ،  
واليفن : الشيخ الكبير .

لا يُفَرِّطُونَ<sup>(١)</sup> ، وَمَطَرٌ يَرْسَلُ بِقَدَرٍ ، فَيُحْيِي البَشَرَ ، وَيُبْرِقُ الشَّجَرَ ، وَيُطْلِعُ النَّمْرَ ،  
وَيَنْبِتُ الزَّهَرَ ، وَمَاءٌ يَتَفَجَّرُ ، مِنَ الصَّخْرِ الأَيَّرِ<sup>(٢)</sup> ، فَيَصْدَعُ المَدْرَ ، عَنِ أَفْئَانِ أُخْضَرَ ،  
فَيُحْيِي الأَنَامَ ، وَيُشْبِعُ السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الأَنْعَامَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ  
عَلَى المَدْبِرِ المَقْدَّرِ ، البَّارِئِ المَصَوِّرِ . بِأَيِّهَا العَقُولُ النَّافِرَةُ ، وَالقُلُوبُ النَّائِرَةُ<sup>(٣)</sup> ،  
أَنَّى تُؤَفِّكُونَ ، وَعَنْ أَى سَبِيلٍ تَعْمَهُونَ ، وَفِي أَى حَيْرَةٍ تَهَيِّمُونَ ، وَإِلَى أَى غَايَةِ  
تُؤَفِّضُونَ<sup>(٤)</sup> ، لَوْ كُشِفَتِ الأَغْطِيَةُ عَنِ القُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ العِشَاوَةُ عَنِ العَيُونِ ، لَعَرَّحَ  
الشُّكَّ عَنِ اليَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَةِ الجُهَالَةِ مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ .

( الأمل : ١ : ٢٧٦ )

## ٢٤ - بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لَمَّا قَتَلَ جَسَّاسٌ<sup>(٥)</sup> بِنَ مَرَّةَ بِنَ ذُهْلَ الشَّيْبَانِيَّ كَلْبِيَّ<sup>(٦)</sup> بِنَ رِبِيعَةَ التَّغْلَبِيَّ ،  
تَشْمَرَ أَخُوهُ مُهْلَهْلٌ<sup>(٧)</sup> ، وَاسْتَعَدَّ لِحَرْبِ بَكْرٍ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمَهُ ، فَأَرْسَلَ رِجَالًا مِنْهُمْ

(١) يخلصون . (٢) الصلب . (٣) النائرة النافرة ، نارت نورا بفتح النون ، ونوارا  
بفتحها وكسرهما : نفرت . (٤) تفرعون .

(٥) وسبب ذلك أن البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن  
شميس ، وكانت له ناقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حوى أرضا من أرض العالية ، في أنف الربيع ،  
فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما - وكانت جلييلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب -  
فخرجت سراب في إبل جساس ترعى في حى كليب ، ونظر إليها كليب فأذكرها فرماها بسهم فأصاب  
ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبنا ، فلما نظر إليها صرخ بالذل ،  
فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها ، ونادت واذلاه وسمعها جساس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن غدا  
فحل أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أجل ذلك  
الحرب ( حرب البسوس ) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .

(٦) اسمه وائل بن ربيعة بن حارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ،  
وإنما لقب كليبيا لأنه كان إذا سار أخذ معه جروكلب ، فإذا مر بروضة أو موضع يعجبه ، ضربه ثم ألقاه  
في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى ، فلا يسمع صواحه أحد إلا تجنبه ولم يقربه ، وكان يقال كليب وائل ثم  
اختصروا فقالوا كليب فلقب عليه . (٧) اسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من لهلهل  
الشمر : أى أرقه .



إلى بنى شيبان ، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان « أبا جساس » وهو في نادي قومه ، فقالوا له :

« إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب<sup>(١)</sup> من الإبل ، ففقطعتم الرّحِم ، وانتهكتم الحرمه ، وإنا كرهنا العجالة عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خيلاً أربعا ، لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، فقال مرة : وما هي ؟ قالوا : تحيي لنا كليبًا ، أو تدفع إلينا جساسًا قاتله فنقتله به ، أو همامًا<sup>(٢)</sup> فإنه كفء له ، أو تمكنتنا من نفسك ، فإن فيك وفاء من دمه ، فقال : « أمّا إحيائي كليبًا ، فهذا ما لا يكون ، وأمّا جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ، ثم ركب فرسه ، فلا أدري أي البلاد احتوى عليه ، وأمّا همام فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم ، فإن يسلموه لي ، فأدفعه إليكم يقتل بجريرة<sup>(٣)</sup> غيره . وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غدًا ، فأكون أول قتيل بينها ؟ فأتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما إحداهما فهو لاء بنى الباقون ، فعلقوا في عنق أبيهم شتم نسمة ، فانطلقوا به إلى رحالكم ، فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فالأف ناقة سود الحدق ، حمر الوبر ، أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك ، وتسومنا اللبن من دم كليب ؟ » ونشبت الحرب بينهم .

(المقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

## ٢٥ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لمّا أُنَّ أبو براء : عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الأسيّة ، تنازع في الرياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر .

(٢) هو همام بن مرة أخو جساس ، وكان نديما لهلهل .

(١) الناقة المسنة .

(٣) الجريرة : الجريمة .

فقال علقمة : كانت لجدِّي الأحوص ، وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد عمك عنها ، وأنا استرجعتها ، فأنا أولى بها منك ، فشرى<sup>(١)</sup> الشرثَ بينهما ، وسارا إلى المنافرة . فقال علقمة : إن شئت نافرتك ، فقال عامر قد شئت . والله إني لأكرمك منك حسبا<sup>(٢)</sup> ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قسبا<sup>(٣)</sup> .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً ، فقال عامر : والله لأنا أحبُّ إلى نساءك أن أصبحَ فيهنَّ منك ، أنا أنحرُّ منك للقاح<sup>(٤)</sup> ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح<sup>(٥)</sup> .

فقال علقمة : أنا خير منك أنراً ، وأخذتُ منك بصراً ، وأعزُّ منك نفراً ، وأشرفُ منك ذكراً . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقصٌ ، وبصرُك صحيحٌ ، ولكني أنافرك ، إني أنسى منك سمة<sup>(٦)</sup> ، وأطولُ منك قبةً ، وأحسنُ منك لمة<sup>(٧)</sup> ، وأجعدُ منك جمة<sup>(٨)</sup> ، وأسرعُ منك رحمةً ، وأبعدُ منك همةً . فقال علقمة : أنتَ رجلٌ جسيمٌ ، وأنا رجلٌ قضيفٌ<sup>(٩)</sup> ، وأنتَ جميلٌ ، وأنا قبيحٌ ، ولكني أنافرك بأبائي وأعمامي . فقال عامر : آباؤك أعمامي ، ولم أكن لأنافرك بهم ، لكني أنافرك ، أنا خيرٌ منك عقيباً ، وأطعم منك جدبا . فقال علقمة : قد علمت أن لك عقيباً ، وقد أطعمت طيباً ، ولكني أنافرك ، إني خيرٌ منك ، وأولى بالخيرات منك . فخرجت أمُّ عامر - وكانت تسمع كلامهما - فقالت : يا عامر نافرهُ ، أيكما أولى بالخيرات . قال عامر : إني والله لأركبُ منك في الحماة ، وأقتلُ منك للكمامة<sup>(١٠)</sup> ،

(١) استطار . (٢) الحسب : ما تعده من مفاخر آباءك ، أو الشرف الثابت في الآباء ، أو الكرم ، أو الشرف في الفعل أو الفعالم الصالح . (٣) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما ، كناية عن طول قامته . (٤) الابل : واحدها لقوح . (٥) الشياح : القحط . (٦) السمة : القرابة ، ويروي أنا أنثر منك أمة ، أي أكثر قوماً . (٧) اللمة : الشعر المجازز شحمة الأذن . (٨) مجتمع شعر الرأس . (٩) نحيف من القصف ، وهو النحافة . (١٠) جمع كمي ، وهو الشجاع .

وَخَيْرٌ مِنْكَ لِمَوْتِي وَالْمَوْلَاةِ : فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لِفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلُدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ <sup>(١)</sup> ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَفِيمَ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ؟ فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَنْزِلُ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ <sup>(٤)</sup> ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلثَّفْرَةِ . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصْرِ ، نَكِدُ النَّظَرَ ، وَثَابُّ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُأُ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ نُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَسْكَنَ قَلُّهُ أَنْفَرُكَ بِنَجِيرِنَا وَأَقْرَبْنَا إِلَى الْخَلِيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرٌ : عَيْرٌ <sup>(٥)</sup> وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكْمَ ، أَيُّنَا نَفَرَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَخْرَجَهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَوَضَعُوا بِهَا رَهْنًا مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى يَدِي رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْوَحِيدِ ، فَسُمِيَ « الضَّمِينِ » .

وَخَرَجَ عَلْقَمَةُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِدِ ، وَخَرَجَ عَامِرٌ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي مَالِكِ ، وَجَعَلَا مُنَافِرَتَهُمَا إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَلَمْ يَقْلُ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا ، وَقَالَ : أَنَا كَرَكِبْتِي الْبَعِيرَ الْأَدْرَمَ <sup>(٦)</sup> ، قَالَ : فَأَيُّنَا الْيَمِينُ؟ قَالَ : كِلَا كَمَا يَمِينُ ، وَأَبِي أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا . فَانْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامِ فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا - وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَحْكُمُ إِلَى قُرَيْشٍ - فَأَتِيَا عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ،

(١) رَجُلٌ عَاقِرٌ لَمْ يُولِدْ لَهُ وَلَدٌ . (٢) الْقَفْرَةُ : النَّقْرُ . الْخَلَاءُ مِنَ الْأَرْضِ . (٣) الْبَكْرَةُ : الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ . (٤) الْهَبْرَةُ : قِطْعَةٌ مَجْتَمِعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ . هَبْرَةٌ قِطْعَةٌ قِطْعًا كَبِيرًا ، وَهَبْرٌ لَهُ مِنَ اللَّحْمِ هَبْرَةٌ قِطْعَةٌ . (٥) الْعَيْرُ : الْحِمَارُ وَغُلَابٌ عَلَى الْوَحْشِيِّ ، وَهُوَ أَقْوَى مِنَ التَّيْسِ ، أَيْ مِثْلُ وَبِإِيَّاكَ كَالْعَيْرِ وَالتَّيْسِ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى كَالتَّيْسِ وَالْعَنْزِ ، إِذِ التَّيْسُ أَقْوَى عَلَى النِّطَاحِ مِنَ الْعَنْزِ ، وَفِي الْمِثْلِ : « كَانَ عَزَا فَاَسْتَيْسَ » أَيْ صَارَ تَيْسًا . يَضْرِبُ لِلذَّلِيلِ الضَّعِيفِ يَصِيرُ عَزِيْزًا قَوِيًّا .

(٦) دَرَمُ الْعَظْمِ : وَارَاهُ اللَّحْمُ حَتَّى لَمْ يَبْنَ لَهُ حِجْمٌ ، وَامْرَأَةٌ دَرَمَاءُ لِاتَّسَبُّبِ كَعُوبِهَا وَمِرَافِقِهَا ، وَكُلُّ مَاغْطَاهُ الشَّحْمُ وَاللَّحْمُ وَخَفِيَ حِجْمُهُ فَقَدْ دَرَمَ .

فَأَبَى أَنْ يَقُولَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، فَأَتِيَا غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ ، فَرَدَّهُمَا إِلَى حَرَمَلَةَ ابْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ ، فَرَدَّهُمَا إِلَى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانَ الْفَزَارِيِّ ، فَاذْطَلَقَا حَتَّى نَزَلَا بِهِ ، وَقَدْ سَاقَا الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتَ وَأُرْبَعَتَ ، لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ هَرَمٌ : لِعَمْرِي لِأَحْكَمَنَّ بَيْنَكُمَا نَمَّ لَا فُضِّلَنَّ ، فَأَعْطَيَْانِي مَوْثِقًا أَطْمئنُّ إِلَيْهِ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُولُ ، وَتُسَلِّمَا لِمَا قَضَيْتُ بَيْنَكُمَا ، وَأَمْرُهُمَا بِالْإِنْصِرَافِ ، وَوَعْدُهُمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فَاذْصَرَفَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ الْقَوْمَ عِنْدَهُ أَيَّامًا .

فَأَرْسَلَ هَرَمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عِلْمَةً ، فَقَالَ يَا عَامِرُ : قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا ، وَأَنْ فِيكَ خَيْرًا . وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَن صَاحِبِكَ ، أَتَنَافَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِ ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَيَّ عِلْمَةً ، فَوَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لَا أَفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا . هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُئْهَا وَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَ فَاعْلَمْ ، فَسَوِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، قَالَ : اذْصَرَفَ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي . فَخَرَجَ عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ يَنْفَرُهُ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِلْمَةَ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرٌ ، فَأَتَاهُ ، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَامِرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عِلْمَةَ بِمَا رَدَّ بِهِ عَامِرٌ ، وَانْصَرَفَ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ سَيَفْضَلُ عَلَيْهِ عَامِرًا . ثُمَّ إِنْ هَرَمًا أَرْسَلَ إِلَى بَنِيهِ وَبَنِي أَبِيهِ : إِنْ قَابِلَ غَدًا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةٌ ، فَإِذَا فَعَلْتُ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، فَلْيَنْتَحِرْهَا عَن عِلْمَةَ ، وَيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، يَنْحَرُهَا عَن عَامِرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَ النَّاسِ لَا تَكُونْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَصْبِحْ هَرَمٌ مَجْلِسُ مَجْلِسِهِ ، وَأَقْبَلِ النَّاسَ ، وَأَقْبَلِ عِلْمَةَ وَعَامِرَ حَتَّى جَلَسَا ، فَقَامَ هَرَمٌ فَقَالَ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ، قَدْ تَحَا كَتَمًا عِنْدِي ، وَأَنْتُمَا كَرَكِبْتِي

(١) أَنْفَرَهُ عَلَيْهِ وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ .

البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ،  
وكلا كما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم  
هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم  
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

( الأغاني ١٥ : ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح العيون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨ )

# أشرف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى<sup>(١)</sup> للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع ، فالبيت من قبيلته فيه ، ويُنسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذى الجديين ، وآل الأشعث ابن قيس بن كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقدم لهم الحكام والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان أسن القوم ، فقال :

## ٢٦ - مقالة حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعزّ الأعظم ، ومأثرة<sup>(٢)</sup> للصنيع الأكرم ، فقال من حوله : ولم ذلك يا أخا فزارة ؟ فقال : أسنا الدعائم التي لا ترام ، والعزّ الذي لا يُضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِضَالُهُمَا  
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رَجَالُهَا

(١) هو كسرى أنوشروان ، حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

(٢) المأثر بالفتح والضم : المكرمة المتوارثة .

فهيئات قد أعيأ القُرُون التي مضت مَآزِرُ قيسٍ مَجْدُهَا وَقَعَالِهَا  
وهل أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالِهَا  
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِدَاكَ جَمِيعِهَا وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالِهَا

## ٢٧ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربعة وتيم لقرابته من  
النعمان بن المنذر - فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر،  
وإننا لغياث الكرُبات، ومعدن المكرمات، قالوا: ولم يا أبا كندة؟ قال: لأننا  
ورثنا ملك كندة، فاستظللنا بأفيانهِ<sup>(١)</sup> وتقلدنا منكبهُ الأعظم، وتوسطننا مجبوحه  
الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

إِذَا قَسَتْ أَبْيَاتَ الرِّجَالِ بَيْتِنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا طَلَى مِنْ يَفَاخِرِ  
فَنْ قَالَ كَلَّا أَوْ أَنَا نَا بِحُطَّةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَنَحْنُ نَخَاطِرِ  
تَعَالَوْا قَفُوا كَى يَعْلَمَ النَّاسُ أَيْتَنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكَابِرِ

## ٢٨ - مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني، فقال: قد علمت العرب أنا بُنَاءُ بَيْتِهَا الَّذِي لَا يَزُولُ،  
وَمَغْرَسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحْوُلُ، قالوا ولم يا أبا شيبان؟ قال: لأننا أدرَكُهمُ النَّارُ،  
وَأَضْرَبُهمُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَأَقْوَمُهمُ لِلْحَكَمِ، وَأَلْدُهُمُ لِلْخَضَمِ، ثم قام شاعرهم،  
فقال:

(١) جمع فوه: وهو ما كان شمسا فينسخه الظل.

لَعَمْرِي بِسْطَامَ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا      وَأَوَّلَ بَيْتِ الْعِزِّ عِزَّ الْقَبَائِلِ  
 فَسَائِلُ - أَيْبِتَ اللَّعْنُ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا      إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مَنْ قَالِ (١)  
 أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً      وَأَضْرَبَهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ (٢)  
 وَقَائِعُ غُرَّتْ كُلُّهَا رَبْعِيَّةً      تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ  
 إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا      وَعَادَّ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ (٣)  
 وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

### ٢٩ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي ، فقال : قد علمت معدًّا أنا فرع (٤) دِعَامَتِيهَا ،  
 وَقَادَةَ رَحْفِيهَا ، قالوا : ولم ذلك يا أخا بني تميم ؟ قال : لِأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،  
 وَأَنْجَمُهُمْ طُرًّا وَلِيدًا ، وَأَنَا أَعْظَمُهُمْ لِلْجَزِيلِ ، وَأَحْمَلُهُمْ لِلنَّقِيلِ ، ثم قام شاعرهم ،  
 فقال :

لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ خِنْدِفَ أَنَا      لَنَا الْعِزُّ قَدِيمًا فِي الْخَطُوبِ الْإِوَائِلِ (٥)  
 وَأَنَا كِرَامُ أَهْلِ مَجْدٍ وَثَرْوَةٍ      وَعِزِّي قَدِيمٌ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ  
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ      أَغْرَّ نَجِيبِ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلِ (٦)  
 فَسَائِلُ ( أَيْبِتَ اللَّعْنُ ) عَنَا فَإِنَّا      دَعَاؤُهُمْ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ (٧)

(١) أبيت اللعن : تحية في الجاهلية ، أى أبيت أن تأتى أمرا تلعن عليه . والمنافلة في المنطق : أن تحدث  
 آخر ويحدثك . (٢) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٣) لاجئ ، من وأل إليه ينال وألا .  
 (٤) فرع كل شيء : أعلاه . (٥) خندف : هى أم مدركة ، وطابحة وقعة أبناء الياس بن مضر بن  
 نزار بن معد بن عدنان . (٦) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم . (٧) أى الأمور الجلائل  
 جمع جليلة .



### ٣٠ — مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات  
دَعَاءُكُمْ ، وأثبتهم في النائبات مَقَادِمَ ، قالوا : ولم ذلك يا أخا بني سعد ؟ قال : لِأَنَا  
أدْرَكُهُمُ لِلنَّارِ ، وَأَمْنَعُهُمُ لِلجَارِ ، وَأَنَا لَا نَنْكُلُ<sup>(١)</sup> إِذَا حَمَلْنَا ، وَلَا نُرَامُ إِذَا حَلَلْنَا ،  
ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قَيْسٌ وَحَنِيفٌ أَنَّنَا      وَجُلُّ تَمِيمٍ وَالْجَمِيعُ الَّذِي تَرَى<sup>(٢)</sup>  
بِأَنَّ عِمَادَ فِي الْأُمُورِ وَأَنَا      لَنَا الشَّرْفُ الضَّخْمُ الْمُرَكَّبُ فِي النَّدَى  
وَأَنَا لِيُوثُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ      إِذَا جُرَّ بِالْبَيْضِ الْجَاجِمُ وَالطَّلَا<sup>(٣)</sup>  
فَنَ ذَا لِيَوْمِ الْفَخْرِ يَبْدِلُ عَاصِمًا      وَقَيْسًا إِذَا مَرَّتْ أُلُوفٌ إِلَى الْعَلَا  
فَهِيهَاتَ قَدْ أَعْيَا الْجَمِيعُ فَعَالُهُمْ      وَقَامُوا بِيَوْمِ الْفَخْرِ مَسَاعَاةً مَنْ سَعَى  
فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حبياءهم ، وأعظم  
صِلَاتِهِمْ ، وَكَرَّمَ مَا بِهِمْ .  
(صبح الأعشى ١ : ٣٧٧ والأغانى ١٧ : ١٠٥)

(١) لا نكسل ولا نجبن . (٢) قيس بن عيلان بن مضر . (٣) الطلا : جمع طلية ،

وهي العنق .

# وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقَدِّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألقمتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفهها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها مداككاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف<sup>(١)</sup> والثمار والحصون ، وما هورأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخيزر في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلها ، وصغر همتها تحيّتهم<sup>(٢)</sup> التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من النفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولطوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السباع ، لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكرمة ،

(١) الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسمة في المأكّل والمشرب . (٢) حل المسكان وبه

يجل بالكسر والضم .

وإن اطعم أكلة عداها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التتوخيّة التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّت مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً<sup>(١)</sup> ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكبنون على ما بكم من الذلّة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حق<sup>(٢)</sup> لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جواباً في كلّ ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتي من غضبه نظقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

### ٣١ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تُنارِعُ في الفضل ، لموضعها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبَسَطَةِ محلها ، وبُجْبُوْحَةِ عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الامم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّنها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، ومَنَعَتِهَا ، وحسن وجوها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة ألسنتها ، وشدّة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها .

فأما عزّها ومَنَعَتِهَا ، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، وبهأدهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها من الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوها وألوانها ، فقد يُعرَفُ فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحرفة ، والترک المشوهة ، والروم المقشرة .

(٢) حقك أن تفعل كذا وحققت أن تفعله بمعنى .

(١) الدروع .

وَأَمَّا أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا ، فَلَيْسَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ جَهَلَتْ آبَاءُهَا وَأَصُولُهَا وَكَثِيرًا مِنْ أَوْلِيَّهَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ لِيُسْأَلَ عَنِ وِرَاءِ أَبِيهِ ذُنْيَاً <sup>(١)</sup> ، فَلَا يَنْسُبُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا يُسَمَّى آبَاءَهُ أَبَا فَا بَا ، حَاطُوا بِذَلِكَ أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا ، فَإِنَّ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّابُ <sup>(٢)</sup> ، عَلَيْهَا بِلَاغُهُ <sup>(٣)</sup> فِي مَحْوَلِهِ <sup>(٤)</sup> وَشَبَعِهِ وَرَبِيٍّ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفِلِذَةِ <sup>(٥)</sup> ، وَيَجْتَزِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْفُرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنَ الْأَحْدُوثةِ وَطَيْبَ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَسْتِنْتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنِقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَةَ وَوزنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لشيءٍ مِنَ الْأَسْنَةِ الْأَجْنَاسِ ثُمَّ خَيْلِهِمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاؤُهُمْ أَعْفَى النِّسَاءِ ، وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ <sup>(٦)</sup> ، وَمَطَايِمُهَا الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفْرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بَدِينَهُ أَنْ لَحْمَ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبِلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنْاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْتَقِي الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِ ثَارِهِ ، وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ <sup>(٧)</sup> مِنْهُ ، فَيَحْجِزُهُ كَرَمِهِ ، وَيَمْتَنِعُهُ دِينَهُ عَنِ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

(١) هو ابن عمي دنيا بضم الدال وكسرهما مع التنوين ، وبكسرهما بلا تنوين : أى لحماً .

(٢) الناقة المستنة . (٣) البلاغ : الكفاية . (٤) الحمول والأحمال جمع حمل .

(٥) القطة من الشيء . (٦) الجزع ويكسر : الخرز الأبيض الصيفي فيه سواد وبياض ، تشبه

به العيون . (٧) الذل .

وأما وفاءها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَمِّئُ الإيماءة ، فهي وَلَتْ<sup>(١)</sup> وعقدة ، لا يَحْلُمُهَا إلا خروج نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَفْلِقُ<sup>(٢)</sup> رَهْنَهُ ، ولا يُخْفَرُ<sup>(٣)</sup> ذمته ، وإن أحدهم ليلبغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْنِيَ قبيلته ، لما أُخْفِرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحْدِثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَتِدُونُ أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفةً من العار ، وَغَيْرَةَ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - على ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقارًا لها ، فَعَمَدُوا إلى أجلبها وأفضلها ، فكانت سرا كبتهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحومًا ، وَأَرْقَاهَا ألبانًا ، وأقلها غائلة<sup>(٤)</sup> ، وأحلاها مَضْنَةً ، وإنه لا شيء من اللُحْمَانِ يُعَالِجُ ما يُعَالِجُ به لحمها إلا أستبان فضلها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضًا ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأم إذا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت نُهْوَضَ عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في الملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيُلْقُونَ إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين ، مع أنفهم من أداء الخراج وَالْوَطْئِ<sup>(٥)</sup> بِالْعَسْفِ .

(١) عهد . (٢) غلق الرهن : استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط .

(٣) خفر به وأخفاه : نقض عهده وغدره . (٤) شرا . (٥) الوطئ : الضرب الشديد بالرجل .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدَّ الملك إليها الذي <sup>(١)</sup> أتاه ، عند غلبة الحبش له ، كلَّ ملكٍ متَّسِقٍ ، وأمر مجتمع ، فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتَّربَّ به من يليه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، ويفضُّب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجبب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساد من كِسْوَتِهِ ، وَصَرَّحَهُ إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين <sup>(٢)</sup> أمرهم ، بعث إلى أكَثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ ، وَحَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيِّينَ ، وإلى الحرث بن عبَّاد ، وقيس بن مسعود البكريين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطَّفَيْلِ العَامِرِيِّينَ ، وإلى عمرو بن الشَّرِيدِ الشَّلَمِيِّ ، وعمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدِيِّ ، والحرث بن ظالم المُرِّيِّ ، فلما قدموا عليه في الخوارج ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وَقُرُوبَ جِوَارِ العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوِّفت أن يكون لها غَوْرٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوَّلاً ، كبعض طَمَاطِطِيَّتِهِ <sup>(٣)</sup> ، في تأديتهم الخراج إليه <sup>(٤)</sup> ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقنص عليهم مقالات كسرى ، وماردَّ عليه ، فقالوا : أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن مارددت ! وأبلغ ما حجبته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منك ، وإنما ملكت وَعَزَّزْتُ بمكانكم ، وما يتخوِّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبَّ إليَّ مما سَدَّدَ اللهُ به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزَّكم ، والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كلَّ رجل منكم

(١) هو سيف بن ذي يزن . (٢) تقييح واسمَّجان ، والمهجنة من الكلام : ما يعيبه .

(٣) رجل طمطم وطمطى « بكسر الطاءين » وطمطماي « بضمهما » : في لسانه عجمة . (٤) كان

الفرس يعمون عرب الحيرة من دفع الأتاوة مقابل أن يقوموا بحمايتهم من كل غارة من نواحيهم .

بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ماظنَّ ، أو حدَّثتهُ نفسهُ ، ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبهُ ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتَرَفٌ ، مُعْجَبٌ بنفسه ، ولا تنخزلوا<sup>(١)</sup> له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوَّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم ابن صيفي ، ثمَّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، على بميل كلِّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكونُ ذلك منكم ، فيجِدَ في آدابكم مطعناً ، فإنه ملك مترف ، وقادر مُسكِّطٌ ، ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك ، كل رجل منهم حلة وعمامة عمامة ، وخبثتهُ بياقوته ، وأمر لكلِّ رجل منهم بنجبية مهزَّبة<sup>(٢)</sup> وفرس نجبية ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد : فإن الملك أتى إليَّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُهُ بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتكجججُ في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بما كتبت ، وحثت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغيض عن جفاء إن ظهر من منطقتهم ، وليكرمني يا كرامهم ، وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم . »

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه ، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرآزبته<sup>(٣)</sup> ووجوه أهل مملكته ، فحضروا وجلسوا على كراسي ، عن يمينه

(١) الانخزال : مشية في تناقل . (٢) النجبية : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ،

والمهربية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبية . (٣) جمع مرزبان ، بفتح الميم وضم الزاي ؛ هو الرئيس من الفرس .

وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء<sup>(١)</sup> والراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام  
الترجمان<sup>(٢)</sup> ليؤدّي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

## ٣٢ - خطبة أكرم بن صيفي

فقام أكرم بن صيفي فقال :

« إنَّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير  
الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والشر  
لحاجة<sup>(٣)</sup> ، والحزم مرّ كَبُّ صعب ، والعجز مركب وطىء . آفة الرأى الهوى ، والعجز  
مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظنّ ورطة ، وسوء الظنّ عصمة ، إصلاح  
فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالأغاص بالماء ، شرّ  
البلاد بلاد لا أمير بها ، شرّ الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز<sup>(٤)</sup> لا المحالة<sup>(٥)</sup> ، أفضل  
الأولاد البرّة ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحقّ الجنود بالنصر من حسنت  
سريره ، يكفيك من الزاد ما بلفك المحلّ ، حسبك من شرّ سماعه ، الصمت حكم<sup>(٦)</sup>  
وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدّد نَفَرَ ، ومن تراخى تألّف » .

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : وَيَحْكُ<sup>(٧)</sup> يا أكرم بما أحكمك وأوثق  
كلامك ! لولا وضعت كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينيء عنك  
لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لسكني .

قال أكرم : رَبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلِ .

(١) التتابع والتوالي ، مصدر وانى . (٢) ترجمان : بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما  
وبفتحهما . (٣) أى أصله اللجاجة ، وهى تماحك الحصين وتماديهما . (٤) من بابي ضرب  
وسمع . (٥) المحالة : الحيلة . (٦) الحكم : الحكمة ( وأتيناها الحكم صيباً ) . (٧) ويح : كلمة  
رحمة ، ( وويل : كلمة عذاب ) ، وقيل هما بمعنى واحد .



### ٣٣ — خطبة حاجب بن زرارة

ثمّ قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى <sup>(١)</sup> زَنْدَكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلَطَتْ  
أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ <sup>(٢)</sup> مِرْيَتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرْسَتَهَا <sup>(٣)</sup> ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ،  
مُسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَاحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلْقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ <sup>(٤)</sup> غَضَاضَةٌ <sup>(٥)</sup> ،  
وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ <sup>(٦)</sup> سَلَاسَةٌ <sup>(٧)</sup> ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسِّنْتَهَا لَدَيْكَ ،  
ذَمْتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعَشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيْعَةٌ ، إِنْ نَوَّبَ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا  
فَلَيْكَ بِذَلِكَ عَمُومَ مُحَمَّدَتِنَا ، وَإِنْ نَدَّمَ لَمْ نُحْصَ بِالذَّمِّ دُونَهَا » .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ، قال حاجب :  
بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

### ٣٤ — خطبة الحارث بن عباد

ثمّ قام الحارث بن عباد البكريّ ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشأوه <sup>(٨)</sup> ،  
كثُرَ مَتْنُحُهُ <sup>(٩)</sup> ، ومن ذهب ماله ، قلَّ مَنْنُحُهُ . تناقل الأقاويل يُمرِّفُ اللبَّ ، وهذا

---

(١) ورى الزند بفتح الراء وكسرهما وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريته ووريته  
واستوريته ، والزند : العود الذي يقدح به النار جمعه زناد وأزند وأزناد . (٢) استحصد الحبل :  
استحکم ، والمرّة : طاقة الحبل ، والقوة : العقل . كناية عن قوتهم . (٣) الدرة : اللبن كالدر .  
(٤) عصارة : شجر مر . (٥) هي احتمال المكروه . والدلة والمنقصة . (٦) ماء زلال :  
مرّيع المر في الخلق بارد عذب صاف سهل سلس . (٧) سهولة . السلس : السهل اللين المنقاد .  
(٨) الرشاء : الحبل . (٩) المتح : نزع الماء من البئر .

مقام سَيُوجِفُ<sup>(١)</sup> بما ينطق به الرَّكْبُ ، وتعرف به كُنْهَ حَالِنَا الْعَجَمِ والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعاونك المعينون ، خيولنا جَمَّةٌ ، وجيوشنا فِخْمَةٌ ، إن استنجدتنا فغير رُبُضٍ<sup>(٢)</sup> ، وإن استطرقتنا<sup>(٣)</sup> فغير جُهْضٍ<sup>(٤)</sup> ، وإن طلبتنا فغير غُمُضٍ<sup>(٥)</sup> ، لا نشقى لِدَعْرٍ ، ولا نَنْتَكِرُ لَدَهْرٍ ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مِرّة ! قال كسرى : لو قصرَ عمرُكَ ، لم تَسْتَوِلِ عَلَى لسانك نَفْسُكَ . قال الحرث : أيها الملك إنَّ الفارس إذا حمل نفسه عَلَى السكتيبة مُعَرِّراً بنفسه عَلَى الموت ، فهي مَنِيَّةٌ استقبلها ، وَجِنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قُدماً<sup>(٦)</sup> ، وأحبسها وهي تَصَرَّفُ بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وَسَعَرَتْ لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جَعَلَتْ مَقَادَهَا رُحَى ، وَبَرَقَهَا سِيفِي ، وَرَعَدَهَا زَيْبِرِي ، ولم أَقْصِرْ عَنْ خَوْصِ خَضَخَاضِهَا<sup>(٧)</sup> ، حتى أَنفَمَسَ فِي غَمْرَاتِ بُلْجِهَا ، وَأَكُونَ فُلُكَا لِقِرْسَانِي إِلَى بُجْبُوْحَةٍ كَبِشْهَا<sup>(٨)</sup> ، فَاسْتَمَطَرَهَا دَمًا ، وَأَتْرَكَ مُجَاهَتَهَا جَزَرَ<sup>(٩)</sup> السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرٍ

(١) وجف الفرس والبعير عدا ، وأوجفته : أعديته ، يقال : أوجف فأجحف (فا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما عملتم .

(٢) يقال : رجل ربض عن الحاجات لا يبهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربض الشاة كبركت الناقة : أى لا نتقاعس عن نصرتك ولا نحجم . (٣) استطرقة فحلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا هو الأصل ، والمراد استعنت بنا . (٤) أجهضت الناقة والمرأة ولدها : أسقطته ناقص الخلق ، والسقط : جهيض ، وجمعه جهض ، أى أن فعلنا إذا ضرب النياق (نكحها) ثم تأت بجهض بل تنتج ، والمراد أنه إن استنجد بهم أتمر ذلك الاستنجد ولم يجب . (٥) من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ، ولا أغمضت ؛ ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، وللمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا تنام عن نصرتك . (٦) القدم : المضى أمام أمام ، وهو يمشي القدم : إذا مضى في الحرب . والقدم : المقدم الشجاع . وفي الحديث « طوي لعبيد مغبر قدم في سبيل الله » . (٧) الخضخاض : نفض أسود رقيق تهناً به الإبل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الخاء ، والخضاخض : المسكان الكثير الماء . (٨) سيد القوم وقائدهم . (٩) أى قطما .

قَسَمَ<sup>(١)</sup> . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذلك هو ؟ قالوا : فماله أنطق  
من لسانه .

قال كسرى : ما رأيت كاليوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

### ٣٥ - خطبة عمرو بن الشريد

ثم قام عمرو بن الشريد السلمى ، فقال :

« أيها الملك ، نعم بالك ، ودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام متدبرة ،  
وأشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير ثقل ، وفي قليل بلغة ، وفي الملوك سورة<sup>(٢)</sup> العز ،  
وهذا منطوق له مابعد ، شرف فيه من شرف ، وحمل فيه من حمل ، لم تأت لضيحك ،  
ولم نعد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك<sup>(٣)</sup> ، إن في أموالنا منتقداً<sup>(٤)</sup> ، وعلى عزتنا  
ممتداً ، إن أزيئنا<sup>(٥)</sup> نارا أئقنا ، وإن أود<sup>(٦)</sup> دهر بنا اعتدنا ، إلا أنا مع  
هذا لجوارك حافظون ، ولئن رامك كافحون ، حتى يُحمد الصدر<sup>(٧)</sup> ويستطاب  
الخبر » .

قال كسرى : ما يقوم قصد منطقتك بإفراطك ، ولا مدحك بذمك ، قال عمرو :  
كفى بقليل قصدى هاديا ، وبأيسر إفراطى مُجبرا ، ولم يُلم من غربت نفسه عما يعلم ،  
ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به .  
اجلس .

(١) مسن . (٢) سورة المجد : أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سلوته ( والسورة المنزلة )

بالضم . (٣) الرفد : العطاء . (٤) انتقد الدراهم قبضها . (٥) أو قدنا . (٦) اعرج .

(٧) الرجوع .

### ٣٦ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أحضر الله الملك إسعاداً ، وأرشده إرشاداً ، إن لكل منطلق فُرصة ، ولكل حاجة غصّة ، وعي المنطق أشد من عي الشكوت ، وعثار القول أنكأ<sup>(١)</sup> من عثار الوعث<sup>(٢)</sup> . وما فُرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغصّة المنطق بما لانهوى غير مستساغة<sup>(٣)</sup> ، وترك ما أعلم من نفسي ، ويُعلم من سمعي أني له مطيق ، أحب إليّ من تكلفي ما أتخوّف ويتخوّف مني ، وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعمّ حامل المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة<sup>(٤)</sup> ، ورقابنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وسموتَ بفضل ، وعلوتَ بذنبل .

### ٣٧ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نهجت<sup>(٥)</sup> لك سبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، إن للأقويل مناهج ، وللآراء موالج<sup>(٦)</sup> وللعويص مخارج ، وخير القول أصدقه ، وأفضل الطلب أنجح ، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قرّبتنا ، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزّب عنك ، بل لو قست كلّ رجل منهم ، وعلمت منهم ما علمنا ، لوجدت له في آبائه

(١) نكأ العدو ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أي أشد نكاية وقهراً . (٦) الوعث :

المكان السهل الدهس تنيب فيه الأقدام والطريق العسر . (٣) أساغ الفصة ابتلعها ، وساغ الشراب :

سهل مدخله في الخلق . (٤) خاضعة ومقررة ، بفتح بالحق أقر به وخضع له . (٥) وضعت .

(٦) مداخل ، جمع مولج . كجلس ، وليج يلج ولو جا ولجة .

دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرْفِ وَالشُّوْءِ دُ (١) مُوصُوفٌ ،  
وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ النَّافِذِ (٢) مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ (٣) ، وَيَبْدُودُ  
أَعْدَاءَهُ ، لَا تَحْمُدُ (٤) نَارَهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ  
فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ (٥) الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَبِالْبَحْرِ الزَّوَاخِرِ طُمُيًّا (٦) ،  
وَالنَّجُومِ الزَّوَاهِرِ شَرَفًا ، وَالْحَصَى عَدَدًا ، فَإِنْ تَعْرِفْ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يُعْرِثُوكَ ، وَإِنْ  
تَسْتَصْرِخَهُمْ (٧) لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى : وخشى أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - حسبك  
أبلغت وأحسنت .

### ٣٨ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني ، فقال :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمُرَاشِدَ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ (٨) !  
مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْتَنَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ !  
لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمُسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ نَتَعَلَّمُ أَنْتَ وَرَعِيَّتُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ  
وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرِ مُحْجِمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرِ مُقَصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَعَبِيرٌ  
مُسَبُوقِينَ ، وَإِنْ سُوْمِينَا فَعَبِيرٌ مَغْلُوبِينَ » .

(١) السوود بفتح الدال والسوود بضمها والسود والسيادة . (٢) الظاهر أثره .

(٣) ندأى . جمع ندمان ، وهو التذم ، وجمع التذم ندماء ، ونادمه : جالسه على الشراب ( ندمان  
بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى نادم فلا يصرف لأن مؤنثه ندى :

كل فعلان فهو أنثاه فعلى غير وصف التذم بالندمان )

(٤) خد : كنصر وسمع . (٥) اختر واصطف . (٦) طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت

طال والبحر امتلا ، وهمة علت . (٧) تستجد بهم . (٨) جمع شخصية ، وهى الشدة .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين ( وهو يمرضُ به في تركه الوفاء بضمانه السواد<sup>(١)</sup> ) قال قيس : أيها الملك ما كنتُ في ذلك إلا كَوَافٍ غَدِرَ به ، أو كخافر أخفِرَ بدمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لذليل خفارة ، قال قيس : أيها الملك : ما أنا فيما أخفِرَ من ذمتي أحقُّ بِالرَّامِي العَارِ منك فيما قتل من رَعِيَتِكَ ، وأنتَهِكَ من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من ائتمن الخيانة<sup>(٢)</sup> ، واستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لم يُحْكِم قواه ، فَيُبرِم ، وَيَمهدُ فيوُفي ، وَيَعِدُ فيُنجز ، قال وَمَا أَحَقُّهُ بذلك ، وَمَا رأيتَه إِلَّا لي ، قال كسرى : القوم بزل<sup>(٣)</sup> فأفضلها أشدُّها .

### ٣٩ خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثمَّ قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

« كثير فنون المنطق ، وَلَبَسُ القول أعمى من حِنْدِس<sup>(٤)</sup> الظلماء ، وَإِنما الفخر في الفعال ، وَالعجز في النجدة ، وَالسُّودد مطاوعة القدرة<sup>(٥)</sup> ، وَمَا أَعلمك بقدرنا ، وَأَبصرَك بفضلنا ، وبِالْحَرَمِي<sup>(٦)</sup> إِنْ أَدالت<sup>(٧)</sup> الأيَّام ، وَتَأبَّت الأَحلام أَنْ تَحْدِثَ لنا أُمورا لها أَعلام<sup>(٨)</sup> . قال كسرى : وَمَا تلك الأَعلام ، قال مُجْتَمِع<sup>(٩)</sup> الأَحياء من ربيعة ومُضَر ، على أمرٍ يذكَر قال كسرى : وَمَا الأمر الذي يذكَر ؟ قال : مَالِي علم بأكثر مما خَبَرَنِي به مخبر ، قال كسرى : متى تكاهنت يا بن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، وَلَكِنِّي بِالرَّمَحِ

(١) أي سواد العراق . (٢) الخيانة والخوننة : جمع خائن . (٣) البازل : الجمل في السنة التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته جمع بزل وبزل . (٤) الليل المظلم والظلمة . (٥) أي أن يأتي المرء ما يقدر عليه ، فإن ذلك يبلغه السودد . (٦) خليق وجدير . (٧) نصرتنا . (٨) أي مشهورة . (٩) اجتماع .

طاعن ، قال كسرى : فإن اتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع ؟ قال :  
ما هَيْبَتِي فِي قَفَايَ بِدُونِ هَيْبَتِي فِي وَجْهِ ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ<sup>(١)</sup> ، وَلَكِنْ  
مَطَاوَعَةُ الْعَيْثِ .

### ٤٠ - خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فقال :

« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ ، وَمِلَاكِ النَّجْمَةِ<sup>(٢)</sup>  
الارْتِيَادِ ، وَعَقْوُ الرَأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ ، وَتَوْقِيفِ الْخُبْرَةِ خَيْرٌ مِنْ أَعْتِسَافِ  
الْخَيْرَةِ ، فَاجْتَنِبْ<sup>(٣)</sup> طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ ، وَاجْتَنِبْ بَادِرَتَنَا بِجَهْلِكَ ، وَأَلِنْ لَنَا كَنْفَكَ يَسَلْسُ  
لَكَ قِيَادَنَا ، فَإِنَّا أَنَاسٌ لَمْ يُوقَسْ<sup>(٤)</sup> صَفَاتِنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرِ<sup>(٥)</sup> مِنْ أَرَادَ لَنَا قَضَا<sup>(٦)</sup> ، وَلَكِنْ  
مَتَمَعْنَا حَمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا »

### ٤١ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثم قام الحارث بن ظالم المري ، فقال :

« إِنْ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكُذْبُ ، وَمِنْ لُؤْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ ، وَمِنْ خَطَلِ الرَأْيِ خِيفَةُ  
الْمَلِكِ الْمُسَلَّطِ ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنْ مَوَاجِهْتَنَا لَكَ عَنِ الْإِتْتِلَافِ ، وَأَنْقِيَادَنَا لَكَ عَنِ تَصَافِي ،  
فَمَا أَنْتَ لِقَبُولِ ذَلِكَ مَنَا بِخَلِيقِ ، وَلَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ بِحَقِيقِ ، وَلَكِنْ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ،  
وَالْحِكْمُ وَثَمَةُ الْعُقُودِ ، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَعْتَدِلٌ ، مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ قِبَلِكَ  
مِيلٌ أَوْ زَلٌّ . »

(١) الإفساد . (٢) النجمة : طلب الكلاذ في موضعه . (٣) اجتنب . (٤) الوقس :

انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أي لم يحدش صفاتنا ويؤثر فيها . (٥) جمع منقار ،

وهو حديدة كالقأس ينقر بها . (٦) أصله الأكل بأطراف الأسنان .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على  
خلة وفائك ، وأن تكون أولى بالقدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن في الحقِّ  
مَغْضَبَةٌ . والسَّرْوُ التَّغافلُ <sup>(١)</sup> ، وإن يستوجب أحدُ الحلم لإمع القدرة ، فلتُشْبِهْ أفعالك  
بجاسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم

ثم قال كسرى : قد فهمت مانظقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أني  
أعلم أن الأدب لم يُثَقَّفْ أودَّكم ، ولم يُحكَّم أسركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم ،  
فتنتظون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخمة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب  
على طباعكم ، لم أجز لكم كبراً مما تكلمتم به ، وإني لأكره أن أُجِبَّه وفودى ،  
أو أُحْنِق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مُدَبَّرِكُمْ ، وتآلف شواذكم ، والإعذار إلى  
الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب ، وصفححت عما كان فيه  
من خلل ، فانصرفوا إلى ملسكم ، فأحسنوا موازرتة ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم  
وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدهم ، فإن في ذلك صلاح العامة . (العقد الفريد ١: ١٠١)



## ٤٢ - مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مَخَالِسُ بنُ مَزَاحِمِ السَّكَلَبِيِّ ، وقَاصِرُ بنُ سَلَمَةَ الجَذَامِيّ يَسَابُ النُّعْمَانَ بنَ المُنْذِرِ ، وكان بينهما عداوة ، فأتى قاصر إلى ابن فراتني وهو عمرو بن هند أخو النعمان ابن المنذر ، وقال : إن مخالساً هجاك ، وأنشده في ذلك أبياتاً ، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان ، فشكا مخالساً وأنشده الأبيات ، فأرسل النعمان إلى مخالس ، فلما دخل عليه قال : « لا أَمَّ لك ! أهجو اسراً هو ميثماً خيرٌ منك حياً ، وهو سقيماً خيراً منك صحيحاً . وهو غائباً خيرٌ منك شاهداً ؟ فبِحُرْمَةِ ماءِ المِزْنِ <sup>(١)</sup> ، وَحَقِّ أَبِي قابوس <sup>(٢)</sup> ، لئن لاح لي أن ذلك كان منك ، لأنزِرَ عَنَّا غَلَصَمَتَكَ من قفاك ، وَلَا طَعِمَتَكَ لحك » .

قال مخالس : « أبيت اللعن ! كلا ، والذي رفع ذِرْوَتَكَ بأعمادِها ، وأمات حُسَادَكَ بأكادِها ، ما بُلِّغْتَ غيرَ أقاريلِ الوُشَاةِ ، وَتَمَأَّمِ العُصَاةِ ، وما هجوتُ أحداً ، ولا أهجو اسراً ذكرتُ أبداً ، وإني أعوذُ بِجَدِّكَ السَّكْرِيمِ ، وَعِزِّ بَيْتِكَ القَدِيمِ ، أن ينالني منك عقاب ، أو يفاجئني منك عذاب ، قبل الفحص والبيان ، عن أساطير أهل البهتان » . فدعا النعمان قاصراً فسأله ، فقال قاصر : « أبيت اللعن ! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواء » فقال مخالس : « لا يأخذنَّ أيها الملك منك قولُ اسرِيٍّ أَفِيكَ <sup>(٣)</sup> ، ولا تُورِدُنِي سبيلَ المَهالِكِ . واستدليلٌ على كذبه بقوله : إني أرويته مع ما تعرف من عداوته » ، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا ، قال مخالس لقاصر : « شَقِيَّ جَدُّكَ ، وَسَقُلَ خَدُّكَ ، وَبَطَلَ كَيْدُكَ ، ولاح للقوم جُرْمُكَ ، وطاش عني سَهْمُكَ ، ولأنت أضيقُ حِجْرًا من نَقَّازِ <sup>(٤)</sup> ، وأقلُّ قُوًى من الحامل على السَّكَرَازِ <sup>(٥)</sup> » فأرسلها مثلاً .  
(جمع الأمثال ١ : ١٤٠)

(١) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، جمع مزنة . (٢) يعني نفسه وأبو قابوس كنيته .  
(٣) كذاب . (٤) الحجر : العقل ، والنقاز : كرمان ، وشداد : طائر أو صفار العصفير ومن قول حسان بن ثابت :

لابأس بالقوم من طول ومن قصر  
جسم البغال وأحلام المصافير  
(٥) السكراز : السكبش يحمل خرج الراعى ، أى أقل قوى من الراعى يحمل زاده على السكبش ، وهو مثل يضرب لمن يرمى بالوؤم .

### ٤٣ - ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر

قيل إن رجلاً من بني تميم يقال له ضمرة بن ضمرة ، كان يُغِير على مَسَالِحِ<sup>(١)</sup> النعمان بن المنذر ، حتى إذا عِيلَ صبر النعمان ، كتب إليه أن أدخُلَ في طاعتي ، ولك مائة من الإبل ، فقبلها وأتاه ، فلما نظر إليه أزدراه - وكان ضمرة دَمِيماً - فقال : تسمع بالمُعَيْدِيَّ لأن تراه<sup>(٢)</sup> . فقال ضمرة : مَهَلًا أيها الملك . إن الرجال لا يكأون بالصيغَانِ<sup>(٣)</sup> . وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه . إن قاتلَ قاتلَ يَجْنَان . وإن نطق نطق ببيان . قال : صدقت لله دَرَكٌ ، هل لك علم بالأُمور والوُلُوجِ فيها ؟ قال : والله إني لأُبرِمُ منها المَسْحُولَ<sup>(٤)</sup> . وأتقُضُ منها المَقْتُولَ . وأحِيلها حتى تَحُولَ ، ثم أنظر إلى ما يثول . وليس للأُمور بصاحبٍ . مَنْ لا ينظر في العواقب . قال : صدقت ، لله درك ! فأخبرني : ما العجز الظاهر ، والفقر الحاضر ، والداء العِيَاءُ<sup>(٥)</sup> ، والسوءة السوءاء ؟ قال ضمرة :

« أمّا العجز الظاهر . فالشابُّ القليل الحيلة . الزُّومُ لِلْحَلِيلَةِ . الذي يحوم حولها . ويسمع قولها . فإن غَضِبْتَ تَرَضَّاهَا . وإن رَضِيتَ تَفَدَّاهَا . وأما الفقر الحاضر فالمرء لا تشبَعُ نفسه . وإن كان من ذهبٍ خِلْسُهُ<sup>(٦)</sup> . وأما الداء العِيَاءُ : فجار السوء ، إن كان فوقك قَهْرَكَ ، وإن كان دونك هَمَزَكَ<sup>(٧)</sup> . وإن أعطيته كفرَكَ ، وإن منعتَه شتمَكَ ، فإن كان ذلك جارك ، فأخْلِ له دارَكَ ، وَعَجَّلْ منه فِرَارَكَ ، وإلا فأقِمِ بذلَّ

(١) مسالِح جمع مسلحة بالفتح وهى الثغر . (٢) وفي رواية « تسمع بالمعیدی خیر من أن تراه » وهو مثل يضرب لمن خبره خیر من مرآه ، والمعیدی تصغیر المعدی نسبة إلى معد وهو حی ، خففت الدال استثقلاً للتشديد مع ياء التصغیر ، وقيل منسوب إلى معید وهو اسم قبيلة . (٣) الصيغان جمع صاع وهو مكيال يكال به ، ومعياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفى الرجل الذي ليس بمظيم السكفين ولا صغيرهما . وحرر بعض المحققين أن الصاع بالمصرى قد حان وثلاث . (٤) سحل الثوب: لم يبرم غزله . (٥) داء عيَاء : لا يبرأ منه . (٦) الخلس كسأه يجعل على ظهر البعير تحت رحله . (٧) الممز : الغمز .

وصَفَّارٌ ، وكن ككلبِ هَرَّارٍ<sup>(١)</sup> ، وأما السوءة السوءاء : فالحليلة الصَّخَّابة<sup>(٢)</sup> ، الخفيفة الوثابة ، السليطة<sup>(٣)</sup> السَّبابَةُ ، التي تَعَجَّبَ من غير عَجَبٍ ، وتغضب من غير غضب ، الظاهر عيبها ، والخوف غيبها ، فزوجها لا يصلح له حال ، ولا ينعم له بال ، إن كان غنياً لا ينفعه غناه ، وإن كان فقيراً أبدت له قِلَاهُ<sup>(٤)</sup> ، فأراح الله منها بعلها ، ولا متع الله بها أهلها .

فأعجب النعمان حُسنُ كلامه ، وحضور جوابه ، فأحسن جائزته . واحتبسه قبلة .

(جمهرة الأمثال ١ : ١٨٦)

### ٤٤ — لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وقد على الثعمان بن المنذر عامرُ بن مالك مُلاعِبُ الأسنَّةِ في رهطٍ من بني جعفر ابن كلاب ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فطن فيهم الربيعُ بن زياد العنسي ، وذكر معايبهم — وكان نديماً للنعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء — فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً ، فأوا منه جفاء — وقد كان يكرمهم ويقر بهم — فخرجوا غضاباً ، ولبيد متخلفٌ في رحالهم ، يحفظ متاعهم ، وَيَقْدُو بِإِبْهَمِ كُلِّ صَبَاحٍ يَرَاهَا — وكان أحدثهم سنّاً — فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعاً ، ولا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعيراً ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدّ عنا وجهه ، فقال لبيد : هل تقدرين على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقول مُمَضِّ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإننا نبلوك .

(١) هرير الكلب : صوته ، وهو دون النباح . (٢) أى كثيرة اللغظ والجلبة من الصخب

بالتحريك . (٣) الطويلة اللسان من السلاطة كفصاحة . (٤) القتل : البغض والكرهية .

قال : وما ذلك ؟ قالوا : تَشَمُّ هذه البَقْلَةُ - وَقَدْ آمَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْأَوْراقِ ، لاصِقَةٌ بِالْأَرْضِ ، تَدْعَى التَّرْبَةَ - فقال :

« هذه للتربة التي لا تُذَكِّي<sup>(١)</sup> نَاراً ، ولا تُؤْهِلُ<sup>(٢)</sup> داراً ، ولا تَسْرُثُ جاراً ، عُوْدُها ضَنْبِيلٌ ، وَفَرْعُها كَلِيلٌ<sup>(٣)</sup> ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرْعَى ، وأقصرها فَرَعاً ، وأشدّها قَلَمًا ، فَتَعَسَّأَ لها وَجَدْعًا<sup>(٤)</sup> ، بلدها شاسع<sup>(٥)</sup> ، وَنَبْتُها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع<sup>(٦)</sup> ، فآلقوا بي أخا بني عَبْسٍ ، أَرُدَّه عنكم بِتَعَسٍ<sup>(٧)</sup> وَنُكْسٍ ، وأتركه من أمره في لَبْسٍ . »

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد رَجَزاً مَالِبِثٍ معه النعمان أن تقرز منه ، وأمره بالانصراف إلى أهله

(مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ وجمهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجيلاء الأبناء ص ١٧١ ، وأمال السيد المرقي ١ : ١٣٥ )

## ٤٥ - كلمات هند بنت الحُسن الإيادية

أتى رجل هندَ بنت الحُسن الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها . فقالت : « انظر رمكاء<sup>(٨)</sup> جَسِيمَةً ، أو بيضاء وَسِيمَةً ، في بيتِ جِدِّ ، أو بيتِ حَدِّ ، أو بيتِ عَزِّ » قال : حاتركت من النساء شيئاً ، قالت : « بلى ، شرَّ النساء تركتُ : السُوَيْدَاءُ المِمرَاضُ<sup>(٩)</sup> ، والأَحْمِيرَاءُ المِحياضُ<sup>(١٠)</sup> الكَثيرة المِظاظِ<sup>(١١)</sup> . »

وقيل لها : أي النساء أسوأ ؟ قالت : « التي تقعدُ بالفناء ، وتملاً الإِناء ، وتمذُقُ<sup>(١٢)</sup>

(١) تذكي : تشمل . (٢) أي ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهي كل ما يؤتمد

به ، ويقال ثريدة مأهولة : أي فيها إهالة . (٣) ضعيف . (٤) قطعاً . (٥) بعيد .

(٦) أي سائل . (٧) الشمس : الهلاك .

(٨) الرمكاء : السمراء ، والرمكة كحمر لون الرماد . (٩) الممرض : المسقام .

(١٠) الكثيرة الحيض . (١١) المظاظ : المنازعة والمشاركة . (١٢) تمزج .

مافى السقاء» قيل: فأى النساء أفضل؟ قالت: «التى إذا مشت أغبرت»<sup>(١)</sup>، وإذا نطقت صرصرت<sup>(٢)</sup>، متوركة جارية<sup>(٣)</sup>، فى بطنها جارية<sup>(٤)</sup>، يتبعها جارية<sup>(٥)</sup>.

قيل: فأى الغلمان أفضل؟ قالت: «الأسوق الأعنق»<sup>(٦)</sup>، الذى إن شبَّ كأنه أحق» قيل: فأى الغلمان أفضل<sup>(٦)</sup>؟ قالت: «الأويقص»<sup>(٧)</sup> القصير العصد، العظيم الحاوية<sup>(٨)</sup>، الأغيب الغشاء، الذى يطبع أمه، ويعصى عمه.

(الأمالي ٢ . ٢٦٠)

\*\*\*

وقيل لها: أى الرجال أحب إليك؟ قالت: السهل النجيب، السمح الحسيب، النذب<sup>(٩)</sup> الأريب، السيد المهيب، قيل لها: فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا؟ قالت: نعم الأهيف الهفاهف<sup>(١٠)</sup>، الأنف العياف، المفيد المتلاف، الذى يُخيف ولا يخاف، قيل لها: فأى الرجال أبغض إليك؟ قالت: الأوره<sup>(١١)</sup> النثوم، الوكل النثوم، الضعيف الحيزوم، اللثيم الملووم. قيل لها: فهل بقى أحد شر من هذا؟ قالت: نعم، الأحق النزاع، الضائع المضاع، الذى لا يهاب ولا يطاع، قالوا: فأى النساء أحب إليك؟ قالت: البيضاء العطرة، كأنها ليلة قمرة<sup>(١٢)</sup> قيل: فأى النساء

(١) أثارى الثبار فى مشيتها . (٢) أحدثت صوتها . (٣) أى حاملة لها على وركها .

(٤) أى هى مثنات . (٥) الأسوق : الطويل الساق ، والأعنق : الطويل العنق .

(٦) أفضل من نسل : كسكرم وعلم وعنى فسالة وفسولة فهو نسل ؛ أى رذل لا مروءة له .

(٧) الأويقص : تصغير أوقص ، وهو الذى يذنو رأسه من صدره .

(٨) ماتحوى من الأمعاء أى استدار .

(٩) النذب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، والأريب : العاقل . (١٠) الأهيف وصف

من الهيف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقميمص الهفاهف ، أى الرقيق الشفاف . (١١) الأوره :

الأحقق من وره كفرح . (١٢) ليلة قررة وقرءة ومقمره : فيها القمر .

أبغض اليك؟ قالت: العنْفِصُ<sup>(١)</sup> القصيرة، التي إن اسندتْظَمَّتْهَا سَكَتَتْ، وإن سَكَتَتْ  
عنها نَطَقَتْ». (ذيل الأمال ص ١٢٠)

\*\*\*

وقال لها أبوها يوماً: أى المال خير؟ قالت: «النَّخْلُ، الراسخاتُ في الوَحْلِ،  
الطعمياتُ في المَحَلِّ<sup>(٢)</sup>» قال: وأى شيء؟ قالت: «الضَّانُّ: قريةٌ لا وباءَ بها. تُنْتَجِبُهَا  
رِخَالًا<sup>(٣)</sup>، وتَحْلِبُهَا عَلَالًا<sup>(٤)</sup>، وتُجَزُّ لها جُفَالًا<sup>(٥)</sup>، ولا أرى مثلاً مالا» قال: فالإبل  
مالكٌ تُؤَخَّرُ رَيْنُهَا؟ قالت: «هى أذكار الرجال، وإِرْقَاءُ الدماءِ، ومُهْوَرُ النساءِ» قال:  
فأى الرجال خير؟ قالت:

خير الرِّجَالِ المُرَهَّقُونَ كما خيرُ تِلَاعِ البلادِ أَوْطُوها<sup>(٦)</sup>

قال: أيهم؟ قالت: «الذى يُسْأَلُ ولا يَسْأَلُ، ويُضَيَّفُ ولا يُضَافُ، ويُضْلِحُ ولا  
يُضْلَحُ». قال: فأى الرجال شر؟ قالت: «النُّصَيْطُ النُّطَيْطُ<sup>(٧)</sup> الذى معه سُوَيْطُ<sup>(٨)</sup>،  
الذى يقول أذركونى من عبدِ بنى فلان؛ فإنى قاتلُه أو هو قاتلى». قال: فأى النساءِ  
خير؟ قالت: «التي فى بطنها غلامٌ، تحمل على وركها غلامًا، يمشى وراءها غلامٌ»  
قال: فأى الجمال خير؟ قالت: «السَّبْحَلُ الرَّبَّجَلُ<sup>(٩)</sup>، الراحلة الفحل». قال:

(١) العنْفِصُ: المرأة البديهة القليلة الحياء، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة.

(٢) المحل: الشدة والجذب وانقطاع المطر. (٣) الرخال جمع رخل كحمل وكثف، وهو الأثني

من أولاد الضأن. (٤) يقال عاللت الناقة، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره، والاسم علال  
ككتاب. (٥) الجفال: الكثير من الصوف.

(٦) المرهق: من يقشاه الناس والأضياف. (٧) النطيط: الذى لالحية له، والنطيط:

ذلهذريان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة.

(٨) تصغير سوط. (٩) السبحل والربجل: البعير الضخم الكثير اللحم.

أرأيتك الجذع<sup>(١)</sup> ، قالت : لا يضرب ، ولا يدع ، قال : أرأيتك الثني<sup>(٢)</sup> قالت :  
يضرب ، وضرباهُ وفي<sup>(٣)</sup> ، قال : أرأيتك السدس<sup>(٤)</sup> ، قالت : ذاك العرس<sup>(٥)</sup> .  
(نيل الأمل ص ١٠٨)

\*\*\*

وقيل لها : أئى الخليل أحب إليك ؟ قالت : « ذوالليعة الصنيع<sup>(٦)</sup> ، السليط  
التليع<sup>(٧)</sup> ، الأيد الضليع<sup>(٨)</sup> الملهب<sup>(٩)</sup> السريع » فقيل لها : أى الفيوث أحب إليك ؟  
قالت : « ذوالهيذب المنبثق<sup>(١٠)</sup> ، الأضخم الموثلق<sup>(١١)</sup> الصخب المنبثق<sup>(١٢)</sup> » وقيل  
لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤبل يشف الفقر من ورائه ، مال الضعيف ، وحرقة  
العاجز « قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت « قرية لاجى بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟  
قالت : « بنج<sup>(١٣)</sup> ، جمال ومال ، ومئى الرجال » . قيل : فما مائة من الخليل ؟ قالت :

- 
- (١) أرأيتك : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرنى ، الجذع : البعير إذا كان فى السنة الخامسة .  
(٢) البعير إذا كان فى السادسة وألقى ثنيته . (٣) قال أبو على : الصواب أئى أى بطل .  
(٤) السدس : البعير إذا كان فى الثامنة . (٥) العرس : الأسد .  
(٦) ماع الفرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة  
(بفتح الصاد فهما) والصنيع ذلك الفرس . (٧) السليط : الشديد ، والحديد من كل شئ ، والتليع :  
الطويل العنق من التلع بفتحيتين وهو طول العنق . (٨) الأيد ككيس : القوى ، من آد يثيد أيذا أى  
قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلاعة ، وهى القوة وشدة الأضلاع .  
(٩) هو الذى يجهد فى عدوه حتى يثير الغبار ، من أهب . (١٠) الهيدب : السحاب المتدلى ،  
والمنبثق : المنبج بالمطر . (١١) الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شئ ، واثلق  
البرق وتألقت : لمع . (١٢) الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبثق : المنفجر  
(١٣) بنج كقده : أى عظم الأمر وقبحه ، تقال وحدها وتكرر ، بنج الأول منون مكسور ، والثانى  
مسكن ، ويقال فى الإفراء : بنج ساكنة الخاء ؛ وبنج مكسورة ، وبنج منونة مضمومة ، ويقال  
بنج بنج مسكين ، وبنج بنج منونين مكسورين ، وبنج بنج مكسورين مشددين منونين كلمة تقال عند الرضا  
والإعجاب بالشئ .

« طَفْنِي مِنْ كَانَتْ لَهُ وَلَا يُوْجَدُ » قِيلَ : فَمَا مَاءَةٌ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : عَازِبَةٌ <sup>(١)</sup> اللَّيْلِ ،  
وَخِزْيُ الْمَجْلِسِ ، لَا لَبَنَ فَيُحَلَّبُ ، وَلَا صَوْفَ فَيَجْرَزُ ، إِنْ رُبِطَ عَيْرُهَا <sup>(٢)</sup> أَدْنَى ،  
وَإِنْ تَرِكَ وَلَّى ، وَقِيلَ لَهَا : مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِكَ ؟ قَالَتْ « مَنْ كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ » .  
( سرح العيون ص ١٨٤ )

\*\*\*

وقالت : « أَخْبِثُ الذَّنَابُ ذَنْبُ الْقَضَا <sup>(٣)</sup> ، وَأَخْبِثُ الْأَفَاعِي أْفْعَى الْجَدَبِ ،  
وَأَسْرَعُ الظُّبَاءِ ظُبَاءُ الْحُلْبِ <sup>(٤)</sup> ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ الْأَعْيَفَ <sup>(٥)</sup> ، وَأَجْمَلُ النِّسَاءِ الْفَضْمَةُ  
الْأَسِيلَةُ <sup>(٦)</sup> ، وَأَقْبَحُ النِّسَاءِ الْجَهْمَةُ الْقَفْرَةُ <sup>(٧)</sup> ، وَأَأْكَلُ الدَّوَابِّ الرَّغُوْثُ <sup>(٨)</sup> ، وَأَطْيَبُ  
اللَّحْمِ عُوْذُهُ <sup>(٩)</sup> ، وَأَغْلَظُ لِلْوَاطِيِّ الْحَصَى عَلَى الصَّقَا ، وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَزُكِي <sup>(١٠)</sup>  
وَلَا يُدْكَى <sup>(١١)</sup> ، وَخَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ <sup>(١٢)</sup> ، أَوْ مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ <sup>(١٣)</sup> » .  
( مجمع الأمثال ١ : ١٧٤ )

(١) يقال جمل عازب : أى لا يروح على الحى من العزوب : وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خزي  
المجلس ، أى بما تحدثه من النهيق المزعج والإدلاء . (٢) العير : الحمار ( وغلب على الوحشى ) ،  
وأدلى : أى أخرج قضيبه ليبول أو يضرب .  
(٣) القضا : شجر له جمر يبقى طويلا . (٤) الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى  
ضروباً من البهائم بضروب من المراعى تنسبها إليها ، فيقولون : ظبى الحلب ، وتيس الربلة ( والربل محرمة  
نبات شديد الخضرة ) ، وشيطان الحماطة ( والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى  
الحيات ) . . الخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان . (٥) من المعجب  
بالتحريك وهو ذهاب السمن . (٦) الطويلة المسترسلة . (٧) الجهمه : مؤنث الجهم وهو الوجه  
الغليظ المجتمع السمج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك : أى الشعر . (٨) الرغوْث : كل مرضعة  
كالمرغْث . (٩) ما عاذ بالعظم من اللحم . (١٠) زكى كرضى نما وزاد كزكا يزكو . (١١) ذكى  
تذكية : سمن وبدن ( بضم الدال ) . (١٢) السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من  
أبرت النخل آبره إذا لقتحه وأصلحته . (١٣) مأبورة : أى كثيرة الولد ، من أمرها الله أى كثرتها ،  
وكان ينبغي أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ فى كتاب بلاغات النساء ص ٥٧ فصلا طويلا  
فى كلام هند بنت الحس وأختها جمعة .



## ٤٦ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى ( وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم ) فقال :  
« اسمعوا وعُوا ، وَتَعَلَّمُوا تَعْلَمُوا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، لَيْلِ سَاجٍ <sup>(١)</sup> ، وَنَهَارِ صَاجٍ <sup>(٢)</sup> ،  
وَالْأَرْضِ مِهَادٍ ، وَالْجِبَالِ أَوْتَادٍ ، وَالْأُولُونَ كَالْآخِرِينَ ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَى بَلَاءٍ ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ،  
وَأَصْلِحُوا أحوَالَكُمْ . فَهَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَلِكٍ رَجَعَ ، أَوْ مَيِّتًا نُشِرَ ، الدَّارَ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنَّ  
خِلَافَ مَا تَقُولُونَ ، زَيْنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظُمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَفَارِقُوهُ ، فَمَسَّكُوا لِي نَبَأٌ عَظِيمٌ  
وَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَأَخْتِلَافٌ حَوَادِثِ سَوَاءٍ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا  
يَثُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوَبَا وَبِالنِّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُتُورُهَا <sup>(٣)</sup>  
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلَهَا لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا  
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَبِيرُهَا

ثُمَّ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَحَوَاءُ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تُبْنِي الْحَقَّ خِذْلَانَا <sup>(٤)</sup>

( صبح الأعشى ١ : ١١٢ )

(١) الساجي : الساكن والدائم . (٢) لعله ساج من ضج القوم صاحوا واجلبوا .

(٣) التأوب الرجوع . (٤) فحوى الكلام وفحواؤه معناه و مذهبه .

## ٤٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بَابِهَا ، فَيَخْطُبُ قُرَيْشًا ، فَيَقُولُ :

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْتُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ ، أَحْسَنُهَا وَجُوهًا ، وَأَعْظَمُهَا أَحْلَامًا ، وَأَوْسَطُهَا <sup>(١)</sup> أَنْسَابًا ، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَامًا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْتُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ ، أَكْرَمُكُمْ بَوْلَايَتِهِ ، وَخَصْمُكُمْ بِجَوَارِهِ ، دُونَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَحَفِظَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَا حَفِظَ جَارٌ مِنْ جَارِهِ ، فَأَكْرَمُوا ضَيْفَهُ ، وَزُورُوا بَيْتَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ شُعْنًا <sup>(٢)</sup> غَيْرًا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَرَبِّ هَذِهِ الْبَيْتِ <sup>(٣)</sup> ، لَوْ كَانَ لِي مَالٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُكُمْوه ، أَلَا وَإِنِّي مُخْرَجٌ مِنْ طَيْبٍ مَالِي وَحِلَالِهِ ، مَا لَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظَلْمٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ ، فَوَاضِعُهُ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ ، لِكِرَامَةِ زُورِارِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَيْبًا ، لَمْ يُؤْخَذْ ظَلَمًا ، وَلَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يَغْتَصَبْ » .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ . ٤٥٨)

(١) خيرهم : الوسط من كل شيء أصله (قال أوسطهم . . . وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) جمع أشعث : وهو ملبد الشعر مغبره . (٣) الكعبة : والبنية بكسر الباء وضها وسكون

## ٤٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة<sup>(١)</sup> إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة<sup>(٢)</sup> وبنو قصى بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف<sup>(٣)</sup> يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم ؛ يا بني قصى : أنتم كفصني شجرة أيهما كسيرا أوحش صاحبه ، والسيف لا يصابن إلا بعمده ، وراى العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أمحكاه<sup>(٤)</sup> اللجاج أخرجته إلى البغي .

أيها الناس : الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفة ، والأيام دول ، والدهر غير<sup>(٥)</sup> ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديك ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ؛ وعليكم

(١) خزاعة : حى من الأزدي ، سما بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم ( أى تخلفوا عنهم وانقطعوا ) إقبالهم من اليمن . وذلك أنه لما تفرقت الأزدي من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء بين زيد وزمع ؛ وأقبل بنو عمرو بن عامر فاتخزعوا عن قومهم فزلوا مكة .

(٢) النضر : الجد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . (٣) الحلف : في العهد بين القوم والصدقة ، والصديق يحلف أصحابه أن لا يندربه ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

(٤) أمحكاه . (٥) أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه المغيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد وجمعه أغيار .

بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ،  
وإن نهنته<sup>(١)</sup> الجاهل أهون من جريرته<sup>(٢)</sup> ، ورأس العشيرة يحمل أنقالها ، ومقام الخليم  
عظة لمن انتفع به .

فقال قريش : « رضينا بك أبا نضلة » وهي كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٢)

## ٤٩ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يهي سيف بن ذى يزن باسترداد ملكه من الحبشة

لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، أنته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنته  
وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه فى الكلام فأذن  
له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً ربيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً<sup>(٣)</sup> شامخاً ،  
وأنتك منبتاً طابت أرومته<sup>(٤)</sup> ، وعزت جرثومتها<sup>(٥)</sup> ، وثبت أصله ، وبسق<sup>(٦)</sup>  
فرعه ، فى أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها  
الذى به تئصب ، وملكها الذى به تنقاد ، وعمودها الذى عليه العباد ، ومقلها<sup>(٧)</sup> الذى  
إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدم خير خلف ، ولن يهلك من أنت

(١) نهنته عن الأمر : كفه وزجره . (٢) فى الأصل « جريرته » ، وفى كتب اللغة : « حزرة

المال ؛ وحزيرته : خياره » ولا معنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « جريرته » .

(٣) عاليها ، من بذخ وبذخا كفرح . (٤) أرومة : باضم والفتح أى أصل . (٥) أصله أيضاً .

(٦) علا و طال . (٧) الملجأ .

خَلْفَهُ ، وَلَنْ يَخْمَلَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ ، وَسَدَنَةِ بَيْتِهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجَكَ بِكُشْفِ الْكُرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا<sup>(١)</sup> ، فَنَحْنُ وَفَدَا الْتَهْنِئَةِ ، لَا وَفَدَا الْمَرْزُوتَةِ<sup>(٢)</sup> .

(العقد الفريد ١ : ١٠٧ ، وأنبياء نجباء الأبناء ص ١١) .

## ٥٠ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محبوباً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رَجَحَ عليه : برّاً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونُبلاً<sup>(٣)</sup> ، وإن كان في المال قُلٌّ<sup>(٤)</sup> ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية<sup>(٥)</sup> مُستزجَمة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم من الصّدّاقِ فعلى » .

(صبح الأعشى ١) ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ؛ والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣)

(١) أتقلنا . (٢) رزأه ماله : كجعل وعلم أصاب منه شيئاً رزأه ، كارتزأه ماله ، ورزأه

رزأه ومرزئة أصاب منه خيراً : أي لسنا وافرين للعطاء .

(٣) ذكاء ونجابة . (٤) قلة . (٥) ما يستعار ، مشددة وقد تخفف .

# خطب الكهان

٥١ - الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف

على أمية بن عبد شمس

وَلِيَ هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ<sup>(١)</sup> ، فَحَسَدَهُ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ عَلَى رِيَاسَتِهِ وَإِطْعَامِهِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَكَافَأَ أَنْ يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ ، فَمَجَّزَ عَنْهُ ، فَسَمَّيَتْ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَمَضَبٌ وَنَالٌ مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَا إِلَى الْمَنَافَرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسِنِّهِ وَقَدْرِهِ ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ حَتَّى نَافَرَهُ عَلَى خَمْسِينَ نَاقَةً ، سُودَ الْحَدَقِ يَنْحَرُهَا بَيْطُنَ مَكَّةَ ، وَالْجَلَاءُ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ أُمِيَّةُ ، وَجَعَلَا بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخَزَاعِيَّ - وَهُوَ جَدُّ عَمْرُو بْنِ الْحَقِّقِ ، وَمَنْزِلُهُ بِعُسْفَانَ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ مَعَ أُمِيَّةَ هَمِيمَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَمِيِّ الْفِهْرِيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَتَهُ عِنْدَ أُمِيَّةَ ، فَقَالَ الْكَاهِنُ :

« وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، وَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَامِ الْمَاطِرِ ، وَمَا بِالْجَوِّ مِنْ طَائِرٍ ، وَمَا اهْتَدَى بِعَلَمٍ<sup>(٣)</sup> مَسَافِرٍ ، مِنْ مُنْجِدٍ وَغَاثِرٍ<sup>(٤)</sup> ، لَقَدْ سَبَقَ هَاشِمٌ أُمِيَّةَ إِلَى الْمَآثِرِ ، أَوْلَى مِنْهُ وَآخِرُ ، وَأَبُو هَمِيمَةَ بِذَلِكَ خَابِرٌ . »

(١) السقاية : هي إسقاء الحجيج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للحجاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

(٢) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . (٣) العلم : مانصب في الطريق يهتدى به .

(٤) أنجد : أنى نجدا ، وغار وأغار : أنى غورا .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذهاشم الإبل ، ففجرها وأطمعها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

## ٥٢ — عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إناوة<sup>(١)</sup> كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقي كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يجني ذلك منهم ، وحجر يومئذ بهامة ، فطردوا رسله وضر بهم ، فبلغ ذلك حجرًا ، فسار إليهم ، فأخذ سرواتهم<sup>(٢)</sup> وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسموا عبيد العصا) وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعرا يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فوق لهم وعفا عنهم ، ورددهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كأنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من الملك الصلِّب<sup>(٣)</sup> ، الغلابُ غير المغلَّب<sup>(٤)</sup> ، في الإبل كأنها الربرب<sup>(٥)</sup> ، لا يقلتُ رأسه الصَّحْبُ ، هذا دمُه يَنْتَعِبُ<sup>(٦)</sup> ، وهو غداً أول من يُستَلَبُ » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيِّش<sup>(٧)</sup> نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حجرٌ ضاحية<sup>(٨)</sup> » .

(١) خراج . (٢) سروات جمع سراة بالفتح : وهي اسم جمع سري كفتى من سرو سروا وهو المروءة في شرف . (٣) حجر صلب : شديد صلب ، والصلب أيضا : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغاني « الأصهب » ومن معانيه الأسد . (٤) المغلَّب : المغلوب مرارا (وهو أيضا المحكوم له بالغلبة . ضد) . (٥) الربرب : القطيع من بقر الوحوش . (٦) ينتعج . (٧) جاشت النفس وتجيشت : ارتفعت من حزن أو فزع . (٨) علانية ، يقال فعله ضاحية : أي علانية .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قبته  
فقتلوه .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والشعراء ، ص ٣١ ، والأغانى ٨ : ٦٣ )

### ٥٣ - كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لطيمة<sup>(١)</sup> لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ،  
فأوقع كسرى بهم ، وقتل المقاتلة ، وبقيت أموالهم وذراتهم في مساكنهم لا مانع لها  
وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مذحج ، فمضى بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتصموا  
بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من زيد وحزم بن ريان في عسكر عظيم ،  
وساروا يريدون بنى تميم ، فحذرهم كاهن كان مع الحارث واسمه سلمة بن المغفل ،  
وقال :

« إنكم تسبون أعقاباً<sup>(٢)</sup> ، وتغزون أحباباً<sup>(٣)</sup> ، سعداً ورباباً ، وتردون  
مياهاً جباباً<sup>(٤)</sup> ، فتلقون عليها ضرباً ، وتكون غنيمتكم تراباً<sup>(٥)</sup> ، فأطيعوا  
أمرى ولا تغزوا تيمياً » ولكم خالفوه وقاتلوا بنى تميم ، فهزموا هزيمة نكراء .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠ )

(١) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

(٢) أى يسير بعضكم عقب بعض ، فريقاً في إثر فريق . وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية  
آلاف ، ولا يعلم فى الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بلى قار ومن يوم جيلة . وروى أبو الفرج  
الأصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً . (٣) هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ، وردت فى  
الأصل محرفة هكذا : « إنكم تسبون أعياناً ، وتغزون أحيانا ؛ سعداً وريانا » .

(٤) الجباب والأجباب جمع جب : وهو البئر الكثيرة الماء البعيدة القمر . (٥) أورد صاحب  
الأغانى من هذه الفقر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعزاها إلى المأمور الحارثى وهو كاهن أيضاً



## ٥٤ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يفضاه الناس فيه بلا إذن ، فقال <sup>(١)</sup> يوماً في ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ؛ فجاء بعض من كان يفشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ، فقال لها أبوها : يا بنية العار <sup>(٢)</sup> وإن كان كذباً ، بُدّيتني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دَسَسْتُ عليه من يقتله ، فيقطعُ عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكته إلى بعض كهان اليمن ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبين ما قلت ، وإلا فحاكمتني إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبتِ والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشراً مخطئاً ويصيب ، ولعله أن يسمنى بِسْمَةٍ تبقى على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبرُك لك ، فصرّ بفرسه ، فلما أدلى عمدًا إلى حبة بُرٍ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى <sup>(٣)</sup> عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد حبّأنا لك خبيثَةً ، فها هي ؟ قال : بُرة في

(١) قال فيلا وقائلة وقيلولة ومقيلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . (٢) أخی اتق العار .

(٣) الوكاه ككتاب : جبل يشد به رأس القربة ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدّ فيها بالوكاه .

كَمْرَةَ<sup>(١)</sup> ، قال : أريد أبينَ من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ » ، في إحلِيلِ مُهْرٍ « قال : صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : « انهضى غير رِقْحَاءِ<sup>(٢)</sup> ولا زانية ، وَسَتَلِدِينَ مَلِكًا يَسْمَى معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عنى ، والله لأحْرِصَنَّ أن يكون ذلك الولد من غبيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ١١١)

## ٥٥ - خمسة نفر من طيِّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسى

خرج خمسة نفر من طيِّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُسَهْرٍ ، وهو أحد المُعَمَّرِينَ . وَأَنْبَيْفُ بن حارثة بن لَأْمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَجِ أبو حاتم طيِّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُضَى ، يريدون سَوَادَ بن قَارِبِ الدَّوْسِيِّ ، لِيَتَحَنَّنُوا عَلَيْهِ ، فلما قَرُبُوا مِنَ السَّرَاةِ ، قالوا : لِيَخْتَبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَاخِيئًا ، وَلَا يُخْبِرَ بِهِ صَاحِبَهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، فَخَبَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَبِيئًا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدُوا لَهُ إِبِلًا وَطُرُقًا مِنْ طُرْفِ الْحَيْرَةِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةَ ، وَتَحَمَّرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَا بِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالُوا : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعُ لَكَ الْجَنَابُ<sup>(٣)</sup> »

(١) الكمره : رأس الذكر . (٢) الرقحاء : البنى التي تكتسب بالفجور ، من الرقاعة كفضاحة

وهي الكسب والتجارة ، هذا ماورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « رسحاء » والرسحاء : القبيحة ، والرسحاء أيضا : القليلة لحم العجز والفخذين والأول أنسب . (٣) أمرع : أخصب ، والجناب :

وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعْمَ الرَّغَابُ<sup>(١)</sup> ، نَحْنُ أَوْلُو الْأَكَالِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَغْيَالِ<sup>(٣)</sup> ،  
وَالنَّعْمَ الْجُفَالِ<sup>(٤)</sup> ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلَاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورِّي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ  
بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ - .

فَقَالَ سَوَادٌ : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالنَّعْمَ وَالْبَرُضِ<sup>(٥)</sup> ، وَالْقَرَضِ وَالْفَرَضِ<sup>(٦)</sup> ،  
إِنَّكُمْ لِأَهْلُ الْهَضَابِ الشَّمِّ ، وَالنَّخِيلِ الْعَمِّ<sup>(٧)</sup> ، وَالصُّخُورِ الصَّمِّ ، مِنْ أَجَا الْعَيْطَاءِ ،  
وَسَلَمَى ذَاتِ الرَّقَبَةِ السُّطْمَاءِ<sup>(٨)</sup> . »

فَالُوا : إِنَّا كَذَلِكَ ، وَقَدْ خَبَأَ لَكَ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَبِيئًا ، لِتُخْبِرْنَا بِاسْمِهِ وَخَبِيئِهِ ،  
فَقَالَ لَبْرَجٌ : « أَقْسَمُ بِالضِّيَاءِ وَالْحَلَكِ<sup>(٩)</sup> ، وَالنَّجُومِ وَالْقَلَكِ ، وَالشَّرُوقِ وَالذَّلَكِ<sup>(١٠)</sup> ،  
لَقَدْ خَبَأَتْ بُرْتُنُ فَرَخِ<sup>(١١)</sup> ، فِي إِعْلِيَطِ مَرِّخِ<sup>(١٢)</sup> ، تَحْتَ آسِرَةِ الشَّرِّخِ<sup>(١٣)</sup> » قَالَ :  
مَا أَخْطَأْتَ شَيْئًا ، فَمَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَصْرَةَ الْمُعِيرِ<sup>(١٤)</sup> ، وَتَمَالُ  
الْمُحَجَّرِ<sup>(١٥)</sup> . »

- (١) الضافي : السابغ الكثير ، ويقال : خير فلان ضاف على قومه : أى سابغ عليهم ، والرغاب :  
الواسعة الكثيرة جمع رغبة . (٢) الآكال : جمع أكل ( كقفل وعنق ) الرزق والحظ من الدنيا .  
(٣) الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . (٤) الجفال :  
الكثيرة . (٥) النعمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الخلق إذا كان واسع الخلق سخيا ، والبرض :  
الماء القليل ، ويقال فلان يتهرض حقه . أى يأخذه قليلا قليلا .  
(٦) القرص : ماتمطيه لتقصاه ، والفرض : ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب .  
(٧) الشم : الطوال ، وكذا العم . (٨) أجأ وسلمى : جبلا طيبا ، والعيطاء : الطويلة ؛ وكذا  
السطماء . (٩) الحلك : شدة السواد . (١٠) دلكت الشمس دلوكا : غربت أو اصفرت ؛ والدلك  
وقت الدلوك . (١١) البرثن : ظفر كل مالا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كان  
بما يصيد ؛ قيل لظفره مخلب . (١٢) المرخ : شجر تقدح منه النار ؛ والإعليط : وعاء ثمر المرخ ،  
والعرب تشبه به آذان الخيل . (١٣) الآسرة والإسار : القد الذى يشد به خشب الرجل ، وشرخا الرجل  
جانباها . (١٤) المعير : الذى ذهب ماله ، والمعصرة : الملجأ والمنجاة .  
(١٥) التمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه ؛ والحجر : الملجأ ( بصيغة اسم المفعول ) المضيق عليه .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأصباب والأحداب <sup>(١)</sup> والنعم الكتاب <sup>(٢)</sup> ، لقد خبأت قدامة فسيط <sup>(٣)</sup> ، وقذة مريط <sup>(٤)</sup> ، في مدرّة من مديّ مطيط <sup>(٥)</sup> » قال : ما أخطأت شيئا ، فمن أنا ؟ قال : أنت أنيف ، قارى الضيف ، ومعمل السيف ، وخالط الشتاء بالصيف .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالسّوام العازب <sup>(٦)</sup> ، والوقير الكارب <sup>(٧)</sup> : والمجدّ الراكب ، والمشيح الحارب <sup>(٨)</sup> ، لقد خبأت نفاثة فنن <sup>(٩)</sup> ، في قطيع قد مرّ <sup>(١٠)</sup> ، أو أديم قد جرن . قال : ما أخطأت حرفاً فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعد النّوال ، عطاؤك سجال <sup>(١١)</sup> ، وشركك عّضال ، وعمدك جّوال ، وبيتك لاينال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بنفنف اللوح <sup>(١٢)</sup>

(١) الأصباب : جمع صيب كسبب : وهو ما نخفض من الأرض ؛ والأحداب : جمع حدب كسبب أيضا : وهو ماعلا . (٢) الكثيرة . (٣) القطامة : ما قطمته بفيك ؛ والقطم بأطراف الأستان ، والفسيط : قلامة الظفر . (٤) القذة : الريشة ؛ والمريط من السهام : الذي قد تمرط ريشه أي نتف (٥) المدرّة : قطعة طين يابسة ؛ والمدى : جدول صغير يسيل فيه ، ما هريق من ماء البئر ؛ والمطيطة : الماء الخائر في أسفل الحوض .

(٦) السوام : المال الراعى من الإبل ؛ والعازب : البعيد . (٧) الوقير : القطيع من الغنم ، والكارب : القريب . (٨) المشيح : الجاد ؛ في لغة هذيل ؛ وفي غيرها الحاذر ؛ والحارب : السالب حربه حربا كطلبه طلبا : سلبه ماله . (٩) النفاثة : ما تنفته من فيك ؛ والفنن : واحد أفنان الأشجار وهي أغصانها . (١٠) القطيع : ما يقطع من الشجر ؛ ومرن وجرن : لان .

(١١) أي متداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . (١٢) الننفن واللوح واحد ، وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللفظان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره .

والماء السفوح<sup>(١)</sup> ، والفضاء المندوح<sup>(٢)</sup> ، لقد خبأت زممةً ظلًّا أعفر<sup>(٣)</sup> ، في زعنفة<sup>(٤)</sup> أديمٍ أحمر ، تحت حلسٍ نضوٍ أدبر<sup>(٥)</sup> « قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت عارف ذو اللسان العضب ، والقلب الذئب<sup>(٦)</sup> ، واللصاه الغرب<sup>(٧)</sup> ، مناع السرب<sup>(٨)</sup> ومبيح النهب » .

ثم قام مرّة بن عبد رضى ، فقال : ما خبيثى وما اسمى ؟ فقال سواد : « أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء<sup>(٩)</sup> ، والظلمة والضياء ، لقد خبأت دمة<sup>(١٠)</sup> ، في رمة<sup>(١١)</sup> ، تحت مشيط لمة<sup>(١٢)</sup> » . قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت مرّة ، السريع الكرّة ، البطيء الفرّة ، الشديد المرّة<sup>(١٣)</sup> » .

قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث لا يرى ، والسامع قبل أن يتأجى ، والعالم بما لا يدركى ، لقد عنّت لكم عقابٌ عجزاه<sup>(١٤)</sup> ، في شغائيب<sup>(١٥)</sup> دوحة جرداء ، تحمل جدلاً<sup>(١٦)</sup> ، قماريم<sup>(١٧)</sup> إماماً يداً وإماماً رجلاً » ، فقالوا . كذلك ، ثم مه ؟ قال : « سنح آكم قبل طلوع الشرق<sup>(١٨)</sup> ، سيد أمق<sup>(١٩)</sup> » ،

(١) المصبوب . (٢) الواسع . (٣) الظلا : ولد الظبى ساعة يولد ، والصغير من كل بىء ، والأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حمرة ، والزممة : الشعرات المتديلات في رجل الأرنب . (٤) زعانف الأديم : أطرافه مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكم الزاى والنون ، ومنه قيل لردال الناس الزعانف .

(٥) الحلس للبعير كالبردعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذى أصابه الدبر ( بالتحريك ) وهو قرحة الدابة . (٦) الذكى . (٧) الحد . (٨) السرب بالفتح : الماشية كلها ، وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها . (٩) الأنواء : جمع نوء ( كسهم ) النجم : مال الغروب . (١٠) الدمة : القملة . (١١) الرمة : العظام البالية .

(١٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والمشيط : المشوط .

(١٣) المرّة : القوة . (١٤) العجزاء : التى ابيض ذنبها ، ( وفي غير هذا الموضع : التى كبرت عجزيتها ) . (١٥) الشغائيب جمع شغوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة . (١٦) الجدل : العضو وجمعه جدول . (١٧) تجادلتم . (١٨) الشرق : الشمس ، والعرب تقول لا أقفل ذلك ما طلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . (١٩) السيد : الذئب والأمق : الطويل .

على ماء طَرَقَ<sup>(١)</sup> « قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق<sup>(٢)</sup> ، سَدَدَ في أْبْرَق<sup>(٣)</sup> ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوايلة<sup>(٤)</sup> والمِرْفَقِ<sup>(٥)</sup> . قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه .

(الأمالي ٢ : ٢٩٢)

## ٥٦ - حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورِ الْقَيْنِيِّ رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعًا<sup>(٥)</sup> قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَفَنَدَ ذَوْدًا<sup>(٦)</sup> . مِنْ أَذْوَادِهِ لَهُ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِمِهَا<sup>(٧)</sup> ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا<sup>(٨)</sup> كَثِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا<sup>(٩)</sup> ، فَأَنْتَحْتُ رَاحِلَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ<sup>(١٠)</sup> بِمَيْرِي ، وَاضْطَجَعْتُ فِي بُرْدِي ، فَإِذَا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كَأَنَّهَا اللَّالِي ، يَرَعَيْنُ بَهْمًا لَهْنًا ، فَلَمَّا خَالَطْتُ عَيْنِي السَّنَّةُ ، أَقْبَلَنُ حَتَّى جَلَسَنُ قَرِيبًا مِنِّي ، وَفِي كَفِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَصِيَّاتٌ تُقَلِّبُنِ ، فَخَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثُمَّ طَرَقَتْ<sup>(١١)</sup> ، فَقَالَتْ : « قَلْنِ يَا بِنَاتِ عَرَافِ ، فِي صَاحِبِ الْجَمَلِ النَّيَافِ<sup>(١٢)</sup> ، وَالْبُرْدِ الْكُثَافِ<sup>(١٣)</sup> ، وَالْجِرْمِ<sup>(١٤)</sup> الْخُفَافِ<sup>(١٥)</sup> » ، ثُمَّ طَرَقَتْ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَتْ :

(١) الطروق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طروق ومطروق .

(٢) الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصييه . (٣) سند في الجبل : سعد ، والأبرق والبرقاء والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .

(٤) الوايلة : رأس العضد الذي يلي المنكب . (٥) المرباع : ربع النخلة ، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية . (٦) زد : شرد ، والذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون . (٧) طلبها . (٨) كثير الشجر . (٩) تمبا وكلالا .

(١٠) شدت رسفه . (١١) الطروق : ضرب الكاهن بالخصي .

(١٢) جمال نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع . (١٣) الكثيف . (١٤) الجسد .

(١٥) الخفيف .

« مُضِلُّ أذْوَادِ عَلَاكِدٍ <sup>(١)</sup> ، كُومٌ صَالَاخِدٍ <sup>(٢)</sup> ، مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ مَمَّقَاخِدٍ <sup>(٣)</sup> ، وَأَرْبَعٌ جَدَائِدٍ <sup>(٤)</sup> ، شُسْفٌ صَمَارِدٍ <sup>(٥)</sup> » ، ثم طرقت الثالثة فقالت : « رَعَيْنُ الْفَرَعِ <sup>(٦)</sup> » ، ثم هَبَطْنَ الْكَرَعِ <sup>(٧)</sup> ، بَيْنَ الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَعِ <sup>(٨)</sup> . فقالت الرابعة : « لِيَهْبِطَ الْغَائِطُ الْأَفْيِخِ <sup>(٩)</sup> » ، ثم لِيُظْهَرَ فِي الْمَلَأِ الصَّحْصَحِ <sup>(١٠)</sup> ، بَيْنَ سَدِيرٍ وَأَمْلَحٍ <sup>(١١)</sup> ، فَهِنَاكَ الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمُنْعَرَجِ الْأَجْرَعِ » قال : فقمتم إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهم مَنْ هُنَّ وَلَا يَمَنَّ هُنَّ ؟ فلما أدبرت ، قالت إحداهن : « أَبْرَحُ <sup>(١٢)</sup> » فَنِيَّ إِنْ جَدَّ فِي طَلْبِ ، فَمَا هِيَ غَيْرُهُنَّ نَشَبٌ <sup>(١٣)</sup> ، وَسَيُثَوَّبُ عَنْ كَثَبٍ <sup>(١٤)</sup> ، فَفَرَّعْ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلَهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بِيَوَادِيَّ عَرَجًا عُكَامِسًا <sup>(١٥)</sup> ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتِ <sup>(١٦)</sup> الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوَاضِعِ ، فإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعٌ ، فَضَرَبْتُ أَعْبَازَهُنَّ ،

- (١) أضل دابته : فقدوا ، والملاكد : الصلاب الشداد جمع ملكد كجمفر وزبرج وقتفد .
- (٢) بدير أكوم ، وناقاة كوماه : عظيمة السنام والجمع كرم ، والصلاخد : العظام الشداد ، واحدها صلاخد بالضم .
- (٣) المقاحد جمع مقحاد ، وهي الغليظة السنام ( والقعدة كوقبة : السنام أو أصله ) .
- (٤) الجدائد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبها .
- (٥) شسف جمع شاسف : وهو اليايس ضمرا وهزالا ، والصمارد جمع صمرد كزبرج : القليلة اللبن .
- (٦) الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل .
- (٧) الكرع : ماء السماء ينزل فيستتقع ، وصمى كرها لأن الماشية تكرر فيه .
- (٨) العقيدات جمع عقدة : وهي ماتمقد من الرمل ، والجزع جمع جرعة بالسكون ويحرك : الرملة الطيبة المنبت لاهوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لاينبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة كالأجرع والجرعاه .
- (٩) الغائط : المطنن من الأرض ، والأففيخ : الواسع .
- (١٠) الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح والصحصحان : ما استوى من الأرض .
- (١١) سدير وأملح : موضعان .
- (١٢) أشد .
- (١٣) المال الأصيل من الناطق والصامت .
- (١٤) يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .
- (١٥) العرج : نحو خمسةة من الإبل ، والمكاسم والفكابس : الكثير .
- (١٦) الطريق .

حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبلى ، فإذا ارتعاه تدعو بالويل ، فقلت ما شأنكم ؟  
قالوا : أغارت بهزاه على إبلك ، فأسحفتها<sup>(١)</sup> ، فأمسيت والله مالى مال غير الذود ،  
فرمى الله فى نواصين بالرغس<sup>(٢)</sup> ، وإنى اليوم لأكثر بنى القمين مالا .

(الأمالي ١ : ١٤٣)

## ٥٧ - حديث خنافر بن التوءم الحميرى مع رثيه شصار

كان خنافر بن التوءم الحميرى كاهنا ، وكان قد أوتى بسطة فى الجسم ، وسعة  
فى المال ، وكان عاتيا ، فلما وفدت وفود اليمين على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار  
على إبل لمراد فاكنتسحها ، وخرج بأهله وماله ، ولحق بالشجر ، فحالف جودان بن يحيى  
الفرضىمى ، وكان سيدا منيعا ، ونزل بواد من أودية الشجر مخصبا كثير الشجر من الأيك  
والعرين<sup>(٣)</sup> قال خنافر : وكان رثى<sup>(٤)</sup> فى الجاهلية لا يكاد يتغيب عنى ، فلما شاع الإسلام فقدته  
مدة طويلة ، وساءنى ذلك ، فبينما أنا ليلة بذلك الوادى نائما ، إذ هوى هوى العقاب ،  
فقال : خنافر ؟ فقدت : شصار ؟ فقال : أسمع أقل ، قلت : قل أسمع ، فقال : « عه  
تغمم ، لكل مدة نهاية ، وكل ذى أمد إلى غاية ، قلت : أجل ، فقال : كل دولة إلى  
أجل ، ثم يتاح لها حول<sup>(٥)</sup> ، أنتسخت النحل ، ورجعت إلى حقائقها المثل ، إنك  
سجير<sup>(٦)</sup> موصول ، والنضح لك مبدول ، وإنى آنست<sup>(٧)</sup> بأرض الشام نفرا من  
آل العذام<sup>(٨)</sup> ، حكاما على الحكام ، يذبون<sup>(٩)</sup> ذارونقي من الكلام ، ليس

(١) استأصلتها . (٢) الرغس : البركة والنماء .

(٣) الأيك : الشجر الملتف الكثير ، والغريضة تثبت السدر والأزك ، أو الجاعة من كل الشجر ،

والعرين : جماعة الشجر . (٤) الرثى : ما يترامى للإنسان من الجن فيحب .

(٥) الحول : التحول . (٦) السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير

والشجير للصديق . (٧) أبصرت . (٨) العذام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .

(٩) ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيضا : كتبه كزبرته) .



بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكاف « فأصغيت فزجرت ، فعاودت فظلمت<sup>(١)</sup> » ، قلت :  
 بم تهينمون<sup>(٢)</sup> ، وإلام تعززون<sup>(٣)</sup> ؟ قالوا : « خطاب كُبار<sup>(٤)</sup> » ، جاء من عند الملك  
 الجبار ، فاسمع يا بصائر ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار<sup>(٥)</sup>  
 النار » ، قلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : « فرفان بين الكفر والإيمان ، رسول من  
 مصر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجاً قد دثر ، فيه  
 مواظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر<sup>(٦)</sup> ، ألفت بالآمي الكبر<sup>(٧)</sup> » قلت : ومن هذا المبعوث  
 من مصر ؟ قال : « أحمد خير البشر ، فإن آمنت أعطيت الشبر<sup>(٨)</sup> » ، وإن خالفت  
 أصليت سقر ، فآمنت يا خنافر ، وأقبلت إليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل  
 مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق ، لآعن تلاق<sup>(٩)</sup> » ، قلت : من أين أبني هذا الدين ؟ قال :  
 من ذات الأحرين<sup>(١٠)</sup> والنفر اليمانيين ، أهل الماء والطين ، قلت : أوضع<sup>(١١)</sup> ، قال :  
 « الحق بيثرب ذات النخل ، والحررة ذات النعل<sup>(١٢)</sup> » ، فهناك أهل الطول والفضل ،  
 والمواساة والتبذل ، ثم آتس<sup>(١٣)</sup> عني ، فبت مذعوراً أراعي الصباح ، فلما برق لي  
 النور ، امتطيت راحتي ، وآذنت<sup>(١٤)</sup> أعبدي ، واحتملت بأهلي ، حتى وردت  
 الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بجولها وسقائها<sup>(١٥)</sup> ، وأقبلت أريد صنعاء ،  
 فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ،  
 وعلمني سوراً من القرآن ، فمن الله على بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة .

(الأمالي ١ : ١٣٣)

- (١) منعت . (٢) الهيمنة : الصوت الخفي . (٣) تتسبون . (٤) كبير .  
 (٥) الأوار : حر النار . (٦) الشبر بالسكون : الخير وحرك للسجع . (٧) الحررة  
 (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود وتجمع على حررات وحرار وحرين وأحرين . (٨) النعل:  
 المكان الغليظ من الحررة . (٩) أفلت . (١٠) أعلمت . (١١) الحول جمع حائل وهي الأنثى  
 من أولاد الإبل ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو الذكر .

## ٥٨ شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم

قَدِمَ هَلَى تَبِعِ الْآخِرِ مَلِكِ الْيَمِينِ ، قَبْلَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ الْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup> ، شَافِعُ بْنُ كَلَيْبِ  
الْصَدْفِيِّ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ كَاهِنًا ، فَقَالَ لَهُ تَبِعْ : هَلْ تَجِدُ لِقَوْمِ مَلِكِ يُوَازِي مَلِكِي ؟ قَالَ : لَا ،  
إِلَّا مُلْكَ غَسَّانَ ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ مَلِكًا يَزِيدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ :

« أَجِدُهُ لِبَارٍ مَبْرُورٍ ، وَرَائِدٍ<sup>(٣)</sup> بِالْقَهُورِ<sup>(٤)</sup> ، وَوَصْفٍ فِي الزَّبُورِ ، فَضُلَّتْ

(١) قال ابن إسحق : « كان تبع الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهجع أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابنا له ، فقتل غيلة ، فقدمها وهو مجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فترجم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ، فيعجبهم ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينما هو على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان في العلم ، فقالا له : قد سمعنا ماتريد أن تفعل ، وإنك إن أبيت إلا ذلك ؛ حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال : ولم ذلك ؟ قالا : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره ، فأنهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج متوجها إلى اليمن فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

(٢) الصدفي نسبة إلى صدف ككتف : بطن من كندة . (٣) الرائد في الأصل : المرسل في طلب الكلاء من الرود وهو اطلب ، يعنى به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائدا لأمته يرتادها الخبير قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .  
(٤) جاء في معجم البلدان : « القهر (كشمس) أسافل الحجاز مائل نجدا من قبل الطائف .  
وأشدد لخداش بن زهير :

دعوا جانبي ، إني سأزل جانباً  
سك واسما بين اليمامة والقهر

وأقول : هذا الوصف ينطبق على مكة فهي واقعة جنوبي الحجاز . . . الخ . فالمعنى : « أجد ملكا يزيد على ملكك لرائد يظهر بتلك البقاع » أما كلمة القهور فلم أجدها في معجم ، ولعل الكاهن جمع « القهر » على قهور ، لإقامة الغاصلة ، أو هو على حد قول امرئ القيس :

يزل الغلام الخف عن سهواته  
كما زلت الصفواء بالمتنزل

أُمَّتِهِ فِي الشُّفُورِ<sup>(١)</sup> ، يَفْرَجُ الظُّلَمَ بالنور ، أَحَدَ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لَأُمَّتِهِ حِينَ يَجِي ، أَحَدَ  
بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنظَرَ تَبِعَ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ بِمَجْدِ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٦٤)

## ٥٩ - سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ<sup>(٢)</sup> يَعْبُرُ رُؤْيَا رَيْبَعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَيْبَعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلِكِ الْيَمَنِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبَعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا هَالَتْهُ ،  
فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَائِنًا ، وَلَا مَنْجِمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ،  
فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَقَطَعْتُ<sup>(٣)</sup> بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ :  
أَقْصُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرُكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبْرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا  
فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ  
الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا ، فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيحِ وَشِقِّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا فِيهَا ، يُخْبِرَانِهِ  
بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شِقِّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا

(١) السفر (كحمل) الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة ، وفي كتب اللغة أنها تجمع على

أسفار ، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضا .

(٢) اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان ، وكان يقال له الذئبي

نسبة إلى ذئب بن عدى ، وكان من المعمرين قيل عاش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة ، وزعموا أنه لم يكن له رأس  
ولا عتق ، وأن وجهه كان في صدره ، وأنه كان جسدا ملق لاجوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس إلا  
إذا غضب ، فإنه ينتفخ فيجلس ، وكان له سرير من الجريد والحوص ، إذا أريد نقله إلى مكان يطوى من  
رجليه إلى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير ، وإذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك  
كما يحرك سقاء اللبن فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيسأل فيخبر عما يسأل عنه ، (كذا) وأن كاهنة بنى سعد  
ابن هذيم وكانت بأعلى الشام لما حضرته الوفاة طلبت سطيحا وشقا (وسياق ذكره) وتفلت في فهما ،  
وذكرت أن سطيحا يخلفها في كهانتها ، ثم ماتت في يومها ذلك .

(٣) فطع بالأمر كفرح فطاعة : إذا هاله وغلبه .

هالتي وَقَطَعْتُ بِهَا ، فَأَخْبَرَنِي بِهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ أَصَدَّبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ : أَفَعَلَ  
 « رَأَيْتَ حُمَّةً <sup>(١)</sup> ، خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَةٍ <sup>(٢)</sup> ، فَوَقَمْتَ بِأَرْضِ تَهْمَةٍ <sup>(٣)</sup> ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا كُلَّ  
 ذَاتِ جُجْمَةٍ <sup>(٤)</sup> » ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟  
 فَقَالَ : « أَحْلِفْ بِي بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ <sup>(٥)</sup> مِنْ حَشَشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ ، فَلَيْمَلِكُنَّ  
 مَا بَيْنَ أَبَيْنَ <sup>(٦)</sup> إِلَى جُرَشٍ <sup>(٧)</sup> » فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَيُّكَ يَا سَطِيحُ . إِنْ هَذَا لَنَا لِنَاظِرِ  
 مُوجِعٍ ، فَتِي هُوَ كَأَنَّ ، أَمَى زَمَانِي هَذَا أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ ، أَكْثَرَ  
 مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، يَمْضِينَ مِنَ السِّنِينَ » قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟  
 قَالَ : « لَا ، بَلْ يَنْقَطِعُ لِيَضْعُ سَبْعِينَ مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ بِهَا أَجْمَعِينَ ، وَيُخْرَجُونَ  
 مِنْهَا هَارِبِينَ » قَالَ : وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : « يَلِيهِ إِرَامٌ <sup>(٨)</sup>  
 ذِي يَزَنَ ، يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرَكَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمِينِ » قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ  
 سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : « بَلْ يَنْقَطِعُ » قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ « نَبِي زَاكِي » ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ  
 مِنْ قَبْلِ الْعَلِيِّ « قَالَ : وَعَمَّنْ هَذَا النَّبِيُّ ؟ قَالَ : « رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ ، بَنُ مَالِكِ  
 ابْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ » قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ :

(١) الخمة وتجمع على حمم : اللفحة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الخمة على الجمر مجازاً  
 باعتبار ما يثول إليه وهو المراد هنا . (٢) الظلمة : الظلام ، وسرَى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى  
 الأحباش السود . (٣) التهمة بالتحريك : الأرض المتصوية إلى البحر ، كالتهم محرّكة أيضاً كأنهما  
 مصدران من تهامة ، لأن التهام متصوبة إلى البحر ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرحة أى شديدة الحر ، من  
 التهم بالتحريك وهو شدة الحر وفي ابن الأثير « بهمة » بالياء يقال : أرض بهمة كفرحة أى كثيرة البهي ،  
 والبهي بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندي أرجح . (٤) أى كل نفس . (٥) الحرة : أرض  
 ذات حجارة سود نخرة ، (٦) مخلاف باليمن منه مدينة عدن . (٧) مخلاف باليمن من جهة مكة .

(٨) الإرام كعنب وكتف : العلم ( بالتحريك ) أو خاص بعماد ، والعلم سيد القوم ، أى يتولاه سيد بني

« نعم . يومٌ يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه السيئون » .  
قال : أحقُّ ما تُخبرنا ياسطيح ؟ قال : « نعم ، والشَّقِيقِ ، وَالنَّسَقِ <sup>(١)</sup> ، وَالْفَلَقِ <sup>(٢)</sup> »  
إذا انشَقَّ ، إن ما أنباتك به لَحَقَّ » .

## ٦٠ شق أنمار <sup>(٣)</sup> يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا

ثم قدم عليه شقٌّ ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفغان أم مختلفان ، قال : « نعم ، رأيت حُمَّةً ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين رَوْضَةٍ وأَكْمَةٍ فأكلت منها كلَّ ذات نَسَمَةٍ » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت ياشقُّ منها شيئا ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ من إنسان ، لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمْ السُّودَانُ ، فَلْيَعْلِبَنَّ عَلَى كُلِّ طِفْلَةٍ <sup>(٤)</sup> الْبَنَانُ . وَلَيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أُبَيْنَ إِلَى نَجْوَانَ <sup>(٥)</sup> »  
فقال له الملك : وأبيك ياشقُّ ، إن هذا لنا لغائظٌ مَوْجِعٌ ، فتى هو كائن : أرى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، وَيُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدنيِّ ولا مُدَنَّ <sup>(٦)</sup> ، يخرج عليهم من بيت ذى يَزَنَ <sup>(٧)</sup> » قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بل ينقطع برسول

(١) الشفق : الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب العتمة ، والغسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده . (٣) هوشق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أقرل

ابن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان ( أى نصفه ) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . (٤) مؤنث طفل : وهو الرخص الناعم من شيء . (٥) مخلاف شمال اليمن .

(٦) الدف : مسهل عن دفة ، والمدف : المقصر عما ينبغى له أن يفعله ، وفى ابن الأثير « مزن »

بالزاي والمزن : المهتم ، من أزننته بكذا أى أهتمته به .

(٧) وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبابعة باليمن ( وكان قد تهود وتعصب

للإهودية وحمل عليها قبائل اليمن ) اضطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابني له فقتلوهما ظلما ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحمى له ولدينه وغزاهم ، ويقال إن رجلا من =

مُرْسَل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم  
الْقَصَل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء  
بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَعُ فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه  
لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحقُّ ما تقول ؟ قال : « إى وربِّ السماء والأرض ،  
وما بينهما من رَفَعٍ وخفض ، إن ما أنبأتك به لحقٌّ ما فيه أَمْضٍ <sup>(١)</sup> » .

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قال ، فجهز بنيهِ وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ،  
وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم الحيرة . فن بقية ولده  
النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النذر بن عمرو بن  
امرى القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .

(تاريخ الطبري : ٩٩ وسيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير : ١٤٦)

## ٦١ - وفود عبد المسيح بن بقبيلة على سطيح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجَّ إيوان كسرى ، فسقطت  
منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فإ كان أوشك أن كتب إليه

= أهل نجران أفلت من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجده على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة  
بأمره بنصرة النصارى ، فجهز جيشا إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت  
الدائرة عليه ، وملسكت الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميرى  
وقدم على قيصر يوستنيان يستنجده على الحبشة فأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ؛ فرجع إلى كسرى  
أنوشروان واستعان ، فأمدته بجيش من كانوا في سجنونه ؛ فقاتلوا الأحباش وهزموهم ؛ واسترد سيف  
عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل ؛ فأرسل كسرى عاملا على اليمن واستمرت عماله إلى أن  
كان آخرهم باذان فأسلم ؛ وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) أى شك أو باطل .

صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة<sup>(١)</sup> غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة<sup>(٢)</sup> انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران سخدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبدان<sup>(٣)</sup> : أيها الملك إنى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعباً ، تعود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فاعظيما في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة بوجه إليك رجلاً من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحذنان ، فبعث إليه عبد المسيح بن بقليلة الفسّاني . فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك ، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهّزني إلى خال لي بالشام يقال له سطيح . قال : جهّزه ، فلما قدم إلى سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكله فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيْفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أُعْيِيْتُ مَنْ وَمَنْ<sup>(٤)</sup>  
أَتَاكَ شَيْخٌ الْحَيُّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْبُضُ فَضْفَاضِ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنِ<sup>(٥)</sup>  
رَسُولٌ قَبِيلِ الْعُجْمِ يَهْوِي لِلْوَتَنِ لَا يَرَهُبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِّبَ الزَّمَنِ<sup>(٦)</sup>

(١) هكذا في العقد الفريد ، وفي السيرة الحلبية « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسخاً ، وفي حديث سطيح في أعلام النبوة : « وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

(٢) موضع بين الكوفة والشام . (٣) الموبدان والموبذ : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) الغطريف : السيد الشريف . (٥) الفضفاض : الواسع .

(٦) القليل : الملك ؛ أو هو دون الملك الأعلى .

فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جبل مُشِيح<sup>(١)</sup> ، إلى سَطِيح ، وقد أوفى على الضَّرِيح<sup>(٢)</sup> ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدَّان ، رأى إبلا صِعَابًا ، تقود خَيْلًا عِرَابًا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التَّلَاوة<sup>(٣)</sup> ، وظهر صاحب الهِراوة<sup>(٤)</sup> ، وقاض وادي السامرة ، وَغَاضَتْ بِحِيْرَة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَامًا ، ولا انشام لسطيح شامًا ، يملك منهم ملوك وملكات<sup>(٥)</sup> ، عدد سقوط الشُّرُفَات ، وكل ما هو آت آت » ثم قال :

إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ      فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ<sup>(٦)</sup>  
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ      وَالْهَرْمُزَانَ وَسَابُورَ وَسَابُورَ  
 فَرَبِمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ      تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ<sup>(٧)</sup>  
 حَبْنُوا الْمَطِيَّ وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ      فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرْجٌ وَلَا كُورُ<sup>(٨)</sup>  
 وَالنَّاسُ أَوْلَادَ عِلَّاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا      أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمُحْقُورٌ وَمَهْجُورُ<sup>(٩)</sup>  
 وَالخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ      فَالْخَيْرِ مُتَّبِعٌ وَالشَّرِّ مُحْذُورُ

(١) جاد سريع . (٢) أى القبر ؛ والمراد الموت . (٣) أى تلاوة القرآن .

(٤) الهراوة : العصا الضخمة ؛ وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه . (٥) قول صاحب السيرة الحلبية : « لم أقف على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهي بوران ؛ ملكت سنة ثم هلكت » .

(٦) أفرطهم : تركهم وزال عنهم ؛ قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَسْمَهُمُ

مُفْرَطُونَ »

أى متروكون فيها ؛ ودهر دهارير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم).

(٧) المهاصير جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد من المحصر وهو الكسر والجذب والإمالة .

(٨) الكور : الرجل بأداته . (٩) أولاد اللعات : أولاد أمهات شقي من رجل واحد .



ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغضب ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٣٢ والمقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر فى أخبار البشر

لأبى الفداء ١ : ١١٠ ) .

## ٦٢ - شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كان قسي<sup>(١)</sup> - وهو ثقيف<sup>(٢)</sup> - مقبلا باليمن ، فضاقت عليه موضعه ونبا<sup>(٣)</sup> به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذ منازل فهم وعدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان ، فاتمى إلى الظرب المدوانى ، فوجده نائما تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظرب ، قال : على ألية<sup>(٤)</sup> إن لم أقتلك ، أو تحلف لى لنزوجتتى ابنتك ، ففعل ، وانصرف الظرب وقسي<sup>(٥)</sup> معه ، فلقبه ابنه عامر بن الظرب ، فقال : من هذا معك يا أبت ؟ فقص قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثقف<sup>(٦)</sup> أمره ، فسمى يومئذ

(١) هو أبو القبيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة

ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ؛ وقد اختلف النسابون فى نسب ثقيف ، فقال قوم : إنهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ؛ وعليه جمهور الناس ، ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار ابن معد بن عدنان ؛ وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ؛ ثم افترقا؛ فصارا أحدهما فى عداد هوازن والآخر فى عداد مذحج ؛ وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . قال الحجاج على المنبر :

يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَثَمُودَ فَمَا أُبْقِيَ » وقال مرة أخرى : ولئن كنا

من بقايا ثمود لما نجامع صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف فى شرح ابن أبى الحديد م ٢

ص ٣٩٢ ؛ والمقد الفريد ٣ : ٨ ، والأغانى ٤ : ٧٤ ؛ ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ؛ وتاريخ الطبرى

٧ : ٢٣٣ . (٢) نبا به منزله . لم يوافق . (٣) الألية : البين . (٤) ثقف ككرم وفرح :

صار حاذقا خفيفا فطنا . وثقف الشيء كفرح : ظفر به .

ثقيفاً ، وعُيِّرَ الظرب بتزويجه قسيّاً ، وقيل زوجتَ عبدًا ، فسار إلى الكاهن يسألهم ، فأنتهى إلى شقّ بن مُصعبِ البَجَلِيّ ، وكان أقربهمُ منه . فلما انتهى إليه قال : إنا قد جنناك في أمر فما هو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ عبدُ إياد ، أبق<sup>(١)</sup> ليلة الواد ، في وجّ<sup>(٢)</sup> ذاتِ الأنداد ، فوالى سعدًا لِيُقَاد ، ثم لوى بغير معاد » يعنى سعد بن قيس ابن عيّلان بن مضر ، ثم توجه إلى سطيح الذئبي حتى من غَسَّان ، ويقال إنهم حتى من قُضاعة نَزُول في غَسَّان . فقالوا : إنا جنناك في أمر فما هو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ من ولد نمود القديم ، ولدته أمه بصحراء تَرِيم<sup>(٣)</sup> ، فالتقطه إياد وهو عديم ، فاستعبده وهو ملِيم<sup>(٤)</sup> » . فرجع الظرب وهو لا يدرى ما يصنع في أمره . وقد وُكِّدَ عليه في الحَلْفِ والتزويج ، وكانوا على كفرهم يُوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من نمود ، لأن إياداً من نمود .

(الأغاني ٤ : ٧٥)

### ٦٣ — تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيفين إلى عزي سلمة الكاهن

كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو المَرَم<sup>(٥)</sup> ، فغلبه عليه خنْدِف ابن الحارث الثَّقَفِيُّ ، فنافروهم عبد المطلب إلى عَزِي سلمة الكاهن - أو إلى نُفَيْل ابن عبد العَزِي جد عمر بن الخطاب<sup>(٦)</sup> - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحَرِث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثَّقَفِيُّون مع أصحابهم ، وحربُ بن أُمَيَّة معهم على عبد المطلب ، فنفد ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبَوْا ، فبلغ العطش منه كل مَبْلَغ ، وأشرف

(١) هرب . (٢) وج : اسم واد بالطائف . (٣) رام يريم ربما : تباعد .

(٤) الأمام فهو ملِيم : أتى ما يلام عليه .

(٥) ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ؛ والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع

الآتية . (٦) وعبارة معجم ياقوت : « فنافروهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاعي وهو سلمة بن أبي حية فخرجوا إليه إلى الشام » .

على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشير بعيره ليركب ، إذ فَجَّرَ اللهُ له عيناً من تحت جِرانه ، فحَدَّ اللهُ وعلم أن ذلك منه ، فَشَرِبَ وشرب أصحابه رِيَّهم وتزودوا منه حاجتهم ، وَفَدَّ ماءَ التَّقِيينَ ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فَأَنعم عليهم ، فقال له ابنته الحارث لَأُخَنِّينَ على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لَأُسْقِيَنهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا السكاهن ، وقد خَبَثُوا له رأسَ جَرَادَة ، في خُرْزَة مَزَادَة <sup>(١)</sup> ، وجعلوه في فِلَادَة كلب لهم يقال له سَوَّار ، فلما أتوا السكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بَخْرَجًا <sup>(٢)</sup> كاتماها تزعم أنه ولدها ، وَلَدَتَا في ليلة واحدة ، فأكل النَّمِيرُ أحدَ البَخْرَجِين . فهما ترأمان <sup>(٣)</sup> الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قَالَ السكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قَالُوا : لا . قَالَ السكاهن : « ذهب به ذو جَسَدٍ أَرْبَدٍ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدْقٍ مُرْمَعٍ <sup>(٥)</sup> ، وَنَابٍ مُعَلِقٍ <sup>(٦)</sup> ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌّ » ففَضَى به للكبرى ، ثم قَالَ : ما حاجتكم ؟ قَالُوا : قد خَبَأْنَا لك خَبِيئًا ، فَأَبْنَيْتْنَا عَنْهُ ، ثم نَخْبِرُكَ بِحَاجَتِنَا ، قَالَ : « خَبَأْتُمْ لِي شَيْئًا طَارَ فَسَطَعَ ، فَتَصَوَّبَ فَوْقَ ، في الأَرْضِ مِنْهُ بُقَعٌ ، قَالُوا : لَادَهُ ، أَى بَيْتِنَه . قَالَ : « هُوَ شَيْءٌ طَارَ ، فَاسْتَطَارَ ، ذُو ذَنْبٍ جَرَّارٌ ، وَسَاقٌ كَأَلْمِنْشَارٍ ، وَرَأْسٌ كَأَلْمِسْمَارِ » قَالُوا : لَادَهُ ، قَالَ : « إِنْ لَادَهُ فَلَادَهُ <sup>(٧)</sup> ، هُوَ

(١) المزادة : الراوية ، والحُرْزَة : السير يخرز به . (٢) البخرج : ولد البقرة .

(٣) رُئِمَتْ ولدها : عطف عليه ولزمته . (٤) من الريدة (كصفرة) : لون إلى الغبرة .

(٥) رمع كنع رممانا (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله رمع : اسم فاعل من رمع

المضعف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . (٦) من أعلق الصائد إذا علق الصيد في جبالته أي نشب .

(٧) روى ابن الأعرابي إلامه فلامه ساكن الهاء . ويروى إلامه فلامه مكسور الهاء منونة ، قال

ياقوت في معجمه : « يقول إن لم يكن قولي بياناً فلا بيان » وقال الزمخشري في المستصفي : « إن لاده فلامه بفتح الدال ويكسر ، وهى كلمة فارسية معناها الضرب قد استعملتها العرب في كلامها . وأصله أن الموتور كان يلقى واتره فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إنك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكون ده فلا يكون ده : أى إن لا يوجد ضرب الساعة ، فلا يوجد ضرب أبداً ، ثم اتسعوا فيه فضر يوم مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المنذرى : « قالوا معناه إلا هذه فلا هذه ، يعنى أنه الأصل لإلامه فلامه بالدال المعجمة ، فعربت بالدال غير المعجمة كما قالوا يهوداً ثم عرب فقبل يهوداً » .

رأس جَرَادَة ، في خُرَز مَزَادَة ، في عُتُق سَوَارِ ذِي الْقِلَادَة ، قالوا : صدقت ، فأخبرنا فيم اختصمنا إليك ؟ قال : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلْمِ ، وَبِالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَالِ ذَا الْحَرَمِ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكِرَامِ » ففضى بينهم ، ورجعوا إلى منازلهم على حكمه .

( جمع الأمثال ١ : ٣٠ ومجمع البلدان ٨ : ٤٦٠ )

\*\*\*

وروى الجاحظ لعزى سلمة أنه قال :

« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ <sup>(١)</sup> ، وَاقِعَةَ بَيْقَعَاءِ <sup>(٢)</sup> ، لَقَدْ نَفَرَ الْمُجِدُّ بَنِي الْعُشْرَاءِ <sup>(٣)</sup> ، لِلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ <sup>(٤)</sup> . »

( البيان والتبيين ١ : ١٥٩ )

## ٦٤ — منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية <sup>(٥)</sup>

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى أن ينفراً بينهما ، فجلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح ، فقال لحرب :

(١) الصقعة بالضم : بياض في وسط رهوس الطير وغيرها ، وهو أصقع ، وهي صقعاء ( والصقعاء أيضا الشمس ) . (٢) البقعاء : اسم ماء . (٣) العشراء : قوم من فزارة ، ونفره عليه : قضى له عليه بالغلبة . (٤) السناء : الرقعة .

(٥) وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فغاظ ذلك حرب بن أمية ، وكان زديم عبد المطلب ، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر ابن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وصخر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يعرف عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأقى حربا ولامه وطلبهما منه فأخفاهما ؛ فتغالظا في القول ؛ حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجعلا بينهما نفيل ابن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه ؛ فترك عبد المطلب متادمة حرب ، ونادم عبد الله ابن جلعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ؛ فدفعها إلى ابن عم اليهودي ، وارتمج ماله إلا شيئا هلك ، ففرمه من ماله .

« يا أبا عمرو: أنتافر رجلا هو أطول منك قامّة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة<sup>(١)</sup> ، وأقل منك ملامّة ، وأكثر منك ولدا ، وأجزل صفدا<sup>(٢)</sup> ، وأطول منك مذودا<sup>(٣)</sup> ، وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب ، رفيع الصوت في العرب ، جلد المريرة<sup>(٤)</sup> ، جليل العشيرة ، ولكنك نافرت مُنفرا .»

فغضب حرب وقال : إن من انتكاس<sup>(٥)</sup> الزمان أن جعلت حكما .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١ )

## ٦٥ - ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم

ولّى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرّفاة بعد عمه المطلب ، وشرف في قومه ، وعظم شأنه ، ثم إنه حفر زمزم ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، التى أسقاه الله منها ، وكانت جرّوم قد دفنتها<sup>(٦)</sup> ، وكان سبب حفره إياها أنه قال :

« بينا أنا نائم بالحجر إذ أتانى آت فقال : احفر طيبة ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر برة ، قلت : وما برة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى ،

(١) الوسامة : الحسن والجمال . (٢) الصفد : العطاء . (٣) المذود : اللسان .

(٤) المريرة : الحبل الشديد الفتل ، والعزيمة . (٥) أى انقلاب الزمان من انتكس أى وقع

على رأسه ، وفى الطبري : انتكاث بالثاء من انتكاث الحبل وهو انتقاضه .

(٦) وذلك أن جرهم لما استخفت بأمر البيت الحرام ؛ وارتكبوا الأمور العظام ، قام فيهم رئيسهم مضاض بن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يراعوا ، فلما رأى ذلك منهم عمد إلى غزالين من ذهب كانا فى الكعبة وما وجد فيها من الأموال أى السيوف والدروع التى كانت تهدى إليها ، ودفنها فى بئر زمزم ، وكانت قد نصب ماؤها فحفرها مضاض بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك وطم البئر ، وما زالت مطبومة إلى زمن عبد المطلب .

فمنعت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة . قلت : وما المذنونة ؟ <sup>(١)</sup> فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فمنعت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « ترأث من أبيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُدَمَّ <sup>(٢)</sup> ، تسقى الحجاج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يقسم <sup>(٣)</sup> ، يندر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقد محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم <sup>(٤)</sup> ، عند نقرة الغراب الأعصم <sup>(٥)</sup> ، عند قرية النمل » .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق . غدا بمقوله ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، في الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى <sup>(٦)</sup> كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠ )

---

(١) طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . (٢) نزفت البئر : نزحت كنزفت بالضم ، وبئر ذمة بالفتح وذميم وذميمة : قليلة الماء لأنها تدم . (٣) جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . (٤) أي في محلها ، والفرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين إساف ونائلة ، ( وإساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة ) ، وكانت قريش تذبح عندهما ذبائحها التي تتقرب بها . (٥) الأعصم : قيل أحمر المنتقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجناحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . (٦) الطوى : البئر .

# خطب الكواهن

٦٦ - الشعماء الكاهنة تصنف سبعة إخوة

كانت عثمة بنت مطرود البَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مُسْتَمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ، وكانت ذات جمال وَمَيْسَم<sup>(١)</sup> وعقل ، فخطب سبعة إخوة غلثة من بطن الأزْد خودا إلى أيها ، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتم النجائب الفرّه<sup>(٢)</sup> ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غفيلة ذى النَحْيَيْنِ ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غاديين في الحلل والهيئة ، ومعهم ربيبة<sup>(٣)</sup> لهم يقال لها الشعماء : كاهنة ، فمروا بويصيدها<sup>(٤)</sup> يتعرضون لها ، وكلهم وسيم جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتا ، ونحن كما ترى شباب ، وكلنا يمتنع الجانب ، ويمتنع الراغب ، فقال أبوها : كلكم خيار ، فأقيموا نرى رأينا ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما ترين ، فقد أتاك هؤلاء القوم ؟ فقالت : « أنكحني على قدرى ، ولا تشطط في مهري ، فإن تحطنتي أحلامهم ، لا تحطنتي أجسامهم ، لعلى أصيب ولدا ، وأكثر عددا » فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشعماء الكاهنة : « أسمع أخبرك عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة<sup>(٥)</sup> .

(١) الميسم والوسامة : أثر الحسن . (٢) النجائب جمع نجيب : وهو البعير والفارس إذا كانا كريمين عتيقين ، والفره : (كقفل وركع وكتب) جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف . (٣) الربيبة : الحاضنة . (٤) الوصيد : الفناء (بالكسر) والعتبة . (٥) الأسوة : القدوة .

أما الكبير فالِكُ ، جَرِيءُ فَاتِكِ ، يُتَعَبُ السَّنَابِكُ<sup>(١)</sup> ، ويستصغر المهالك . وأما الذى يَلِيهِ فَالْفَعْرُ ، بجرِّ غَمْرٍ<sup>(٢)</sup> ، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَعْرُ ، نَهْدٌ<sup>(٣)</sup> صَقْرٌ . وأما الذى يليه فَعَلْقَمَةٌ ، صَلِيبُ الْمَعْجَمَةِ<sup>(٤)</sup> ، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ<sup>(٥)</sup> ، قليلُ الْجَمْعَةِ<sup>(٦)</sup> . وأما الذى يليه فَعَاصِمٌ ، سَيِّدُ نَاعِمٍ<sup>(٧)</sup> ، جَلْدٌ صَارِمٌ ، أَبِيُّ حَازِمٍ ، جَيْشُهُ غَانِمٌ ، وَجَارُهُ سَالِمٌ . وأما الذى يليه فَثَوَابٌ ، سَرِيْعُ الْجَوَابِ ، عَتِيْدُ الصَّوَابِ<sup>(٨)</sup> ، كَرِيْمُ النَّصَابِ<sup>(٩)</sup> ، كَلَيْثُ الْغَابِ . وأما الذى يليه فُدْرِكٌ ، بَدُوْلٌ لِمَا يَمْلِكُ ، عَزُوْبٌ<sup>(١٠)</sup> عما يترك ، يُفْنَى وَيُهْلِكُ . وأما الذى يليه فَجَنْدَلٌ ، لِقَرْنِهِ مُجْدَلٌ<sup>(١١)</sup> ، مُهْلٌ<sup>(١٢)</sup> لما يَحْمَلُ ، يُعْطَى وَيَبْذُلُ ، وعن عدوه لَا يَنْكُلُ<sup>(١٣)</sup> .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتِيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ؟ »<sup>(١٤)</sup> اسمعى منى كلمة ، إن شرَّ الغريبة يُعْلَنُ ، وخيرها يُدْفَنُ ، انكحى فى قومك ولا تغررك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : أنكحنى مدركاً ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صبحهم فوارسٌ من بنى مالك بن كنانة ، فاقتتلوا ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فسبوا فممن سبوا ، فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : ما يبسبك ، أعلَى فراق زوجك ؟ قالت : قَبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد كان جميلا ! قالت : قَبَّحَ اللهُ جمالا

(١) السنايك جمع سنبك كقنفذ . وهو طرف الحافر ، أى أنه يجهد الخيل فى حومة الوغى .

(٢) الغمر : معظم البحر ، والسكرم : الواسع الخلق .

(٣) النهْد : الأسد ، والسكرم . (٤) من عجم المود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره .

(٥) المشتمة : مصدر شتم ، والمعنى : أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه ، لحسن فعله وكرم خلقه

(٦) الجمجمة : إخفاء الشيء فى الصدر .

(٧) نعم كسمع ونصر وهو ناعم : أى ذو تنعم وترفة . (٨) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٩) الصاب : الأصل . (١٠) بعيد . (١١) جدله : صرعه على الجدالة ( كسحابة )

وهى الأرض . (١٢) حامل . (١٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن .

(١٤) الدخلى : ما يبطن فى الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا يخبر له .



لا نَفَعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكَى عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وَقَوْلَهَا : « تَرَى الْفَتِيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ » وَأَخْبَرْتَهُمْ كَيْفَ خَطَبُوهَا ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ يُكْنَى أَبُو نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدٌ أَفْوَهٌ<sup>(١)</sup> مَضْطَرِبُ الْخَلْقِ : أَتَرَضَيْنَ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَمْ كَذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرَيْنَ لَيْمَنَعَ الْحَلِيلَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قَالَتْ : هَذَا أَجْمَلُ جَمَالٍ ، وَأَكْمَلُ كَمَالٍ ، قَدْ رَضِيتُ بِهِ ، فَزَوْجُوهَا مِنْهُ .

(مجمع الأمثال للسيداني ١ : ٩١)

## ٦٧ - طريفة الخير تسكهن بسيل العرم وخراب سد مارب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُونَ في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيَّقِيَاءَ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ، وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةَ غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ، فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَنْتِ الْمَلِكُ عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالَ عَنِي النَّوْمَ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ وَبَرَقَ<sup>(٤)</sup> طَوِيلًا ، ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ<sup>(٥)</sup> ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مُنَاجِدٍ مُتَّصِبَاتٍ عَلَى

(١) الأفوه : وصف من الفوه بالتحريك ، وهو سعة الفم . (٢) الزوجة .

(٣) لقب بذلك ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ، ويمزقهما بالعشى ، يكره العمود فيهما ، ويأنف

أن يلبسهما غيره . (٤) رعدت السماء وبرقت (كنصر) ، وأرعدت السماء وأبرقت ، وأنكر الأصمعي

الرباعي فيهما . (٥) الوصيف : الخادم والخدمة .

أرجلهن ، واضعات أيديهن على أعينهن - وهي دواب تشبه اليرابيع<sup>(١)</sup> - قعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجيد فأخبرني ، فلما ذهبت أعلمها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو ، وثبت من الماء سُلْحَفَاءَ . فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتَحْثُوُ التراب على بطنها من جَنَبَاتِهِ ، وتَقْدِفُ بالبول قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين اتصف النهار في ساعةٍ شديدة الحرِّ ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استعجيا منها ، وأمر الجاريتين بالتنحّي ، ثم قال لها يا طريفة : فكهنت وقالت : « والثور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمان السالك » . قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجيد ، بسنين شائد ، يقطع فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت . « أقول قول النذمان لهفأ ، لقد رأيت سُلْحَفَاءَ<sup>(٢)</sup> ، تَجْرُفُ التراب جرفاً ، وتَقْدِفُ بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ، من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو؟ وَبَلِّكِ ! قالت : « أجل ، إن فيه الويل ، وما لك فيه من قيل<sup>(٣)</sup> ، وإن الويل فيما يجيء به السيل » فألقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل » قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت « اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جُرْدًا يُكْثِرُ بيديه في السد الحفرَ ، ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن عمر الغمر<sup>(٤)</sup>

(١) اليربوع : دويبة نحو القفارة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ؛ ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة .

(٢) يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيضا سلحفا ساكة اللام مفتوحة الحاء .

(٣) قال قتيلا : نام في القائلة ، وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

(٤) الغمر : الماء الكثير .

وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ . قال : وما هذا الذي تذكرين ؟ قالت : « وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ نَزْلَ ،  
وَباطِلٌ بَطْلٌ ، وَنَكَالٌ بِنَا نَكَلٌ ، فَيَغْيِرُكَ يَا عَمْرُو فليكن التَّكَلُّ (١) ، فانطلق عمرو فإذا  
الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، ( كذا ) فرجع إلى طريفة فأخبرها  
الخبر وهو يقول :

أَبصرتُ أُمراً عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ      وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحٌ السَّقَمِ (٢)  
مِنْ جُرْدٍ كَفَحَلٍ خِنْزِيرِ الْأَجَمِ      أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْقَمِ (٣)  
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ      لَهُ مَخَالِبُ وَأَنْيَابُ قُضْمِ (٤)  
مَا فَاتَهُ سَحَلًا مِنَ الصَّخْرِ قُضْمِ (٥)

فقال طريفة : وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة فتوضع  
بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء (٦) ، من سهلة (٧) الوادي ورملة ، وقد  
علمت أن الجنان مُظَلَّلَةٌ لا يدخلها شمس ولا ربيع ، فأمر عمرو بزجاجة فوضعها بين يديه  
ولم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء ، فأخبر عمرو طريفة بذلك وقال لها :  
متى يكون هلك السد ؟ قالت له : فيما بينك وبين سبع سنين . قال : ففي أيها يكون ؟  
قالت : « لا يعلم بذلك إلا الله ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا تأتي على ليلا فيما بيني وبين  
سبع السنين إلا ظننت الهلاك في غدها ، أو في مساءها ، ثم رأى عمرو في نومه سيل العرم ،  
وقيل له : آية ذلك أن ترى الحصباء في سَعَفِ النَّخْلِ ، فنظر إليها ، فوجد الحصباء فيها قد

(١) التكل كسبب وقفل : الموت والهلاك .

(٢) البرح : الشدة . (٣) الأجم جمع أجمة : وهي الشجر الكثير الملتف ، والصرم : الجماعة  
والفرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراق ، وجمع جمع الجمع أفاريق ، والجلاميد جمع جلمود كصنوبر :  
الصخر . (٤) العرم : السد يعترض به الوادي (ومن معانيه أيضا المطر الشديد ، والجرذ ، وواد  
جاء السيل من قبله ) . (٥) سحله كنعج : قشره ونحته ، وقضمه : كسره .

(٦) البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . (٧) السهلة بالكسر : تراب كالرمل  
يحيى به المساء ، وأرض سهلة كفرحة : كثيرتها .

ظهرت ، فلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرّب ، فسكنم ذلك وأخفاء ، وأجمع  
على بيع كل شيء له بأرض مأرب<sup>(١)</sup> وأن يخرج منها هو وولده<sup>(٢)</sup> ، فخرج ثم أرسل  
الله تعالى على السد<sup>(٣)</sup> السيل فهدمه . ( شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨ )

\* \* \*

(١) مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بليقيس ، بينها  
وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .  
(٢) وقد خشى أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأني عليه ،  
وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس ، وإذا لطمه ، يرفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاما وبعث إلى أهل  
مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره  
بما أمر ؛ فجعل يأمره بأمر فيتأني عليه وينهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ؛  
وكان اسمه ملكا ، فصاح عمرو واذلاه يوم فخر عمرو بهيجه صبي ويضرب وجهه ، وحلف لبقته ، فلم  
يزالوا بعدرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع في فيه هذا : ولا ييمن أموال حتى  
لا يرث منها بعدى شيئا ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتصموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى  
فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس  
من الأزدي فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر للناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت  
إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ،  
فنزّلوا أرض عك فحاربهم عك . فارتحلوا عنها ، ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا  
على البلاد ، فنههم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ،  
وهم ابنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى  
أرض الشراة ؛ وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو ببسير من أرض  
اليمن طيبي<sup>١</sup> فنزلت جبلي طيبي<sup>٢</sup> أجأ وسلمي ، ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسما  
خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل بزق .

(٣) كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد  
ويقال إن الذي بناه كان من ملوك حير ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن ، فردموا  
ردما بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب  
الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزْيِقِيَاء ، ومعهم

طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

« لَا تَوُثُّوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ

جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قالوا لها : ما شأنك يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعير

الشَّدَقَمَ <sup>(١)</sup> ، فخضبوه بالدم ، تكن لكم أَرْضُ جُرْمِمْ <sup>(٢)</sup> ، جيران بيته المُحَرَّمِ .

( الأغاني ١٣ : ١٠٥ )

\* \* \*

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلْقَتْ طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يَقَالُ لَهُ مَزْيِقِيَاءُ بِنِ مَاءِ السَّمَاءِ ،

وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كِهَانَتِهَا <sup>(٣)</sup> أَنَّ سَدَّ مَأْرِبٍ سَيَخْرَبُ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخْرَبُ

الْجَنَّتَيْنِ <sup>(٤)</sup> ، فَبَاعَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ

وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمُ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ فِيهَا مَا لَحِمَى ، فَدَعَا طَرِيفَةُ فَشَكَوْا

إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفْرَقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا :

فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

(١) الواسع الشدق . (٢) وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن افسحوا لنا في بلادكم

حتى نقيم قدر مانستريح ونرسل روادا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبت ذلك جرحهم إباء شديدا ، وقالوا : لا والله مانحج أن ينزلوا فيضيقوا علينا مراتبنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين الفريقين ، وانهمزت جرحهم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

(٣) كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرفته الكهانة بالكسر .

(٤) قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ،

كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

« من كان منكم ذا همٍّ بعيد ، وجعل شديد ، ومزاد<sup>(١)</sup> جديد ، فليلحق بقصر عمان المشيد<sup>(٢)</sup> ، فكانت أزدُ عُمان ، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقسر<sup>(٣)</sup> ، وصبرٍ على أزَمات الدهر ، فعليه بالأراك<sup>(٤)</sup> من بطن مر<sup>(٥)</sup> ، فكانت خُزاعة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوَحْل ، المُطعمات في الحَلِّ<sup>(٦)</sup> ، فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الأوسُ والحزرج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر الخمير ، والملك والتامير ، ويلبس الدِّياج والحريير ، فليلحق ببصرى وغوير ، (وها من أرض الشام) ، فكان الذين سكنوها من آل جفنة من غسان ، ثم قالت : من كان منكم يد الثياب الرقاق ، والحليل العتاق ، وكنوز الأرزاق ، والدم المَهراق ، فليلحق بأرض العراق ، فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل مُحرق<sup>(٧)</sup> .  
(مجمع الأمثال : ١ : ١٨٦)

## ٦٨ - حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كان ثلاثة أبطن من قضاة مجتورين<sup>(٨)</sup> بين الشجر وحضر موت : بنو ناعب ، وبنو داهن ، وبنو رثام ، وكانت بنو رثام أقلهم عددًا ، وأشجعهم لقاءً ، وكانت لبني رثام عجوز تسمى خويلة ، وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكان يدخلُ على خويلة أربعون رجلاً ، كلُّهم لها محرّم ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيمًا ، وكان بنو ناعب ، وبنو داهن متظاهرين على بني رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم في عرس لهم ، وهم سبعون رجلاً ، كلهم شجاع بيثرب<sup>(٩)</sup> ، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت

(١) المزاد والمزاید جمع مزادة : وهي الراوية . (٢) المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن يزيد : أما هدت لمصره نزار ؟ بلى ، وقموض المجد المشيد .  
(٣) قسره على الأمر : قهره . (٤) الأراك : القطة من الأرض ، وموضع بدرفات ، وجبل بهذيل . (٥) مر بن أد بن طابحة . (٦) الحل : الشدة والجذب . (٧) هو عمرو بن هند ، لأنه حرق مائة من بني تميم . (٨) متجاورين . (٩) البيثرب : الشجاع ، من يؤس ككرم بأسا .

زبراء كاهنةً ، فقالت لخويله : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويله تنوكةً على زبراء ، فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يا ثمر الأكد ، وأنذاد<sup>(١)</sup> الأولاد ، وشجبا<sup>(٢)</sup> الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد<sup>(٣)</sup> الشنماء ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

« واللوح<sup>(٤)</sup> الخافق ، والليل الغاسق<sup>(٥)</sup> ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق<sup>(٦)</sup> ، والمزني الوادق<sup>(٧)</sup> ، إن شجر الوادي ليأدو ختلاً<sup>(٨)</sup> ، ويحرق أنياباً عضلاً<sup>(٩)</sup> ، وإن صخر الطود لينذر شكلاً<sup>(١٠)</sup> ، لا تجدون عنه معللاً<sup>(١١)</sup> » .

فوافقت قوماً أشاري<sup>(١٢)</sup> سُكاري ، فقالوا : « ریح حجوج<sup>(١٣)</sup> ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراء بالابلق النتوج<sup>(١٤)</sup> » .

فقالت زبراء : « مهلاً يا بني الأعزة ، والله إنى لأشم ذفر<sup>(١٥)</sup> الرجال تحت الحديد »

(١) أنذاد : جمع نذبالكسر ، وهو المثل والنظير . (٢) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . (٣) المؤيد : الداهية والأمر العظيم . (٤) اللوح بالنضم والفتح (والضم أعلى) : الهواء بين السماء والأرض . (٥) غسق الليل كجلس : اشتدت ظلمته . (٦) الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . (٧) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والوادق من ودق المطر كوعد : قطر . (٨) أدوت له آدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له أيضاً) والختل : الخداع . (٩) حرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند الغضب يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأضراس ، والعصل : المعوجة جمع أعصل . (١٠) الطود : الجبل ، والكل : اللفظ . (١١) المعل : المنجى . (١٢) الأشر محرقة : المرح . (١٣) الحجوج : السريعة المر .

(١٤) الأبلق : وصف من البلق محرقة ، وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون نتوجاً ، والعرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا يتال ، تقول « طلب الأبلق العقوق » ، فلما فاته أراد بيض الأنوق « والعقوق كصبور : الحامل ، والأنوق كصبور أيضاً : الذكر من الرخم ولا بيض له ، هذا قول بعض اللغويين . فالمنى أنه طلب مالا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضاً مالا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء . فالمنى أنه طلب مالا يقدر عليه ، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . (١٥) الذفر : حدة الريح ، يكون في التنن والطيب (والذفر لا يكون إلا في التنن) .

فقال لها فتى منهم يقال له هُدَيْلُ بن مُنْقِذٍ : « يَا خَدَاقِ <sup>(١)</sup> ، والله ما تَشْمِينِ  
إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون  
رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا في مَشْرَبِهِمْ ، وطَرَقْتَهُمْ بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوه  
أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةَ مع الصباح ، فوفقت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم ،  
فقطعتها وانتظمت منها قِلَادَةً ، وأَلَقَتْهَا في عُنْقِهَا ، وخرجت حتى لَحِقَتْ بِمِرْضَاوِي بن سَمَوَةَ  
المَهْرِي ، وهو ابن أختها فأناخت بفنائِهِ ، فاستعدته على بنى داهن وبنى ناعب ، فخرج  
في مَنَسِيرٍ <sup>(٢)</sup> من قومه ، فطرقهم فأوجع فيهم .  
(الأمالي : ١ : ١٢٦)

## ٦٩ - كاهنة ذى الخلصة تكهن بما في بطن رقية بنت جشم

زعموا أن رُقِيَّةَ بنت جُشَم بن معاوية ولدت مُمَيَّرًا وهِلَالًا وسواة ، ثم اعتاطت <sup>(٣)</sup>  
فأنت كاهنة بذى الخَلِصَةِ <sup>(٤)</sup> ، فأرَتْهَا بطنها ، وقالت : إني قد ولدت ثم أَعْتَطْتُ ،  
فنظرت إليها وَمَسَّتْ بطنها ، وقالت :

« رَبِّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَجَجَالِسَ حَلْقِي ، وَظُنُنٌ <sup>(٥)</sup> حَزُونٌ <sup>(٦)</sup> ، في بطنك زُقٌّ <sup>(٧)</sup> . »

(١) خدّاق : كناية عما يخرج من الانسان ، يقال : خذق ومزق وزرق .

(٢) المنسر من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين

أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . (٤) ذى الخلصة محرّكة وبضمين : بيت كان

يدعى للكعبة البمانية لظنهم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . (٥) الظنن والظلمات جمع ظنينة : وهى الهودج

سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت فى الهودج ، ويقال ، الظنينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها

ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظلومة ( أى يظمن بها زوجها ، فهى فعيلة بمعنى

مفعولة) . (٦) الحزق والحزقة ( بكسر الحاء ) والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة ( بالفتح ) الجماعة ،

والجمع حزائق وحزيق وحزق ( بضمين ) . (٧) أى وضع واصل الزق : رمى الطائر بذرقه ، والمنى :

رب جنين تشعب منه قبائل متفرقة ، ويقناسل منه ذكران يتحلّقون فى المجالس والأندية وجهات من النسوة

قد أودع بطنك .



فلما مَحَضَتْ<sup>(١)</sup> بربيعة بن عامر<sup>(٢)</sup> ، قالت : إني أعرف ضَرْطِي بهلال ، « أي هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاماً » .  
(مجمع الأمثال ١ : ٣٢١)

## ٧٠ - رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيمٌ » على إبل عمرو بن بَرَّاقَةَ الهمداني وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى الهمدانية ، وكانت بنت سيِّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يصدُّرون ، فأخبرها أن حريمًا المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : « وَالْخَفْوِ وَالْوَمِيضِ<sup>(٣)</sup> ، وَالشَّفَقِ كَالْإِحْرِيضِ<sup>(٤)</sup> ، وَالْقَلَّةِ وَالْحَضِيضِ<sup>(٥)</sup> ، إن حريمًا لمَنيعُ الحيزِ<sup>(٦)</sup> ، سيِّدُ مَزِيزٍ<sup>(٧)</sup> ذُو مَعْقِلِ حَرِيْزٍ ، غَيْرَ أَنِي أَرَى الْحِمَّةَ<sup>(٨)</sup> سَتَظْفَرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ، بِطَيْئَةِ الْجَبْرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَعْ<sup>(٩)</sup> » فأغار عمرو ، فاستاق كلَّ شيءٍ له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورَجَعَ حريم .

(الأمالي ٢ : ١٢٣)

(١) مَحَضَتْ كسبح ومنع وعنى : أخذها النطق .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة

ابن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن ربيعة .

(٣) الخفو : اللعان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفو . (٤) الاحريض : العصفور .

(٥) القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء ، والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

(٦) الناحية . (٧) مزيز : فاضل ، من قولهم هذا أمز من هذا أي أفضل منه .

(٨) الحممة : القدر ( محرّكة ) ، وقيل هي واحد الحمام ( بالكسر ) .

(٩) نكعه عن الأمر ( كنع ) رده ودفعه .

## ٧١ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العجفاء بنت علقمة السعدية ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن فاتمذن بروضة يتحدثن فيها ، قواقين بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلة طلقة ساكنة ، وروضة معشبة خضبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلة ، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحاً ولا أنضر ، ثم أفضن في الحديث ، فقلن : أيء النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخرود<sup>(١)</sup> الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات العناء<sup>(٢)</sup> ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع الجموع ، النفع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظ<sup>(٣)</sup> الرضى ، غير الحظ<sup>(٤)</sup> البطى . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخى ، الوفى الرضى ، الذى لا يغير<sup>(٥)</sup> الحرّة ، ولا يتخذ الضرة . قالت الرابعة : وأبيكن ، إن فى أبى لنتتكن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق ، والقابح<sup>(٦)</sup> عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يكرم الجار ، ويعظم الخطار<sup>(٧)</sup> ، وينحر العشار<sup>(٨)</sup> ، بعد الحوار<sup>(٩)</sup> ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت

(١) الخرود والخريد والخريدة : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة .

(٢) الكفاية والمنفعة . (٣) الحظى : ذو الحظوة والمكانة عند روجه ، والحظية كذلك .

(٤) رجل حظال ككتف وشداد وصبور : مقتر يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال

« غير الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل ( يفتح فسكون ) وهو الحقد .

(٥) أغار امرأته : تزوج عليها . (٦) الفوز والظفر .

(٧) الخطار جمع خطر كسبب وهو السبق يتراهن عليه . (٨) العشار جمع عشراء كنفساء وهى

من التوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٩) الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه

أو إلى أن يفصل عن أمه .

الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر<sup>(١)</sup> ، عزيز النفر ، يُحمد منه الورد والصدّر ،  
فقلت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ، رذوم<sup>(٢)</sup> الجفان ، كثير  
الأعوان ، يُروى السنان ، عند الطعان ، قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال ، مُنيف  
المقال ، كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعال .

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمى ما قلنا ، واحكى بيننا واعدلى ،  
ثم أعدن عليها قولهن ، فقلت لهن : « كل واحدة منكن ماردة<sup>(٣)</sup> ، بأبيها واجدة<sup>(٤)</sup> ،  
على الإحسان جاهدة ، لصواحبها حاسدة ، ولكن اسمعن قولى : خيرُ النساء المبقية  
على بعلها ، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مُطلقة ، فهى تُؤثرُ حظَّ زوجها  
على حظِّ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجوادُ البطل ، القليل الفشل ،  
إذا سأله الرجل ، ألفاه قليل المَلل ، كثير النفل<sup>(٥)</sup> ، ثم قالت : كل واحدة منكن  
بأبيها مُعجبة .

( مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ وجمهرة الأمثال ٢ : ١٣٣ )

## ٧٢ - عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة ، فوفد عليه زعماء  
العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، فرفع الحجاب عن الوافدين ، وأوسمهم عطاء ،  
واشدد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا فى المنام أخافته وأذعرته  
وهالته فى حال منامه ، فلما اتبه أنسبها حتى لم يذكر منها شيئاً ، وثبت ارتبائه فى نفسه  
بها ، فانقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أساءوا به الظن ، ثم إنه حشر  
الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ، ثم يقول له : أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ،

(١) الوزر : الملجأ . (٢) الرذوم : القصة المثلثة تنسب جواناتها .

(٣) أى قد بلغت الغاية . (٤) وجد به (بالكسر) أجه . (٥) النفل : الهبة .

فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى لم يدع كاهنًا علمه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهن علمًا بما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سَلَ عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرُفعت له أبيات من ذرًا<sup>(١)</sup> جبل ، وكان قد لفحه الهجير ، فعدّل إلى الأبيات ، وقصد بيتًا منها كان منفردًا عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المددعة<sup>(٢)</sup> ، والملبة المترعة<sup>(٣)</sup> ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح<sup>(٤)</sup> ، نام فلم يستيقظ حتى تصبّر الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قوامًا ولا جمالا ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه كما رأى أنها عرفته ، وتصام عن كلماتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فجدك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قرّبت إليه ثريداً وقديداً وحيساً<sup>(٥)</sup> ، وقامت تذبُّ عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبنًا صريفًا وضربيًا<sup>(٦)</sup> ، فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مُقبلةً ومدبرةً ، فلأت عينيه حسنا ، وقلبه هووى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عفيراء ، فقال لها : يا عفيراء ، من الذي دعوته بالملك الهمام ؟ قالت : « مرثد العظيم الشان ، حاشر الكواهن والكهّان ، لمعضلة بعد عنها الجان » ، فقال يا عفيراء :

(١) أى فى كنفه وسره . (٢) الجفنة : القصعة ، والمددعة : التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص ما فيها ، ثم ملكت بعد ذلك . (٣) العلبة : قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : المملوءة . (٤) الأرواح ، والرياح جمع ريح . (٥) القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ( والأقط شيء يتخذ من المخيض الغنمى ) . (٦) الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء .

أتعلمين تلك العضلة؟ قالت: «أجل أيها الملك، إنها رؤيا تمام، ليست بأضغاث<sup>(١)</sup> أحلام». قال الملك: أصبت يا عفيراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: «رأيت أعاصير<sup>(٢)</sup> زوابع بعضها لبعض تابع، فيها هَبّ لامع، ولها دُخَان ساطع، يَقْفُوها نهر مُتَدَا فِع، وسمعت فيما أنت سامع، دُعَاء ذِي جَرَسٍ<sup>(٣)</sup> صَادِعٍ: هَلُمَّوا إِلَى المِشَارِعِ<sup>(٤)</sup>، فَرَوِي جَارِعٍ<sup>(٥)</sup>، وَغَرِقِ كَارِعٍ<sup>(٦)</sup>» فقال الملك: أجبْ، هذه رؤياي، فما تأويلها يا عفيراء؟ قالت: «الأعاصير الزوابع، ملوكٌ تَبَّاعٍ<sup>(٧)</sup>، والنهر علم واسع، والداعي نبيٌّ شافع، والجارع وَلِيٌّ تابع، والكارعُ عدوٌّ منازع». فقال الملك: يا عفيراء، أَسِمْ هذا النبي أم حرب؟ فقالت: «أَقِسِمُ برفع السماء، وَمُنْزِلُ الماء من العَمَاءِ<sup>(٨)</sup>، إنه لِمُطِلُّ الدماءِ<sup>(٩)</sup>، وَمُنْطَقُ العقائلِ نُطْقَ الإِمَاءِ<sup>(١٠)</sup>». فقال الملك: إلام يدعو يا عفيراء؟ قالت: «إلى صلاة وصيام، وَصِلَةِ أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام<sup>(١١)</sup>، واجتناب آثام» فقال الملك:

(١) أضغاث أحلام: رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها. (٢) الأعاصير جمع إعصار وهو الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد.

(٣) الجرس: الصوت. (٤) المشارع جمع مشرعة وهي مورد الشاربة. (٥) جارع: فاعل من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلعه. (٦) كارع فاعل من كرع في الماء كسمع ومنع تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا يأناء. (٧) التباع جمع تبع كسكر: ملوك الهين.

(٨) العماء: السحاب الكثيف. (٩) انظر قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع «وإن دماء الجاهلية موضوعة». (١٠) العقائل: كرائم النساء جمع عقيلة، والنطق جمع نطق ككتاب والنطاق والمنطقة: ما تشد به المرأة وسطها للمهنة، ونطقها تنطقا: ألبسها النطاق فتنطقت وانتطقت ومنطق النساء أي يسيبن فيشددن للنطق على أوساطهن للخدمة كالإماء. (١١) الأزلام جمع زلم كسبب قدام كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية (أي يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا من تجارة أو سفر أجالوا ثلاثة قدام (القداح جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت عند أصنامهم، أحدها مكتوب عليه: أمرني ربي، والثاني: نهاني ربي، والثالث: غفل، فإن خرج الأول مضوا في الأمر، أو الثاني أحجموا عنه، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين.

يا عفراء ، إذا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمِنْ أَعْضَادِهِ<sup>(١)</sup> ؟ قالت : أَعْضَادُهُ غَطَارِيفُ<sup>(٢)</sup> يَمَانُونَ ،  
طَأَّوْهُمْ بِهِ مَيِّمُونَ ، يُغْزِيهِمْ قَيْغَزُونَ ، وَيُدْمَثُ<sup>(٣)</sup> بِهِمُ الْحَزُونَ ، وَإِلَى نَصْرِهِ يَعْزُونَ .  
فَأَطْرَقَ الْمَلِكُ يُؤَامِرُ<sup>(٤)</sup> نَفْسَهُ فِي خُطْبَتِهَا ، فَقَالَتْ : « أَيُّتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ تَابَعِيَ  
غَيُورٌ ، وَالْأَسْرَى صَبُورٌ ، وَنَاكِحِي مَثْبُورٌ ، وَالْكَالِفُ بِي ثُبُورٌ<sup>(٥)</sup> » . فَهَضَّ الْمَلِكُ  
وَجَالَ فِي صَهْوَةٍ<sup>(٦)</sup> جَوَادِهِ ، وَانْطَلَقَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِمِائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ<sup>(٧)</sup> .

( بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦ )

---

(١) الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .  
(٢) الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . (٣) يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس  
وهو ما غلظ من الأرض . (٤) يشاور . (٥) الثبور : الهلاك . (٦) الصهوة : مقعد الفارس  
من ظهر فرسه . (٧) الكوماء : الناقة العظيمة السنم .

# الوصايا

## ٧٣ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشَم ، والحِث ، وكعب . فلما حضره الموت ، قال له قومه : قد كنا نأسرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوّج حتى حضر الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فعمل الذي استخرج العذق<sup>(١)</sup> من الجرّيمة<sup>(٢)</sup> ، والنار من الوثيمة<sup>(٣)</sup> ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجلا بُسلا<sup>(٤)</sup> ، يا مالك ، المنية ولا الدنيا ، والعتاب قبل العقاب ، والتجملد لا التبلى ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشرّ شاربٍ المشتف<sup>(٥)</sup> ، وأفبح طاعمٍ المُتقف<sup>(٦)</sup> ، ودهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحرّيم ، ومَن قَلَّ ذَلَّ ، ومَن أَمِر<sup>(٧)</sup> فَلَّ ، وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم

(١) العذق : النخلة يحملها والعذق ( بكسر العين ) القنو منها . (٢) النواة .

(٣) الوثيمة : الحجارة ، وثمه : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : ربحها بخوافره . ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العذق من الجرّيمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خمسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاتبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمم بيته ( بالتحريك ) أى قصده وحذاه . (٤) شجعانا : جمع باسل .

(٥) المشتقى ، اشتف ما في الإناء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفاقة ( بالضم ) ، وهى البقية

تبقى في الإناء . (٦) الآخذ بمجلة ، ومنه سعى القفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه .

(٧) أمر كفرح أمرا وأمرة : كثرتم فهو أمر وأمره الله وأمره كتنصره كثرة : ( وإذا أردنا أن

هلك قرية أمرنا مترفيها ) . أى كثرتنا .

لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سَيَنْجِسِر<sup>(١)</sup>،  
فإنما تعرُّ<sup>(٢)</sup> من ترى ويعزك من لا ترى، ولو كان الموت يُشْتَرَى، لسلم منه أهل الدنيا،  
ولسكن الناس فيه مستوون، الشريف الأبلج، واللَّيِّم المَعْلَهَج<sup>(٣)</sup>، وَالْمَوْتُ الْمُفِيتُ،  
خير من أن يقال لك هَبِيت<sup>(٤)</sup>، وكيف بالسلامة، لمن ليست له إقامة، وشرٌّ من المصيبة  
سوء الخلف، وكل مجموع إلى تلف، حَيَّاكَ إلهك.

(الأمال : ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد : ١٥٤)

## ٧٤ - وصية ذى الإصبع العدو أنى لا بنه أسيد

لما اُحْتَضِر<sup>(٥)</sup> ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : يا بني إن أباك قد فنى وهو  
حتى ، وعاش حتى سَمَّ العيش ، وإنى موصيك بما إن حفظته بَلَّغْتَ في قومك ما بلغته ،  
فاحفظ عني . ألنَّ جانبك لقومك محبوبك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وَأَبْسُطْ لهم وجهك  
يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوِّدوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ،  
يُكْرِمُكَ كبارهم ، وَيَكْبُرُ على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، وَأَحْمِرْ حَرِيمَكَ ،  
وَأَعْرِزْ جارك ، وَأَعِنْ مَنْ أَسْتَعَانَ بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ<sup>(٦)</sup> ،  
فإن لك أجلاً لا يمدُّوك ، وَصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمُّ سُوْدُوكَ .

(الأغاني ٣ : ٦)

(١) ينكشف . (٢) تغلب . عزه يعزه كتنصره عزا ، وعزير كضرب عزا وعزة صار عزيزا .  
(٣) المنتهى في الدناءة والأؤم . (٤) الأحق الضميف . (٥) حضره الموت .  
(٦) أى في وقت الصريخ وهو نداء المستغيث .



## ٧٥ - وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغَلْبِيَّ ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَمِنْ أَسْرَمَقْتَبِلْ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَوْصَيْكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا ، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشِّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلَوْا أَرْحَامَكُمْ ، تَعَمَّرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَائُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْتُوا بِهِنَ إِلَّا كِفَاءً ، وَأَبْعَدُوا بِيُوتِ النِّسَاءِ مِنْ بِيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ ، لَوْ أَعَفَّ لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِقَاءُ ، فِي ذَلِكَ دَاءٍ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لغيرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلَّ مَنْ أَنْهَكَ حَرَمَةَ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذَلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَجِلُّ بِكَ ذَلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدَّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفِ ، وَإِذَا حُدِّثْتُمْ فَعَوُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجَزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ <sup>(١)</sup> ، وَمَوْتَ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجَلٍ ، وَمَا بَكَيْتَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَحْدُوثةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبِ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَخَافُ شَرَّهُ ، فَبِكُوْهُ <sup>(٣)</sup> خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ، وَعَقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ ، وَلَا تُبْرِّحُوا فِي حَبْكُمُ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَرِّحٍ فِي حَبٍّ ، آلَ

(١) أهدر : هذى . (٢) لم يرض . (٣) بكأت الناقة بكثا قل لبنها .

ذلك إلى قبيح بفض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فَبَرْتَهُ<sup>(١)</sup> ، واعلموا أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة فسكت ، وضعف قلبي فَأَهْتَرْتُ<sup>(٢)</sup> ، سلمكم ربكم وحياكم .

( شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ والأغانى ٩ : ١٧٨ )

## ٧٦ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ قَدِ أَتَى عَلَى مِائَةِ وَسْتُونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي يَمِينَ غَادِرٍ ، وَلَا قَعِيتُ لِنَفْسِي مِخْلَةً<sup>(٣)</sup> فَاجِرٍ ، وَلَا صَبَّوتُ بَابِنَةَ عَمٍ وَلَا كِنَّةً<sup>(٤)</sup> ، وَلَا بُحْتُ لَصَدِيقٍ بَسْرٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُومَسَةَ قِنَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ - وَرَوَى : عَلَى دِينِ شَعِيبٍ - مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي وَغَيْرِ تَمِيمِ بْنِ مَرَّةٍ ، وَأَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، فَمُوتُوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وَإِلَهُكُمْ فَاتَّقُوا ، يَكْفِيكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ ، وَيُصَلِّحُ لَكُمْ حَالَكُمْ ، وَإِبَائَكُمْ وَمَعْصِيَتَهُ ، فَيُحِلِّجْ بِكُمْ الدَّمَارَ ، وَيُبُوحِشْ مِنْكُمْ الدِّيَارَ . كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، فَتَكُونُوا شَيْعًا ، وَبُرُؤًا قَبْلَ<sup>(٥)</sup> أَنْ تُبْرِئُوا ، فَمُوتْ فِي عَزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَأَنَّ كَأَنَّ ، وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى تَبَايُنٍ ، وَالدهرُ ضَرْبَانُ ، ضَرْبٌ بِلَاءٍ ، وَضَرْبٌ رِخَاءٍ ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانُ ، يَوْمٌ حَبْرَةٌ ، وَيَوْمٌ عَبْرَةٌ ، وَالنَّاسُ رَجُلَانُ ، رَجُلٌ لَكَ ، وَرَجُلٌ عَلَيْكَ ، زَوْجُوا النِّسَاءَ الْأَكْفَاءَ ، وَإِلَّا فَاتَّظَرُوا بِهِنَ الْقَضَاءَ ، وَلِيَكُنْ أَطِيبَ طَيِّبِينَ

(١) باره : جر به . (٢) اهتر بالضم : ذهب العقل من كبر أو مرض أو حزن وقد اهتر فهو مهتر

بفتح التاء شاذ ، وقيل اهتر بالبناء للمجهول .

(٣) الخلة : الصداقة المختصة لا لخلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة ( والخلة أيضا الصديق لذكر

والأنثى والواحد والجميع ) . (٤) الكنة : امرأة الابن أو الأخ جمعه كذائن .

(٥) بزه : سلبه ، وفي المثل : من عزز ، أي من غلب سلب .

الماء ، وإياكم وَالْوَزْهَاءُ<sup>(١)</sup> ، فإنها أدوأُ الداء ، وإن ولدها إلى أفن<sup>(٢)</sup> يكون ، لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدو اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة ، ببق السيئة ، والمكافأة بالسيئة دخول فيها ، وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعقِبُ النكد ، ويخرب البلد ، وَيَحَقُّ العدد ، والإسراف في النصيحة ، هو النصيحة ، والحقد يمنع الرِّفْد ، ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرِّعَة<sup>(٣)</sup> ، يقطع أسباب المنفعة ، والضمان تدعو إلى التباين ، يا بَنِي ، إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وَعَبَّرْتُ ، وَكأنى بهم قد أَحَقَّتْ ، ثم قال :

أكلت شبابي فأفنيته      وأبليت بعد دهورٍ دهورا  
ثلاثة أهلين صاحبهم      فبادوا وأصبحت شيخاً كبيراً  
قليلَ الطعام ، عسير القيام      قد ترك الدهر خَطْوِي قصيراً  
أبيت أراعي نجوم السماء      أقلبُ أمرى بطوناً ظهوراً

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

## ٧٧ - وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ العَدَوَانِي سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبِرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا : إِنَّكَ سَيِّدُنَا وَقَاتِلُنَا وَشَرِيفُنَا ، فَاجْعَلْ لَنَا شَرِيفًا وَسَيِّدًا وَقَاتِلًا بِعَدْلِكَ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : كَلَفْتُمُونِي بَغِيًّا ، إِنْ كُنْتُمْ شَرَفْتُمُونِي فَإِنِّي أُرِيْتُمْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي ، فَأَنَّى لَكُمْ مِثْلِي ؟ أَفَهُمُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَمْ

(١) الحمقاء : من وره كفرح : حمق فهو أوره .

(٢) ضعف الرأي والعقل . (٣) الرعة : الطريقة .

يجمعاه ، وكان الباطلُ أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفِر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفِر من الحق .

يا معشر عدوان : لا تَسْمَتُوا بِالذِّلَّةِ ، ولا تفرحوا بالعزَّةِ ، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى ، ومن يَرَّ يوماً يُرَّ به <sup>(١)</sup> ، وأعدُّوا لكل امرئٍ جوابه ، إن مع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذمامة <sup>(٢)</sup> ، ولليد العُلْيَا <sup>(٣)</sup> العاقبة ، والقوَدُ <sup>(٤)</sup> راحة ، لا لك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن لك ، وللكنزة الرعبُ ، وللصبر الغلبةُ ، ومن طلب شيئاً وجدته ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

## ٧٨ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دُوَيْدَ <sup>(٥)</sup> بن زيد الوفاةُ قال لبنيه :

« أوصيكم بالناس شرًّا ، لا ترهّموا لهم عبْرَةً ، ولا تُقِيلوهم عبْرَةً <sup>(٦)</sup> ، قصّروا الأَعِنَّةَ ، وطوّلوها الأسننةَ ، واطعنوا شرّاً <sup>(٧)</sup> ، واضربوا هَبْرًا <sup>(٨)</sup> ، وإذا أردتم المحاجزةَ ،

(١) أى من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

(٢) الذمامة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والكفالة : والحق ، والخرمة . (٣) اليد العليا

المعطية ؛ والسفلى : السائلة ، وفى الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؛ وهو حث على الصدقة .

(٤) القود : القصاص . (٥) هو دويد بن زيد بن نهد الحميرى ، وكان من المعمرين . قيل عاش

أربعمائة وستا وخمسين سنة ، (قالوا : ولا يمد العرب معمرا إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا) .

(٦) أقال الله عشرته : رفعه من سقوطه . (٧) الطعن فى الجوانب يمينا وشمالا .

(٨) هبر اللحم : قطعه قطعا كبيرا ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هبر وهبير هابر :

أى يقطع اللحم .

قبل المناجزة ، والمرء يَعْجَزُ لا الحَالَةَ ، بِالْجِدِّ لا بِالْكَدِّ ، التَّجَلُّدُ ولا التَّبَلُّدُ ، وَالْمَنِيَّةُ  
ولا الدَّيْنِيَّةُ ، ولا تَأْسُوا على قَائِتٍ وإن عَزَّ قَدَهُ ، ولا تَحْنُوا إلى ظَاغِينَ وإن أَلْفَ قُرْبَهُ ،  
ولا تَطْمَعُوا فَتَطْبَعُوا<sup>(١)</sup> ، ولا تَهِنُوا فَتَخْرَعُوا<sup>(٢)</sup> . ولا يَكُونَنَّ لَكُمْ المِثْلُ السَّوِّءُ « إن  
المَوْصِيَّينَ بنو سَهْوَانَ<sup>(٣)</sup> » إذا مِتُّ فَأَرْجِيوْا<sup>(٤)</sup> خَطَّ مَضْجَعِي ، ولا تَضِنُّوا على  
بِرْحَبِ<sup>(٥)</sup> الأَرْضِ ، وما ذلكِ مِمَّوَدِّ إِيَّايَ رَوْحًا<sup>(٦)</sup> ، ولكن حاجة نفس خامرَها  
الإشفاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ في حديث آخر إنه قال :

اليومَ يُبْنِي لِذُوَيْدٍ بَيْتَهُ      يَأْرُبُ نَهْبٍ صَالِحٍ حَوَيْتَهُ  
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطْلٍ أَرْدَبْتَهُ      وَرُبِّ غَيْلٍ حَسَنِ لَوَيْتَهُ<sup>(٧)</sup>  
وَمِعْصَمٍ خَضَبٍ ثَنَيْتَهُ      لو كَانَ لِلدَّهْرِ بِلِيَّ أْبَلَيْتَهُ<sup>(٨)</sup>  
أَوْ كَانَ قِرْنِي واحداً كَفَيْتَهُ

(أمال السيد المرتضى ١ : ١٧١)

(١) الطبع محرّكة : اللدس . (٢) الوهن الضعف ، والخراعة : (كناية) اللين والرخاوة  
خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف وانكسر ، فهو خرع ، وخرع .  
(٣) قال الميداني في مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تحبب في تفسيره كثير من الناس ، قال  
بعضهم : إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم  
يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون  
بالشيء يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ؛ يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان ،  
السهو ، ويجوز أن يكون صفة أي بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى ، يقال  
رجل سهوان وساه ، أي إن الذين يوصون لا بد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » .  
(٤) أرحبه : وسعه .

(٥) الرحب : بالضم مصدر ؛ وبالفتح وصف . (٦) أي راحة ، أو هو بالضم أي وما ذلك  
بمراجعة إلى روعي . (٧) الغيل : الساعد الريان الممتلئ . (٨) المعصم : موضع السوار أو اليد ،  
وهو المراد هنا .

## ٧٩ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زهير بن جناب الكلبي<sup>(١)</sup> بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ : قد كبرت سنِّي ، وبلغت حرَّ سَأْ<sup>(٢)</sup> من دهري ، فأحكمتني التجارب ،  
والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وَعُوهُ ، إياكم وآخوَر عند المصائب ،  
والتواكُل عند النوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ،  
وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترِّين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ما سخِر قوم  
قَطُّ إلا ابتُلوا ، وَلَكِنْ تَوْقَعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ<sup>(٣)</sup> تَمَاوَرُهُ الرِّثَامَةُ ،  
فَقَصِّرْ دُونَهُ ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أنه مصيبه » .

(أماك السيد المرتضى ١ : ١٧٣)

## ٨٠ - وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه

كان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة : سعدٌ وسعيد وساعدة ، وكان أبوه  
ذا شرف وحكمة ، وكان يوصي بنيه ، ويحملهم على أدبه ، أما ابنه سعد فكان شجاعاً  
بطالاً من شياطين العرب ، لا يُقام لسبيله ، ولم تفتحه طليته قطُّ ، ولم يفرِّ عن قرْن ؛  
وأما سعيد فكان يُشبهه أباه في شرفه وسودده ؛ وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى  
وإخوان ، فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعداً ، وكان صاحب حرب ، فقال :

(١) هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، قيل عاش مائتين وعشرين سنة ، وقيل مائتين وخسين ،

وقيل أربعمائة وخسين ، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه .

(٢) الحرس من الدهر : الطويل ، وحرس : كسبح عاش زمانا طويلا .

(٣) الغرض : الهدف ، وتماوره (تتاوره) أى تتداوله .

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُؤُ ، وَالْجَوَادَ يَكْبُؤُ ، وَالْأَثَرَ يَعْفُو <sup>(١)</sup> ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ،  
فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِيرُ ، وَبَطَلَهَا يَنْخَطِرُ ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُ ، وَجَبَانَهَا يَجْسُرُ ،  
فَأَقِلَّ الْمَكْتُ وَالْإِنْتِظَارَ ، فَإِنَّ الْفِرَارَ غَيْرُ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ تَطَالِبُ ثَارَ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ  
م <sup>(٢)</sup> ، وَإِبَاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رِمَاحِهَا ، وَنَطِيحَ نِطَاحِهَا . »

وقال لابنه سعيد ، وكان جوادا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبِيخُلُ الْجَوَادُ ، فَاذِلَّ الطَّارِفَ  
وَالْتَّلَادَ <sup>(٣)</sup> ، وَأَقِلَّ التَّلَاحَ <sup>(٤)</sup> ، تُذَكِّرُ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَأَبْلِي <sup>(٥)</sup> إِخْوَانِكَ ، فَإِنَّ وَفِيهِمْ  
قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مَحْتَمِلِهِ . »

وقال لابنه ساعدة ، وكان صاحب شراب : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تَفْسَدُ  
الْقَلْبُ ، وَتَقَلُّ السَّكْسَبُ وَتُجِدَّ اللَّعِبُ <sup>(٦)</sup> ، فَأَبْصِرْ نَدِيمَكَ ، وَاحْمِ حَرِيمَكَ ، وَأَسْنِ  
غَرِيمَكَ <sup>(٧)</sup> وَاعْلَمْ أَنَّ الظَّمَا الْقَامِحَ <sup>(٨)</sup> ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنَّ فِيهِ  
بِلَاغًا . »

(مجمع الأمثال ١ : ٤٨)

## ٨١ — وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاء قيس بن زهير العبسي <sup>(٩)</sup> بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج منهم ،  
وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :

(١) عفا الأثر : درس واحي . (٢) أي طلاب النار . (٣) الطارف والطاريف : المال  
المستحدث ، والثالذ ، والتلذ ، والتلاد ، والمتلذ : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك .  
(٤) التلاحي : التنازع ، ولاحاه ملاحاة ولحاه نازعه . (٥) اختبر . (٦) أي تجعله جدا ؛  
والجد (بالكسر) ضد الهزل . (٧) الغريم : المدين (وهو الدائن أيضا) . (٨) ممناه العطش  
الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقح البعير قوحا : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو  
قامج ، وقح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديدا .

(٩) هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني  
ذبيان على فرسيهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة) — وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء  
فرسى قيس ، والخطار والحنفاء فرسى حذيفة — وتواضعا الرهان على مائة بعير ، ثم قادوها إلى رأس =

« يا معشرَ النَّمِرِ : إنَّ لَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَكُمْ ، فَأَمْرُكُمْ بِخِصَالٍ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ خِصَالٍ ، عَلَيْكُمْ بِالْأَنَاقَةِ ، فَإِنَّ بِهَا تُدْرِكُ الْحَاجَةَ ، وَتُنَالُ الْفُرْصَةُ ، وَتَسْوَدُّ مِنْ لَا تُعْمَلُونَ بِتَسْوِيدِهِ ، وَتَلِيكُمْ بِالْوَفَاءِ ، فَإِنَّ بِهِ يَمِيشُ النَّاسُ ، وَيُعْطَاةٌ مِنْ تَرِيدُونَ إِعْطَاةً قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ ، وَمَنْعٌ مِنْ تَرِيدُونَ مَنْعَهُ قَبْلَ الْإِلْحَاحِ ، وَإِجَارَةُ الْجَارِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَتَنْفِيسُ الْمَنَازِلِ عَنْ بِيُوتِ الْيَتَامَى ، وَخُلُطُ الضَّيْفِ بِالْعِيَالِ .

وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْغَدْرِ ، فَإِنَّهُ عَارُ الدَّهْرِ ، وَعَنِ الرَّهَانِ ، فَإِنَّ بِهِ تُكَلِّتُ مَا لَكَ أَحَى وَعَنِ الْبَغْيِ ، فَإِنَّهُ قَتْلُ زُهَيْرًا أَبِي <sup>(١)</sup> ، وَعَنِ الْإِعْطَاءِ فِي الْفَضُولِ ، فَتَمَجِّزُوا عَنِ الْحَقُوقِ ، وَعَنِ السَّرْفِ فِي الدَّمَاءِ ، فَإِنَّ يَوْمَ الْهَبَاءِ <sup>(٢)</sup> أَلْزَمَنِي الْعَارَ ، وَمَنْعَ الْحُرْمِ إِلَّا مِنَ الْأَكْفَاءِ ،

= الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياذا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوها فأحضرا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه فردوه عنها ؛ وعلم قيس بذلك ؛ وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس يطلب منه حق السبق ؛ فقال قيس كلا لأمطلنك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغظ له ؛ وكان إلى جنب قيس رمح قطعته به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدوا ذبقة المقتول ، وأخذها حذيفة دفعا للشر ، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتن بين الحيين ، وهذا حذيفة على مالك بن زهير أخى قيس فقتله ؛ وكان الربيع بن زياد عمهما معتمرا في الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الهباءة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان ؛ وحللا ديات القتل ثلاثة آلاف بعير .

(١) وسبب مقتل زهير بن جذيمة العيسى أبي قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤقي الإتاوة زهير ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأنت مجوز من هوازن إلى زهير بسمن في نحي ( النحي كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة ) فاعتذرت إليه ؛ وشكت السنين اللواتي تتابعن على الناس « فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها أي دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

(٢) وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلام مع أصحابهما في جفر الهباءة ، فاتبعهم قيس ومن معه حتى أدركهم فيه ، وقد أرسلوا خيولهم وزعوا سلاحهم ( وكان حذيفة قد أخذ غلامين من بني عيس ، فقتلتهما وهما يسفيشان يا أبتاه حتى ماتا ) فشد قيس والربيع ومن مهمما عليهم ، وهم ينادون لبيك لبيك ، يعني أنهم =



فإن لم تصيبوا لمن الأكفاء . فإن خير منا كهنّ القبور ، ( أو خير منازلها ) ، واعلموا  
أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم ما لكأ أخى ، وظلمتهم بأن قتل  
من لا ذنب له .

( المقدم الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وآمال السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح العيون ص ٩٠ )

## ٨٢ — وصية حصن بن حذيفة لبنيه

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بنى بدر فقال :

« اسمعوا منى ما أوصيكم به : لا يتكلم آخركم على أولكم ، فإنما يدرك الآخر  
ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عزّ حدث ، وإذا حضركم  
أمران ، فخذوا بخيرهما صدرًا<sup>(١)</sup> ، فإن كل مورد مغرّف ، واحببوا قومكم بأجل  
أخلاقكم ، ولا تخافوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزرى بالرئيس المطاع ، وإذا حدثتم  
فأربعوا<sup>(٢)</sup> ، ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير فى الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون  
الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرّون الخيل ، وأعزّوا الكبير بالكبير ، فإنى بذلك كنت  
أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون<sup>(٣)</sup> ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصبح<sup>(٤)</sup> ، وأعطوا  
على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى<sup>(٥)</sup> ، فإن خيرَه أعجله ، واتقوا فضيحات  
البنى ، وقلّبات المزاح ، ولا تجيروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم . »

( آمال السيد المرتضى ٢ : ١٦٨ )

= يجيبون نداء الصبية لما قتلوا ينادون بأبائهم ، فنادوهم الله والرحم ، فلم يقبلوا منهم ، وقتلوا حذيفة  
وحملوا أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وجعلوها فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى  
النكاية والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيسا ندم بعد ذلك ورثى حل بن بدر ،  
وهو أول من رثى مقتوله .

(١) الصدر : الرجوع . (٢) ريع : كنع انتظر وتحبس ، وربع الحبل : قتله من أربع طاقات .

والمعنى إذا حدثتم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكروا القول . (٣) العيون : جمع عين ، وهى خيار كل

شئ . (٤) الصبح الغارة : أى ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .

(٥) قرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا ما قرى به الضيف .

## ٨٣ - وصية لأكرم بن صيفي

كتب النعمان بن خبيصة الباروقي إلى أكرم بن صيفي: «مثل لنا مثلاً نأخذبه»<sup>(١)</sup>

فقال :

« قد حَلَبْتُ الدَهْرَ أَشْطَرَهُ <sup>(٢)</sup> فَعَرَفْتُ حُلُوهَ وَمُرَّه . عَيْنَ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ <sup>(٣)</sup> ،  
إِنَّ أُمَّامِي مَالًا أَسَاجِي <sup>(٤)</sup> . رَبُّ سَامِعٍ يَخْبِرُ لَمْ يَسْمَعْ بِمُدْرِي . كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ .  
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخَذَلُ . تَبَارَكُوا فَإِنَّ الْبِرَّ يَنْبِي <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ الْعَدَدُ  
وَكُفُّوا أَسْنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ . إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا .  
الْصَدَقُ مِنْجَاةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجُزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعُ التَّوَقُّ ، سَتُسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ  
لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَالِ يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْإِنْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ <sup>(٦)</sup> مِنْ لَمْ يَأْسَ <sup>(٧)</sup>  
عَلَى مَا فَانَهُ وَدَعَّ بَدَنُهُ ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ <sup>(٨)</sup> .  
أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبِحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .  
وَيْلٌ لِعَالَمٍ أَمْرٌ مِنْ جَاهِلِهِ . يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أُقْبِلَ ، فَإِذَا أُدْبِرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْقُ .  
الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ <sup>(٩)</sup> . الْبَطْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ حُحُقُ . وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ <sup>(١٠)</sup> . لَا تَنْفَضَبُوا

- (١) هكذا روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : وذكر الميداني أن أكرم وصى بها بنيه حين جمعهم ، والرواية الأولى أطول بكثير من الثانية ، وقد جمعت بين الروایتين . (٢) للناقة شطران : قدامان وآخران ، فكل خلفين من أخلافها شطر ( والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة ) وأشطره بدل من الدهر ؛ والمعنى أنه اختبر شطرى الدهر خيره وشره فعرف ما فيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر . (٣) ذرفت عينه كضرب : سال دمعها ، وذرفت العين دمعها أسالته ؛ وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته . (٤) ساماه : باراه في السمو . (٥) يزيد ، وفي مجمع الأمثال « يبق » . (٦) أى أبقي للقوة ، من جم الفرس جماما ( بالفتح ) ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم المساء يجم بضم الجيم وكسرهما جموما كثر واجتمع ، والبئر تراجع ماؤها ؛ والجمام بالفتح أيضا : الراحة . (٧) يحزن . (٨) أى ففكر في التقدم قبل أن تندم . (٩) الأعلام جمع علم : وهو سيد القوم . (١٠) الأفن : ضعف الرأى والعقل ، وفى الأصل أمن وهو تحريف .

من اليسير ، وربما جنى الكثير . لا يُجيبوا فيما لم تُسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه . حيلةٌ من لا حيلةَ له الصبر . كونوا جميعاً فإن الجمع غالب ، تثبتوا . ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الرّكين . رب عجلةٍ تهب ريثاً . ادّرِعوا الليل واتخذوه جملًا . فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تناهوا في الديار ولا تباغضوا . فإنه من يجتمع يتتققع<sup>(١)</sup> عمدته . أزموا النساء المهابة<sup>(٢)</sup> نعم لهو الغرّة<sup>(٣)</sup> المغزل . إن تعيش ترَ ما لم تره . قد أقرّ صاميت . المكثار كحاطب<sup>(٤)</sup> ليل . من أكثر أسقط<sup>(٥)</sup> . لا تجعلوا سيرا إلى أمة . لا تفرّقوا في القبائل ، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم ، عاقِدوا الثروة<sup>(٦)</sup> . وإياكم والشائظ<sup>(٧)</sup> فإن مع القلة الذلّة : لو سُئِلتِ العارِية قالت أُنغِي لأهلي ذلاً . الرسول مُبلّغ غيرُ مَلوم . من فسدت بطانته عُصّ بالماء . أساء سمعاً فأساء جابة<sup>(٨)</sup> . الدالُّ على الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة . قد تجوع الحرة

(١) تتققع : اضطرب وتحرك . وفي الأصل عنده بدل عمدته وهو تحريف ، وهذا مثل . معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر ففرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بمرض الزوال والانتشار . (٢) أى أن يهينكم ويوقرنكم ، وفي الأصل « المهانة » وهو تصحيف .

(٣) الشريفة . (٤) الحاطب : الذى يجمع الحطب ؛ وهو حاطب ليل : أى مخلط فى كلامه .

(٥) أسقط كلمة ؛ وأسقط فى كلمة أى أخطأ .

(٦) عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . (٧) يقال هم وشيظة فى قومهم أى حشوفهم . (٨) جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعاره . قال المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ؛ فوقف بحزورة مكة ( والحزورة كقسورة : الرابية الصغيرة ) فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابني ؛ قال الأخنس : حياك الله يافى ! قال : لا ، والله ما أمى فى البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا ، فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابة فأرسلها مثلا .

ولا تأكل بثدييها<sup>(١)</sup> . لم يجزُ سالكُ القصدِ ، ولم يعمَ قاصدُ الحق . من شدّد نَفْرَ ،  
ومن تراخى تألّف . الشرف التغافل . أوفى القول أوجزه . أصوب الأمور ترك الفضول .  
التغريب مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة . لكل شيء ضراوة<sup>(٢)</sup> .  
أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلح له إلا الغنى ، وهم الملوك . حُبُّ المدح رأسُ الضياع .  
رضاً الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تَكْرَهْ سُخْطَ مَنْ رِضاهِ الْجَوْزُ معالجة العفاف مَشَقَّة  
فتعوذ بالصبر . أقصر لسانك على الخير وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك ، من قدر  
أزمع ، أمرُ أعمال المقتدرين الانتقام ، جازٍ بالحسنة ولا تسكافي بالسيئة ، أغنى الناس  
عن الحقد من عَظُم عن الجزاة . مَنْ حَسَدَ مَنْ دونه قلَّ عُدْرَه ، من جعل لِحُسْن الظن  
نصيلاً رَوَّح عن قلبه ، عيُّ الصمت أحمد من عي المنطق ، الناس رجالان محترس ومحترس  
منه كثير النصيح يهجم على كثير الظننة<sup>(٣)</sup> ، من ألح في المسألة أبرم<sup>(٤)</sup> ، خير السخاء

(١) أى لا تعيش بسبب ثديها وبما يعلن عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب في صيانة  
الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي ، وكان شيخا  
كبيرا وكان حليفا لعلقة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها  
فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب ، فقال له  
علقة : أنت كفء كريم يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم نظرك في أمرك ؛ ثم انكفأ إلى أمها  
فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بحاجته  
فقالت امرأته لابنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجحجاج (أى السيد) ، الواصل المناخ ، أم الفقى  
الوضاح ؟ قالت ، لا بل الفقى الوضاح ، قالت : إن الفقى يقبرك ، وإن الشيخ يميرك ، وليس الكهل  
الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمته ، إن الفتاة تحب الفقى كحب  
الرهاء أتيق الكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفقى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت إن الشيخ يبيل  
شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويشمت بي أترابي ، فلم تزل أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على  
مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس بفناء  
قومه وهى إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بنى أسد يمتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتنفست الصعداء  
ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال لها : مايبيك ؟ قالت : ماى وللشيوخ ، الناهضين كالفرخ ؛ فقال لها  
شكلكم أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

(٢) يقال : ضرى الكلب بالصيد (كفرح) ضراوة أى تعود ، وكلب ضار ؛ وأضراره صاحبه  
موده وأضراره به : أغراه ، وضراه أيضا تضرية . (٣) التهمة . (٤) أبرمه : أضجره وأمله .

ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلب عليه الصدق ، القلب قد يُتَّهَم وإن صدق اللسان ، الانقباض عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد . فإن خير الأمور أوساؤها ، فُسُولَةٌ<sup>(١)</sup> الوزراء أضر من بغض الأعداء ، خير القُرَآنَاءِ المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له من نفسه زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله ، لن يَهْلِكَ امرؤ حتى يَمَلَّ<sup>(٢)</sup> الناس عَتِيدَ فعله ويشتد على قومه ، وَيُجَبِّبُ بما ظهر من مروءته ، ويعتر بقومه ، والأمر يأتيه من فوقه ، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب ، لا تَمَاءٌ مع العَدَمِ ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العيُّ أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك ، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجةً ، أقلُّ الناس راحةً الحَقُودُ ، من تَعَمَّدَ الذنب لا تجل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رِفْقٌ ، والرفق يُنِّمُ .

( جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥ )

## ٨٤ - وصية أكرم بن صيفي لطبي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طبي :

« أوصيكم بتقوى الله وَصِلَةِ الرَّحِمِ . وإياكم وَنِكَاحَ الحَمَاقِ ، فإن نكاحها غَرَرٌ<sup>(٣)</sup> ، وَوَلَدَهَا ضِيَاعٌ . وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن السكريمة<sup>(٤)</sup> ، وَرَقُوءُ الدَّمِ<sup>(٥)</sup> ، وبألبانها يُتَّخَفُ

(١) فصل فسولة فهو فصل : أي رذل لامروءة له ، والوزراء : جمع وزير وهو التصير والظهير .

(٢) في الأصل « يملك » وأرى صوابه يمل .

(٣) الغرر : الخطر : غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة والاسم الغرر . (٤) يريد مهرها .

(٥) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرققه ، والمعنى أنها تعطى في

الديات فتحقن بها الدماء .

الكبير<sup>(١)</sup> ، وَيُعْذَى الصغِير ، ولو أن الإبل كَلَّفَت العَلَّحَن لطحنت . ولن يَهْلِكَ امرؤ عرف قدره . والعُدْم<sup>(٢)</sup> عُدْمُ العقل ، لا عُدْمُ المال . ولَرَجُلٌ خَيْرٌ من ألف رجل . ومن عَتَبَ على الدهر طالت مَمْتَدَّتْه . ومن رَضِيَ بالقَسَمِ<sup>(٣)</sup> طابت معيشته . وآفة الرأى الهوى . والعادة أَمَلَكُ<sup>(٤)</sup> . والحاجة مع المحبة خير من البُغْض مع الغنى . والدنيا دُولٌ ، فما كان لك أتاكَ على ضعفك ؛ وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشماتة تُعَقِبُ . ومن يرَ يوماً يرَ به . قبل الرِّمَاءُ تَمَلُّهُ الكِنَانُ<sup>(٥)</sup> . الندامة مع السفاهة . دِعامَةُ العقلِ الحَلْمُ . خيرُ الأمور مَغْيِبَةُ الصبر . بقاء المودة عَدْلٌ<sup>(٦)</sup> التماهد . من يَزُرُّ رِجْبًا يزدد حِبًّا . التفرير مفتاح البؤس . من التواني والعجز نُتِجَتِ<sup>(٧)</sup> الهَلَكَةُ . لكل شيء ضَرَاوَةٌ . فَضْرٌ لسانك بالخير عِي الصمت أحسن من عي المنطق . الحزم حفظ ما كُفِّتَ وترك ما كُنِيَتَ . كثير النصيح يَهْجُمُ على كثير الظنَّة . من ألحف في المسألة ثَقُلَ . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . الرِّقُّ يُمْنٌ ، والخرقُ شُومٌ . خير السخاء ما وافق الحاجة . خير العفو ما كان بعد القدرة .

(مجمع الأمثال ٢ : ٨٧)

## ٨٥ — وصية أكرم بن صيفى لبيده ورهطه

وصى أكرم بن صيفى بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يَفُوتَنَّكُمْ وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي<sup>(٨)</sup> وصدري لكلاماً لا أحد له مواقع إلاَّ

- (١) التحفة : البر واللطف والطفرة ، وقد أنحفته تحفة .
- (٢) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . (٣) القسم : القدر
- (٤) وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » .
- (٥) الرماء مصدر رآى كالمراماة ، والكِنَانُ جمع كنانة : وهي جمية السهام ، وهو مثل معناه :
- تؤخذ للأمر أهبتة قبل وقوعه ، ومثله قولهم « قبل الرمي يراش السهم » أى يوضع له الريش .
- (٦) العدل : الاستقامة أى بقاء المودة فى استقامة التماهد والحرص على سلامة شروطه .
- (٧) ويروى نتجت الفاقة .
- (٨) الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الخزام .

أسماعكم ، ولا مقارًا إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصنعية ، وقلوب واعية ، تحمدوا مقبته .  
 الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول<sup>(١)</sup> والنفس مهملة ،  
 والروية مُقَيِّدَةٌ ، ومن جهة التواني وترك الروية يتكلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مُرْشِدًا ،  
 والمستبد برأيه موقوف على مداحض<sup>(٢)</sup> الزلال ، ومن سمعُ سُمِعَ به ، ومصارع الرجال  
 تحت بروق الطمع ، ولواعتبرت مواقع الحن ما وُجِدَتْ إلا في مقاتل الكرام ، وعلى  
 الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجدد<sup>(٣)</sup> أمِن العثار ، ولن يعدم الحسود أن يُتْعَب  
 قلبه ، ويشغل فكره ، ويورث<sup>(٤)</sup> غيظه ، ولا تجاوز مضرته نفسه .

يا بني نعيم : الصبر على جرع الحلم أعذب من جنى ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه  
 دون ماله أستهدف للذم ، وكلم اللسان أنكى من كلم السنان ، والكلمة مرهونة مالم  
 تنجم من الفم ، فإذا نجمت فهي أسد مُحْرَب<sup>(٥)</sup> ، أو نار تلهب ، ورأى الناصح اللبيب  
 دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأي في الحرب ، أجدى من الطعن والضرب .

( شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح العيون ١٥ وجمهرة الأمثال ٢ : ٢١٢ )

## ٨٦ - نصيحة أكتثم بن صيفي لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الخِلافَ على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من  
 الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين<sup>(٦)</sup> ورب عجلة  
 هَبُ رَيْثًا<sup>(٧)</sup> ، وَأَنْزِرُوا للحرب ، وَأَدْرِعُوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة  
 لمن أختلف » .

( الأغانى ١٥ : ٧٠ )

(١) محبوس . (٢) جمع مدحضة : وهى المزاة . (٣) الأرض المستوية . (٤) يوقد .

(٥) التحريب : التحريش والتحديد ، والمحرب والمتحرب الأسد . (٦) الرزين . (٧) بعلنا

## ٨٧ — أمثال أكرم بن صيفي (وَبَزْرُجْمَهْر) الفارسي<sup>(١)</sup>

« العقل بالتجارب . صاحب مناسب<sup>(٢)</sup> . الصديق مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ<sup>(٣)</sup> . الغريب من لم يكن له حبيب . رب بعيدٍ أقربُ من قريب . القريب من قرُب نفعه . لو تكاشفتم ما تدافتم . خير أهلك من كفالك ، خير سلاحك ما وراك . خير إخوانك من لم تخبره . رب غريبٍ ناصح الجيب<sup>(٤)</sup> ، وابنِ أبٍ متهَم بالغيب ، أخوك مَنْ صَدَقَكَ ، الأخ مرآة أخيه . إذا عزَّ أخوك فهن<sup>(٥)</sup> . مُكْرَه أخاك لا بطل<sup>(٦)</sup> . تَبَاعَدُوا في الديار وتقاربوا في الحجة . أيُّ الرِّجال المهذب<sup>(٧)</sup> ؟ مَنْ لك بأخيك كله . إنك إن فَرِحْتَ لآقٍ فَرِحَا .

(١) هكذا في العقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على أنه قد ورد بينها أمثال لغير أكرم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أو رده آنفا ، ولكنني آثرت إيراد المقال برمته كما جاء في العقد ، وبزرجمهر : مركب من بزرج معرب بزرك أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بزرجمهر بن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان سديد الفكر ، حصيف الرأي . (٢) المناسب والنسيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والنضم) وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشاكلة ، هذا يناسب ذلك أي يقاربه شيئا .

(٣) في الأصل « من صدق عينيه » وهو محرف ، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في مودته ، وحفظ الاخاء ، في الغيبة لافي المخضر فحسب . (٤) جيب القميص طوقه ، وهو ناصح الجيب أي القلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

(٥) في الميداني : هذا المثل لحذيل بن هبيرة التغلبي ، وكان أغار على بني ضبة فغتم فأقبل بالغانم . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتراسم أن يدرككم الطلب فأبوا ، فعندها قال : « إذا عز أخوك فهن » ثم نزل فقسم بينهم الغنائم ، ومعناها ، مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحماية به ، إنما هو حسن خلق وتفضل ، فإذا عاسرك فياسره .

(٦) قاله أبو حنشل : وذلك أن رجلا من بني فزارة يقال له بهس أخبر أن ناسا من أشجع في غار يشربون فيه — وكانوا قد قتلوا إخوته الستة — فانطلق بخال له يسمى أبا حنشل ؛ فقال له هل لك في غار فيه طباء لعلنا نصيب منها — ويروى : هل لك في غنيمة باردة — ثم انطلق به حتى أقامه على فم الغار ، ودفعه فيه فقال : ضربا أبا حنشل ، فقال بعضهم : إن أبا حنشل لبطل ، فقال أبو حنشل : مكره أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلا . (٧) في الميداني : أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال :

ولست بمستبِق أخا لا تلمه على شعث ، أي الرجال المهذب ؟



أَحْسِنِ يُحْسِنِ إِلَيْكَ . أَرْحَمَ تُرْحَمَ . كَمَا تَدِينُ تُدَانَ (١) . مِنْ بَرٍّ يَوْمًا يُرُّ بِهِ ، وَالدهر  
لَا يُعْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ (٢) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عَيْبَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْخَذِيرُ .  
لَا يَمْدُو الْمَرْءَ رِزْقَهُ وَإِنْ حَرَّصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدْرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ  
الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ (٣) . الْحَمْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّوْنِ (٤) . الْقِنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْقَدُ .  
خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَأَقٌ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خِذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ . مَا لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ . الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ .  
قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ ، رَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَثْنَيْنِ . لَنْ تَعْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَامًا (٥) . لَمْ يَعْذَمِ  
الْغَاوِيُ لَأَثْمًا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ (٦) . لَا تَسْحَرْ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ . أُخْرُ  
الشَّرِّ فَإِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوْشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يَبْصُرُ الْقَلْبُ مَا يَعْصَى عَنْهُ الْبَصَرُ .  
الْحُرُّ حَرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ . الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ (٧) مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ

(١) الدين بالكسر : الجزاء دانه يدينه ديناً بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجازى تجازى : أى كما  
تعمل تجازى ، إن حسناً فحسن ، وإن سيئاً فسيئاً ، وقوله تدين : أراد تعمل فسمى الابتداء جزاء  
للمطابقة والموافقة ، وعلى هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » .  
ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أى كما تجازى أنت الناس غل صنيعهم كذلك تجازى على صنيعك .  
(٢) فى الأصل « عين رفت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت فذرفت » .  
(٣) الحين : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أى بسمع ومر أى من نزل به لا يختفيا عنه .  
(٤) زفى زفى زنى وزناء .

(٥) الذام : والذيم الغيب ، قال الميذاني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حبشى  
بنت مالك بن عمرو العدوانية ( وحبشى : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة ) وكانت من أجمل النساء ،  
فسمع بجمالها ملك غسان فخطبها إلى أبيها ، وحكمه فى مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت  
أمها لتبايعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردتِ ، إدخالها على زوجها ، فطيبنها بما فى أصدافها  
فلما كان الوقت أعجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ،  
البارحة ؟ فقال ما رأيت كالكيلة قط لولا رويحة أنسكرتها ، فقالت هى من خلف الستر « لا تعدم الحسنة  
ذاماً » فأرسلتها مثلاً .

(٦) الجنازة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت ؛ وبالفتح السرير ، أو عكسه ؛ أو  
بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله فى الأصل مشوهة مختلطة هكذا :  
لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الغاوى لا يمالأ بك فى أهلك كالجنازة . (٧) الجد : الحظ .

أمره . من سرّه بنوه ساءته نفسه . من تعظّم على الزمان أهانه . من تعرض للسلطان آذاه ، ومن تطامن له تخطّاه . من خطا يخطو<sup>(١)</sup> . كل مبذول تملول . كل ممنوع مرغوب فيه . كل عزيز تحت القدرة ذليل . لكل مقام مقال . لكل زمان رجال . لكل أجل كتاب . لكل عمل ثواب . لكل نيا مستقر . لكل سرّ مستودع . قيمة كل إنسان ما يُحسِن . اطلب لكل غلّ<sup>(٢)</sup> مفتاحاً . أكثر في الباطل يكن حقاً . عند القنط<sup>(٣)</sup> يأتي الفرج . عند الصباح يُحمد السرى<sup>(٤)</sup> . الصدق مَعجّاة ، والكذب مَهوأة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ من صول . رب ساعة ليس بها طاعة . رب عَجَلَة تُعقب ريثاً<sup>(٥)</sup> . بعض الكلام أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ

(١) يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أى أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كتوهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض » . (٢) الغلق : القفل كالمغلاق . (٣) القنط والقنوط : اليأس .

(٤) السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو بالبيامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي : قد ساكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الخاء : بعد وردها حتى يكون ورد النعم اليوم الرابع سوى اليوم الذى شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارف (الشارف الناقة المستنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل ، وخشى أن يذهب مائى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما فى بطونها من الماء ، فسقى الناس والخيل ومضى ، فلما كان فى الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون سدرًا عظيماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رجوا منه « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

(٥) الريث : الإبطاء ويروى تهب ريثاً ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف ابن أبي عمرو بن عوف بن محم شام غيما ، فأراد أن يرحل بامرأته وهى أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظنن يا أخى ؟ قال : اطلب موقع هذه السحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى فعرض له مروان القرظ بن زباج العبسى ، فأعجله عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وإخوته ولم يكشف =

من أَلْهِم . ربيع القلب ما اشتهى . الهوى شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرور كطيب النفس . العمر أقصر من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول ما أتبع . البطنة<sup>(١)</sup> تذهب الفطنة . شر العمى عمى القلب . أوثق الثمرى كلمة التقوى<sup>(٢)</sup> . النساء حبايل الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . الشقى بن شقّ في بطن أمه . السعيد من وعظ بغيره . لكل امرئ في بدنه شغل . من يعرف البلاء يصبر عليه . المقادير تريك ما لا يحظر ببالك . أفضل الزاد ما تزود للمعاد . الفحل أحمى للشول<sup>(٣)</sup> . صاحب الحظوة غداً ، من بلغ المدى . عواقب الصبر محمودة . لا تبلغ الغايات بالأمانى . الصريمة<sup>(٤)</sup> على قدر العزيمة . الضيف يثنى أو يذم من تفكر اعتبر . كم شاهد لك لا ينطق . ليس منك من غشك . ما نظر لأمرئ مثل نفسه . ماسد فقرك إلا ملك يمينك . ما على عاقل ضيعة . الغنى في الغربة وطن . المقل في أهله غريب ، أول المعرفة الاختبار : يدك منك وإن كانت شلاءً . أنفك منك وإن كان أجدع<sup>(٥)</sup> .

= لها سترًا فقال مالك بن عوف لسانان : ما فعلت أختي ؟ قال : نفتني عنها الرماح ؛ فقال مالك : « رب عجلة تهب ريثا . ورب فروقة يدعى ليثا ، ورب غيث لم يكن غيثا » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ، ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . (٢) انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

(٣) الشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ،

وأحمى : أفل من الجماية . (٤) الصريمة : قطع الأمر (والعزيمة) .

(٥) ويروى « منك أنفك وإن كان أجدع » وفي الميداني : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة المازني

للربيع بن كعب المازني . وذلك أن الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل (أى زاد) كرماً وجودة إلى أخيه كيش ليأتى به أهله ؛ وكان كيش أنوك مشهوراً بالحمق ، وكان رجل من بني مالك يقال له قراد ابن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها ، وكان داهية فسكت فيهم مقيماً لا يمر فون نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك في عانة لم أر مثلها سمناً ولا عظماً (العانة : القطيع من حمر الوحش) وعير معها من ذهب ؟ فأما الآن (بضمين جمع أتان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قلوبهم ، وتفرح صدورهم ، وأما العير فلا افتقار بعده =

من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه<sup>(١)</sup> . الصحة داعية السقم . الشباب داعية الهرم .  
 كثرة الصيَّاح من الفشل . إذا قَدُمَت المصيبة تُرِكَت التعزية . إذا قَدُمَ الإخاء  
 سَمَّجَ الثناء . العادة أملك من الأدب . الرفق يُمن وألحوقُ شؤم . المرأة رِيحانة  
 وليست بقَهْرمانة<sup>(٢)</sup> . الدال على الخير كفاعله . المحاجة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ  
 الكناش . لكل ساقطة لا قطة . مَقْتَل الرجل بين فكَّيه . تَرَكَ الحركة غفلة . الصمت  
 حُبسة . مَنْ خَيْرَ خَبَرٍ . إِنْ تَسَمَّعَ تَمَطَّرَ<sup>(٣)</sup> . كفى بالمرء خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلخَوَانَةِ .  
 قَيَّدُوا النِّعَمَ بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تفقر بمودة الأمير إذا غشك  
 الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب .  
 لقاء الأحبة مسلاة لهم . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كثر الساخط  
 عليه . قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عارفاً . أدوأ الداء الخلق الدني ، واللسان البذي .  
 إذا جملك السلطان أحًا فاجعله ربًا . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف  
 السبِّق . عند الرهان يُحمد المضمار . السؤال وإن قلَّ ، أكثر من النوال وإن جَلَّ . كافي  
 المعروف بمثله أو انشُرِه . لا خلة<sup>(٤)</sup> مع عيلة . لا سرودة مع ضرر ، ولا صبر مع شكوى .

= قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ؛ وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ،  
 ولا يراه غيرى ، قال كيش : فدونكه ؛ قال نعم وأمسك أنت راحلق ، فركب قراد الفرس وقال :  
 انتظرني في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ؛ قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى  
 من غده وجاع ، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألتني أخى عن الفرس قلت تحول  
 ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ؛ قال  
 فما فعل المروج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ؛ فقال له قنفذ بن جعونة :  
 ليه عما فاتك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ؛ فذهبت مثلا .

- (١) في مجمع الأمثال ( ٢ : ١٧٥ ) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ؛ ومن عرف بالكذب لم  
 يجز صدقه » . (٢) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ؛ والقائم بأمر الرجل  
 بلغة الفرس . (٣) أى إن تفتح أذنيك للأقاويل تمطر وابلا منها .  
 (٤) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . والعيلة الفقير .

ليس من العدل ، سرعة العَدْلِ<sup>(١)</sup> . عبدٌ غيرك حرٌّ مثلك . لا يَقدِّمُ الخِيَارَ ، من استشار .  
الوضيع من وضع نفسه . المَهِين من نَزَلَ وحَدَّه من أكثر أهُجر<sup>(٢)</sup> . كفى بالمرء كذباً  
أن يحدث بكل ما سمع .  
(العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

\* \* \*

ومن أمثال أكرم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تَشْتَرِكُ العشيبة<sup>(٣)</sup> . إذا قُرِعَ الفؤاد ذهب الرقاد . هل يَهْلِكُنِي  
فقدُ ما لا يعود ؟ أعوذ بالله أن يرميني امرؤ بدائه . رَبُّ كَلام ، ليس فيه اكتتام .  
حافظ على الصديق ، ولو في الحريق . ليس يبسير ، تقويم العسير . إذا أردت النصيحة ،  
فتأهب للظنَّة . متى تعالج مال غيرك تَسَامُ . غَمُّكَ خير من سمين غيرك . لا تَنْطَحُ جِماء<sup>(٤)</sup>  
ذات قرن . قد يُبَلِّغُ الخضم بالخضم<sup>(٥)</sup> . قد صدع الفراق ، بين الرفاق . استبانوا<sup>(٦)</sup>  
أخاكم ، فإن مع اليوم غداً . الحُرُّ عزوف<sup>(٧)</sup> . لا تطمع في كل ما سمع .

(جمهرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

## ٨٨ — نصيحة الجمانه بنت قيس بن زهير لجرها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعاً حسنةً ، تسمى ذات الفضول ،  
وورد بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عبس ، فأخذها منه

(١) اللوم . (٢) الإهجار : الإفحاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

(٣) مثل يضرب في الحث على المواساة .

(٤) الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . (٥) الخضم ؛ الأكل بأطراف الأسنان ، والخضم

الأكل بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . (٦) انتظروا .

(٧) من عزفت نفسه عنه : إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .

غَضِبَا ، فقالت الجُحَّانَةُ بنت قيس لأبيها : دعني أناظِرْ جَدِّي ، فَإِنْ صَلَحَ الْأَمْرُ بَيْنَكُمَا ،  
وإِلَّا كُنْتُ مِنْ وِرَاءِ رَأْيِكَ ، فَأَذِنْ لَهَا ، فَأَتَتْ الرَّبِيعَ فقالت :

« إِذَا كَانَ قَيْسٌ أَبِي ، فَإِنَّكَ يَا رَبِيعُ جَدِّي ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّ الْأَبُوَّةِ عَلَيَّ ،  
إِلَّا كَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ الْبُنُوَّةِ لِي ، وَالرَّأْيُ الصَّحِيحُ تَبَعْتَهُ الْعِنَايَةُ ، وَتَجَلَّى عَنِ  
مَحْضِهِ النَّصِيحَةُ ، إِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ قَيْسًا بِأَخْذِ دِرْعِهِ ، وَأَجَدُّ مَكَافَاتِهِ إِيَّاكَ سُوءَ عَزْمِهِ ،  
وَالْمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَادِي أَظْلَمُ ، وَلَيْسَ قَيْسٌ مِمَّنْ يُخَوِّفُ بِالْوَعِيدِ ، وَلَا يَرُدُّعُهُ  
التَّهْدِيدُ ، فَلَا تَرَكْنِي إِلَى مَنَابِدَتِهِ ، فَالْحَزْمُ فِي مُتَارَكْتِهِ ، وَالْحَرْبُ مُتَلَفَّةٌ لِلْعِبَادِ ، ذَهَابَةٌ  
بِالطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، وَالسَّلْمُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : لَقَدْ  
صَدَعْتُ بِحُكْمِي ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ ذِي فَهْمٍ » ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تقول :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ      وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي  
فَرَأَى أَبِي رَأْيُ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ      وَشِيمَةُ جَدِّي شِيمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِيِّ

( بلاغات النساء ص ١٢٥ )

## ٨٩ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو مَلَكَ كِنْدَةَ جَمَالٌ أُمَّ إِيَّاسَ بِنْتَ عَوْفِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِي ،  
وَكَأَلَهَا وَقُوَّةَ عَقْلِهَا ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ ، يَقَالُ لَهَا عِصَامُ ، ذَاتَ عَقْلِ  
وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : إِذْهَبِي حَتَّى تَعْلَمِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ ، فَضُضْتُ حَتَّى  
انْتَهَيْتُ إِلَى أُمَّهَا أُمَامَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمَتَهَا مَا قَدِمْتُ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةَ إِلَى ابْنَتِهَا  
وَقَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، هَذِهِ خَالَتُكَ أَتَتْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا  
شَيْئًا أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِ وَخَلْقٍ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقْتِكِ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ  
عِصَامَ عَلَيْهَا ، فَظَنَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَيْنَهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَةٍ وَحَسَنًا وَجَمَالًا ، فِإِذَا هِيَ أَكُلُ النَّاسِ  
عَقْلًا ، وَأَفْصَحُهُمْ لِسَانًا ، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تقول : ( تَرَكَ الْخِلْدَاعَ مَنْ كَشَفَ

القِنَاعَ ( فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : ( ما وراءك يا عِصَامُ ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : ( صَرَاحَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ <sup>(١)</sup> ) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جبهة كالمراة الصقيلة ، يزينها شعر حالك ، كأذنا الخيل المصفورة <sup>(٢)</sup> ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاها أوائل <sup>(٣)</sup> ، وحاجبين كأنهما خطا بقلم ، أو سودا محمم <sup>(٤)</sup> قد تقوسا على عيني الظبية العبيرة <sup>(٥)</sup> التي لم يرعها قانص ، ولم يذعرها قسورة <sup>(٦)</sup> ، بينهما أنف كحد السيف المصقول <sup>(٧)</sup> ، لم يخنس به <sup>(٨)</sup> قصر ، ولم يمتص <sup>(٩)</sup> به طول ، حقت به وجنتان كالأرجوان <sup>(١٠)</sup> ، في بياض مخض كالجمان <sup>(١١)</sup> ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيد المبتسم ، فيه ثنايا غر ، ذوات أشر <sup>(١٢)</sup> ، وأسنان تبدو كالذرر ، وريق كالتمر له نشر الروض بالسحر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يجر كه عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقي دونه شفتان حراوان كالورد ، يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذلك عنق كإبريق الفضة ، ركب في صدر كصدر تمثال دمية <sup>(١٣)</sup> ، يتصل بها عضدان ممتلئان لحماً ، مكتنزان <sup>(١٤)</sup> شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ، ولا عرق يحس ، ركبت فيهما كفتان ، دقيق

- (١) مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين . (٢) في الأصل « المتصورة » وهو تحريف وصوابه « المصفورة » .  
 (٣) المطر الشديد الضخم القطر . (٤) الحمم : الفحم .  
 (٥) العبيرة والعبير : الرقيقة البثرة الناصعة البياض ، والسمينة الممتلئة الجسم .  
 (٦) القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .  
 (٧) في مجمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المجرب . (٨) خنس عنه كضرب وكرم تأخر « والخنس : محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرتبة ، خنس كفرح فهو أخنس وهي خنساء » . (٩) وفي جمهرة الأمثال « ولم يمتص » . (١٠) الأرجوان : صبغ أحمر .  
 (١١) الجمان : اللؤلؤ ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة . (١٢) أشر الأسنان : التحزيز الذي فيها . (١٣) الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو عام . (١٤) اكتنز : اجتمع وامتلاء .

قَصَبُهُمَا ، لَيْنٌ عَصَبُهُمَا ، يُعْقَدُ إِنْ شئتَ مِنْهُمَا الْأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الْفُصُوصُ فِي حُنْمِ  
 الْمَفَاصِلِ ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُقَّانٌ ، كَانَهُمَا رُمَاتَانِ ، يَخْرِقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، تَحْتَ  
 ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ الْقُبَابِيِّ <sup>(١)</sup> الْمُدْمَجَّةِ ، كَسِيَّ عَكْنًا <sup>(٢)</sup> كَالْقَرَاطِيسِ الْمُدْرَجَةِ <sup>(٣)</sup> ،  
 تَحِيطُ تِلْكَ الْعَكْنَ بِسُرَّةٍ كَمُدْهِنٍ <sup>(٤)</sup> الْعَاجِ الْمَجْلُوِّ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالْجَدْوَلِ ،  
 يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَأَنْبَتَرَ ، تَحْتَهُ كَفَلٌ <sup>(٥)</sup> يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ،  
 وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصٌ <sup>(٦)</sup> رَمَلٍ ، لَبَدَهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمَلُهُ فِخْدَانٌ لَفَّاءُونَ <sup>(٧)</sup> ،  
 كَانَهُمَا نَضِيدِ الْجُمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَدَلَتَانِ <sup>(٨)</sup> كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتًا بِشَعْرٍ أَسْوَدَ ،  
 كَأَنَّهُ حَلِقُ الزَّرْدِ ، يَحْمَلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ مَعَ صَفْرِهَا  
 كَيْفَ تَطْيِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سَوَى ذَلِكَ فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ  
 مَا وَصَفُهُ وَأَصْفَ بِنِظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلُ الْمَلِكَ إِلَى أَبِيهَا فَخَطَبَهَا ، فَزَوَّجَهُ بِهَا <sup>(٩)</sup> .

(العقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، ومجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧ )

- (١) القبابي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقبابي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قبطية (بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .  
 (٢) العكن : جمع عكنة (كفرصة) وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٣) المطوية .  
 (٤) المدهن : قارورة الدهن . (٥) عجز .  
 (٦) الدعص : الكتيب من الرمل المجتمع . (٧) اللفاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .  
 (٨) ساق خدلة : ممتك ضخمة (والخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خد لجتان » )  
 (بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والخدلجة : المرأة الممتكة الذراعين والساقين .

(٩) في مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث ابن عمرو جد امرئ القيس غير أننا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث فقال لها ما وراءك يا عصام ؟ . . . الخ » .



## ٩٠ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فله أحمّلت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث :

« أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أى بنية : إنك فارقت الجوّ الذى منه خرجت ، وخلقت العُشّ الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه <sup>(١)</sup> عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً <sup>(٢)</sup> . يا بنية : احملى عنى عشر خصال تسكن لك ذُخراً ، وذكراً ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والنفق لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيّب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيّب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتنعيس النوم مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفضى له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سرّه ، لم تأمنى غدّره ، وإن عصيت أمره ، أوغرت صدره ، ثم انتقي من

(١) أملكه إياها : زوجه فلعلها ملكها ، مثلث الميم .

(٢) الوشيك ، السريع : أى يكن عبداً سريع الإجابة .

ذلك الفَرَحَ إن كان تَرِحًا ، والا كَتَابَ عِنْدِهِ إن كان فَرِحًا ، فإن اَلْخِصْلَةَ اَلأُولَى من  
التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعطائًا ، يكن أشدَّ  
ما يكون لك إكرامًا ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن أطولَ ما تكونين له  
مُرَانَةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تُؤثِّرِى رضاه على رضاك ، وهواه  
على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله ينجير لك .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والمقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

# الخطبة والوصايا

في

## عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله واثني عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّائِدَ <sup>(١)</sup> لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ ،  
وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَزْتُكُمْ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ  
خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَمَامُونَ ، وَلَتُبْعَمُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ،  
وَلَتُحَاسِنَنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ،  
أَوْ لِنَارٍ أَبَدًا » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧)

(١) المرسل في طلب الكلاء .

## ٢ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تَعَلَّمَنَّ وَاللَّهِ لِيُصَمِّقَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم ليدع عن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدّامه فلا يرى غير جهنّم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بشقّ من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ <sup>(١)</sup> ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . »

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

## ٣ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمدُهُ وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفرُهُ وأعادي من يكفرُهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترّة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، وذنوب من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشّد <sup>(٢)</sup> ، ومن يعصهما فقد غوي وفرط ، وضلّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحةً ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن

(١) ضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثله ، أو الضعف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه

(٢) كنصر وفرح .

وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

تقوى الله لمن عمل به على وَجَلٍ ومخافة من ربه، عَوْنُ صِدْقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السرِّ والعلانية لا ينوى بذلك إلا وَجْهَ الله، يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وَذُخْرًا فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ، والذى صدق قَوْلُهُ ، وَأَنْجِزْ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ لَذَلِكَ ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ » فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية ، فإنه من يَتَّقِ الله يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله يوتى مقته ، ويوتى عقوبته ، ويوتى سُخْطَهُ ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ، ويرضى الربِّ ، ويرفع الدرجة ، خذوا بِحِطَّتِكُمْ وَلَا تَقْرُطُوا فى جَنَبِ الله ، قد علمكم الله كتابه ، وَهَبَّحَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْبَرُوا ذَكَرَ اللهُ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فإنه من يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وبين الله يَكْفِهِ اللهُ ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ، ولا يقضون عليه ، يملك من الناس ولا يملكون منه ، انه أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم .

(تاريخ الطبرى ٢ : ٢٥٥)

## ٤ — خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال :

« أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه ، من العمل بطاعته ، والتناهى عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه ، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين ، والجد والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كربه ، قليل من يصبر عليه إلا

من عزم له على رشده ، إن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإنى حريص على رشدكم .. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحببه الله ، ولا يعطى عليه النصر .

أيها الناس إنه قُذِفَ في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفرَ له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره على الله في عاجل دنياه ، أو في آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنى حميد .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نَفَثَ الرُّوحَ الأمينَ في رُوعِي أنه إن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجلوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يُقدَرُ على ما عنده إلا بطاعته ، قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شُبُهًا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عَصِمَ ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦٥)

## ٥ - خطبته بالخيف

وخطب بالتخيف من منى فقال :

« نَضَّرَ<sup>(١)</sup> الله عبداً سمع مقاتلي فوعاها ، ثم أذاها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل  
فقهه لافقه له ، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل<sup>(٢)</sup> عليهن قلبُ المؤمنِ :  
إخلاصُ العملِ لله ، والنصيحةُ لِأولى الأمر ، ولزومُ الجماعة ، إنَّ دعوتهم تكون من  
ورائه ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي  
راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرَّق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتته من الدنيا  
إلا ما كُتِبَ له » . (إعجاز القرآن ص ١١٢)

## ٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إنَّ الدنيا خَصِيرةٌ حُلُوَّةٌ ، ألا وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظرُ كيف تعملون  
فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يمتنعنَّ رجلاً مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه .  
ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السَّعَف فقال : إنه لم يبق  
من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » . (إعجاز القرآن ص ١١٣)

(١) من النضرة والنضارة : وهي الحسن .

(٢) غل صدره يغل كضرب غلا : وهو الحقد والضغن .

## ٧ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أصدق الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، وأحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكروه ، ولا تقسو عليه قلوبكم ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، اتقوا الله حق تقاته <sup>(١)</sup> ، وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله . » (إعجاز القرآن ص ١١٠)

## ٨ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس إن لكم معالم <sup>(٢)</sup> فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله فاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المات ، فوالذي نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مستمتع <sup>(٣)</sup> ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إعجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٣ ،

وغرر الخصائص الواضحة ١٥٠) .

(١) التقاة : التقوى .

(٢) جمع معالم كذهب ؛ وهو الأثر يستدل به على الطريق ؛ والمراد حدود الشريعة المطهرة .

(٣) استعته : أعطاه العتبي ( وهى الرضا والصفح ) وطلب إليه العتبي .



## ٩ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوهُمْ أَجْدَانَهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تُرَاهِمِمْ ، كَأَنَّآ مُخْلَدُونَ بِعَدَمِمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ (١) ، طُوبَى (٢) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا ا كَتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذَّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَّ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسَّعَتُهُ السَّنَةَ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » .

(صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

## ١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْفَلُوا ، وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزُقُوا وَتُؤَجَّرُوا وَتُنْصَرُوا . وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ ، فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَيَاتِي وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِي ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا حَجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقَهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

(١) الجوح : الإهلاك والاستئصال كلاجتياح . (٢) وثبت أطيب ؛ والحسنى ، والحير ، وشجرة

في الجنة أو الجنة .

## ١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، أَلَا كَلُّهُ مَأْتِرَةٌ <sup>(١)</sup> أَوْ دَمٌ أَوْ مَالٌ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ <sup>(٢)</sup> ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الْدِيَةُ مُغْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً <sup>(٣)</sup> فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا <sup>(٤)</sup> بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) الْآيَةَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ( أَوْ يَا هَلْ مَكَّةَ ) مَا تَرُونَ أَنَّى فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٍ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ . »

( تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ ) .

## ١٢ - خطبته في الاستسقاء

روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في عام جَدْبٍ ، فَقَالَ : أَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا صَبِيٌّ بَرْتَضِعُ ، وَلَا شَارِفٌ <sup>(٥)</sup> تَجْتَرُّ ثُمَّ أَنْشَدَهُ :  
أَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ بِذِمِّي لِبَأْسِهَا <sup>(٦)</sup> وَقَدْ شُعِفَتِ أُمُّ الرُّضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ  
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لِاسْتِكَانَةِ مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُمِزُّ وَلَا يُجْلِي <sup>(٧)</sup>

(١) المأثرة : المسكرمة . (٢) خدمة الكعبة . (٣) الخلافة : الحمل من النياق .

(٤) تعظم : تكبر . (٥) الشارف من النوق : المسنة الهرمة كالشارفة . (٦) أى يدمى

صدرها لامتهاها نفسها فالخدمة حيث لا يجد ما تمطيه من يخدمها من الجذب وشدة الزمان . (٧) أى ما يضر وما ينفع ، أو ما يبق بكلمة ولا فعله مرة ولا حلوة .

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل<sup>(١)</sup>  
وليس لنا إلا إليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرثسل؟  
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجره رداه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:  
« اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً هنيئاً مريئاً<sup>(٢)</sup>، سحاً سجالاً<sup>(٣)</sup>، غدقاً<sup>(٤)</sup>  
طباقاً<sup>(٥)</sup>، ديماً درراً<sup>(٦)</sup>، تحيي به الأرض، وتنبئ به الزرع، وتدبر به الضرع،  
واجمله سقياً نافعاً، عاجلاً غير راث<sup>(٧)</sup>.  
فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يده إلى نحره، حتى ألت السماء  
أرواقها<sup>(٨)</sup>، وجاء الناس يضحون: الفرق الفرق يا رسول الله، فقال: اللهم حوالينا  
ولا علينا! وأنجاب<sup>(٩)</sup> السحاب عن المدينة، حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه<sup>(١٠)</sup>. (شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٢١٦)

### ١٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله محمده واستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونموذ بالله من شرور أنفسنا،  
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم

(١) العامي: الذي أتى عليه عام، قال الشاعر: « من أن شجاك طلل عامي والعلهز: طعام  
من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة، والفسل: الرىء الرذل من كل شيء.  
(٢) المربع الحصب، أي تخصب به الأرض التي ينزل عليها. (٣) أي متداولاً بين البلاد، يقال  
كل منها نصيبه منه، والسجل بالفتح: النصيب والدلو المماومة العظيمة، ويقال الحرب سجال: أي نصرتها  
بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء. (٤) الغدق: الماء الكثير.  
(٥) أي مائناً للأرض مغطياً لها، يقال غيث طبق: أي عام واسع يطبق الأرض.  
(٦) هو جمع درة بالكسر، يقال للسحاب درة: أي صب وانفدق، وقيل الدرر: الدار، كقوله تعالى:  
« دَبَبًا قَبِيحًا أَي قَانِمًا.

(٧) أي غير بطيء. (٨) ألت السحابة أرواقها: أي مطرها ووبلها.

(٩) انكشف. (١٠) النواحد: أقصى الأضراس.

عباد الله بتقوى الله ، وأحشكم على طاعته ، وأستفتح<sup>(١)</sup> بالذى هو خير ، أما بعد : أيها الناس اسمعوا منى أبيض لسكم ، فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب<sup>(٢)</sup> ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود<sup>(٣)</sup> ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وقية مائة بعير ، فمن زاد ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه<sup>(٤)</sup> قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النسي<sup>(٥)</sup> زيادة

(١) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٢) وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته بنو هذيل .

(٣) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . (٤) فى رواية الكامل لابن الأثير : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ؛ وقد رضى بما تحقرون من أعمالكم » . (٥) أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهرا آخر فيحلون الحرم ، ويحرمون صفرا ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا زبيعا الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني ، كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى : إن آلتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ، ثم ينادى فى القبائل : إن آلتكم قد حرمت عليكم الحرم . فحرموه — زيادة فى الكفر ، أى كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم . نيواطنوا : أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا فى عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا ، ولذا نص على العدد المبين فى الكتاب والسنة ؛ وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان فى السنة التاسعة التى حج فيها أبو بكر بالناس فى ذى القعدة ، وفى حجة الوداع فى ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » - راجع تفسير الألوسى ج ٣ ص ٣٠٥

في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يَجْلُوهُ عَامًا وَيَجْرُمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،  
وإن الزمان قد أستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند  
الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ ،  
ثلاثة متواليات ، ووَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَمُ ، وَرَجَبٌ <sup>(١)</sup> الذي بين  
جُمَادَى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقًا ، ولكم عليهنَّ حق ، لكم عليهنَّ ألا يُؤَطِّن  
فَرَشِكُمْ غيركم ، وَلَا يَدْخُلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ  
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ <sup>(٢)</sup> وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ  
مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَبْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ  
عَوَانٍ <sup>(٣)</sup> لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَمْتُمْ فِرْوَجَهُنَّ بِكَلِمَةِ  
اللَّهِ ، فَانْقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ  
مِنْهُ ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كِفَارًا يُضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ  
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، ألا هل بلغت ؟  
اللهم اشهد !

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كُلُّكُمْ لِعَادِمٍ ، وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ،  
أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، ألا هل بلغت ؟  
اللهم اشهد ! قالوا نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

(١) قالوا في ثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب .

(٢) الفضل : الحبس والتضييق . (٣) جمع عانية من عنا ، أي خضع وذلل ، والمانى : الأسير

أيها الناس : إن الله قد قَسَمَ لِكُلِّ وَاْرِثٍ نَصِيْبَهُ مِنَ الْمِيْرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ لِوَاْرِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَالِدُ لِلْفِرَاثِلِ وَاللِّعَاْهِرِ الْحَجَرُ<sup>(١)</sup> ، مِنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ<sup>(٢)</sup> ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، المقادير ٢ : ١٣ ، إيجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ العبرى ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

## ١٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ : خذ بيدي يا فَضْلُ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، ثُمَّ قَالَ نَادَى فِي النَّاسِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

« أما بعد : أيها الناس فإنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَإِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي خَفُوقٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا ، فَهَذَا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ قَدِ<sup>(٤)</sup> مِنْهُ وَمَنْ كُنْتُ شَعَمْتُ لَهُ عِرْضًا ، فَهَذَا عِرْضِي فَلَيْسَتْ قَدِ مِنْهُ ، وَمَنْ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ ، وَلَا يَخْشَ الشُّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي ، أَلَا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّانِي فَلَقِيْتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وَقَدْ أَرَى أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مَرَارًا » .

(١) وللعاهر : أى الزانى ، أى لاحق له فى النسب ولا حظ له فى الولد ، وإنما هو لصاحب القرائن أى لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقبوله الآخر : أى التراب ، أى لاشئ له .  
(٢) الصرف : التوبة . والمدل : القدية ، وقيل الصرف القيمة . والمدل المثل ، وأصله فى القدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفًا ولا عدلًا ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلًا واحدًا ، أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شئ حتى صار مثلًا فيمن لم يؤخذ منه الذى يجب عليه وانزمت أكثر منه .  
(٣) خفق النجم يخفق خفوقًا : غاب ، والطار طار ، والليل ذهب أكثره . (٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أقاد القاتل بالقتيل تخفه به ، واستقاد الحاكم سألته ان يقيد القاتل بالقتيل .

ثم نزل فصلي الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فماد لمقاتله الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقل فُضوحُ الدنيا ، ألا وإن فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أحد وأستغفر لهم ، ثم قال : « إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فسكى أبو بكر ، وقال : فدينك بأنفسنا وآبائنا . »

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

## ١٥ - خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم ابن صيفي ابنه حبيشًا ، فأتاه بخبره ، فجمع بني تميم وقام فيهم خطيبًا فقال :  
« يا بني تميم : لا تُحْضِرُونِي سَفِيهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَخْجَلُ<sup>(١)</sup> ، إِنْ السَّفِيهَ يُوْهِنُ مَنْ قَوْفَهُ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ دُونَهُ<sup>(٢)</sup> . لا خير فيمن لا عقل له . كَبُرَتْ سِنِّي ودخلتني ذلّة ، فإذا رأيتم مني حسنًا فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أَسْتَقِيم . إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً ، وأتاني بخبره ، وكتابه يأمر فيه بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وَخَلَعَ الأوثان ، وترك الخَلِيفَ بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأي منكم أَنَّ الْفَضْلَ فيما يدعو إليه ، وأن الرأي تركُ

(١) خال : ظن ، ومضارعه إخال بالكسر وهو الأنصح ، وبنو أسد يقولون أخال بالفتح وهو القياس ، وقوله « من يسمع يخل » مثل ، معناه من يسمع أخبار الناس ومعابهم يقع في نفسه عليهم المنكره .  
(٢) في مجمع الأمثال « ويثبت من دونه » من أثبتة : أي أثنته بالجراح ، والمعنى يضمف ويوهن ، ومنه قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » لِيُثْبِتُوكَ : أي ليجرحوك جراحة لاتقوم معها أو ليجبسوك ، وفي شرح العيون « ويتبب من دونه » من تبب بالتشديد : أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ » .

مَا يَسْئَلُ عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهَوَ لَكُمْ <sup>(١)</sup> دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بَاطِلًا كُنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْرَاعِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقَفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَاسْمَى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَى ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنَزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ، وَأَكْثَرُكُمْ عَدَدًا ، وَأَوْسَمُهُمْ دَارًا ، فَإِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَجْتَنِبُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَّ ، وَلَا يَلْزَمُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزَّ ، إِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَهَذَا أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ سَبَقَ إِلَيْهِ غَمْرُ الْمَعَالِي <sup>(٢)</sup> ، وَاقْتَدَى بِهِ التَّالِي وَالْعَزِيمَةُ حَزْمٌ ، وَالِاخْتِلَافُ عَجْزٌ .

فَقَالَ مَالِكٌ <sup>(٣)</sup> : بِنُورَةِ : قَدْ خَرَفَ شَيْخُكُمْ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَلَاءِ ، فَقَالَ أَكْثَرُكُمْ : وَيْلَ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ ، وَالْهَيْفَى عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَسْعُنِي <sup>(٤)</sup> .  
ثُمَّ رَحَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَى فِي الطَّرِيقِ ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ كَانَ مَعَهُ <sup>(٥)</sup> .  
(مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، شرح العيون ص ١٤ ) .

(١) يريد للعرب .

(٢) من غمره المساء : أى غطاه . (٣) وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صل الله عليه وسلم

في بعض بني تميم ، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله ، وقصته في التاريخ مشهورة .

(٤) وفي شرح العيون : ولم يسبقني . (٥) وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى :

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزل في أكثر من تبعه من أصحابه .



## ١٦ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب <sup>(١)</sup> الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :

« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدمُ الشجاع ، الواسع الباع ، واعدلوا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلکم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب <sup>(٢)</sup> ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مَرَضَةٌ للرب ، وَقَوَامًا للعماش ، وَثِبَاتًا لِلوَطْأَةِ ، صَلُوا أرحامكم فإن في صلة الرِّحِمِ مَنَسَأَةٌ <sup>(٣)</sup> في الأجل ، وزيادة في العدد ، اتركوا البغى والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجبوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ، وَمَسْكُومَةٌ في العام .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصِّدِّيقُ في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ نَبِيهِ الْجَنَانُ <sup>(٤)</sup> ، وأنكره اللسان ، مخافة السَّانِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَيْمُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ من الناس قد أجابوا دعوته ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ ، فغاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً <sup>(٦)</sup> ، وإذا

(١) توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه « اقرأ فصلا

طويلا في ذلك في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣١١ . »

(٢) أي ذور ألب ، والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

(٣) أي فسحة وامتدادا : من نساء ، أي أخره . (٤) القلب . (٥) البغض والكرهية .

(٦) سادة .

أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أخطأهم عنده ، قد محصنته <sup>(١)</sup> العرب وِدَادَهَا  
وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامعشر فريش : كونوا له وِلاَةً ، وَحِزْبَهُ حِمَاةً ،  
والله لا يسلك أحد سبيله إلا رَشِدٌ ، ولا يأخذ بهديه أحد ، إلا سَعِدَ ، ولو كان لنفسي  
مدة ، وفي أَجَلِي تأخير ، لكففت عنه الهزَاهِرَ <sup>(٢)</sup> ، ولدافعت عنه الدَّوَاهِي « .

( بلوغ الأرب ١ : ٢٢٧ )

---

(١) محصنه الود ، وأحصنه : أخلصه .

(٢) الهزاهز والهزهزة : تحريك البلايا والحروب الناس .

# خطب الوفود

## ١٧ - خطبة عطارد بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطارد بن حاجب بن زرارة ، في أشراف من بني تميم ، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال نعم ، قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطارد فقال :

« الحمد لله الذى له علينا الفضلُ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكًا ، ووهب لنا أموالًا عظامًا ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عددًا ، وأيسره عُدَّةً ، فمن مثلنا في الناس ، ألسنا بروس الناس وأولى فضلهم ؟ فن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإننا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإننا نعرف بذلك أقول هذا الآن لتأتونا بمنل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس » .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشَّامس ، قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

## ١٨ - خطبة ثابت بن قيس بن الشَّامس

« الحمد لله الذى : السموات والأرض خلقهُ ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه عليه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا ، واصطفى

من خير خلقه رسولا ، أكرمهم نسبًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأفضلهم حسيبًا ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمننه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوى رحمته ، أكرم الناس أنسابًا ، وأحسن الناس وجوهًا ، وخير الناس فمالًا ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله . ووزراء رسوله ، نقائل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعه ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا ، وكان قتله علينا يسيرًا ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبير بن بدر ، فأشاد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فرد عليه ، فقال الأقرع ابن حابس التميمي . إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)  
وصبح الأعمى ١ : ٣٧٣ .

## ١٩ - عمرو بن الأهتم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر<sup>(١)</sup> فقال عمرو : « مطاع في أدنبيه<sup>(٢)</sup> ، شديد المعارضة<sup>(٣)</sup> . مانع لما وراء ظهره » فقال الزبير بن بدر :

(١) هما سيدان من بني نعيم . (٢) أى فى الأذنين منه : أى الأقربين ، وأصله أدنين حذفت نونه لإضافته إلى الضمير . (٣) المعارضة : قوة الكلام وتفتيحه ، والرأى الجيد .

« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي » فقال عمرو :  
« أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة<sup>(١)</sup> ، أحق الوالد ،  
لئيم الخلال ، حديث الغني » فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار  
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ،  
وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا** » .

( البيان والتبيين ١ : ٣١ ، والمعقد الفريد ١ : ١١٧ ، وجمع الأمثال للميداني ١ : ٥ )

## ٢٠ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قَدِمَتْ وفودُ العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير النهدي  
فقال : « يا رسول الله أتيناك من غوري<sup>(٢)</sup> تهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس<sup>(٣)</sup>  
نستحلب الصبير<sup>(٤)</sup> ، ونستجاب الخبير<sup>(٥)</sup> ، ونستعصد البرير<sup>(٦)</sup> ، ونستخيل الرهأم<sup>(٧)</sup> ،  
ونستحيل الجهام<sup>(٨)</sup> ، من أرض غائلة النطاء<sup>(٩)</sup> ، غليظة الوطاء ، نشف المدهن<sup>(١٠)</sup> ،

---

(١) قليل المروءة . (٢) الغور : كل ما انحدر مغربا عن تهامة ، والأكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام أي بالأكوار المصنوعة منه . (٣) العيس جمع عيساء : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٤) الصبير : السحاب الكثيف . (٥) العشب .  
(٦) استعصد الثمرة : اجتناها ، والبرير : ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد .  
(٧) الرهأم جمع رهمة بالكسر : وهي المطر الضميف الدائم . ونستخيل : نخال ونظن . وسحابة مخيلة  
بضم فكسر : أي تحسبها ماطرة . (٨) الجهام : السحاب قد أراق مائه . (٩) النطاء : البعد ،  
أي بعينة بعد ما مهلكا . (١٠) مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه .

وَيَبِسَ الْجَمِينُ <sup>(١)</sup> ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ <sup>(٢)</sup> ، وَمَاتَ الْأُمْلُوجُ <sup>(٣)</sup> ، وَهَلَكَ الْهَلْدِيُّ <sup>(٤)</sup> ،  
 وَمَاتَ الْوَدِيُّ <sup>(٥)</sup> ، بَرِئْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَتَنِ وَالْعَثَنِ <sup>(٦)</sup> ، وَمَا يُحْدِثُ الزَّمَنُ ،  
 لِنَادِعَةِ السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَعَى <sup>(٧)</sup> الْبَحْرُ ، وَقَامَ تِعَارٌ <sup>(٨)</sup> ، وَلَنَا نَعَمٌ ،  
 كَهَمَلٍ <sup>(٩)</sup> ، أُغْفَالٌ <sup>(١٠)</sup> ، مَا تَبِضُّ <sup>(١١)</sup> بِيَلَالٍ ، وَوَقِيرٌ <sup>(١٢)</sup> كَثِيرُ الرَّسَلِ ، قَلِيلُ الرَّسَلِ ، أَصَابَتْهَا  
 سُنِّيَةٌ حَرَاهُ مُؤَزَّلَةٌ <sup>(١٣)</sup> ، لَيْسَ بِهَا عَالٌّ وَلَا نَهْلٌ .

## ٢١ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم بارك لهم في حَمْضِهَا <sup>(١٣)</sup> وَنَخْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ <sup>(١٤)</sup>  
 بِيَانِ الثَّمَرِ ، وَافْجُرْ لَهُ التَّمَدُّ <sup>(١٥)</sup> ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَالِدِ . مِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسَلِّمًا ،  
 وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ،  
 وَدَائِعِ <sup>(١٦)</sup> الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمُلْكِ ، لَا تَلْطِطِ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تُلْجِدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَنَاقَلْ  
 عَنِ الصَّلَاةِ »  
 (المقد الفريد ١ : ١١٣)

(١) أصل النبات . (٢) ورق كورق السرو لشجر بالبادية . (٣) مالان واخضر من  
 القضبان . وعسلجت الشجرة : أخرجه . (٤) ما يهدى إلى مكة لينحر . (٥) الودي الفسيل ( النخل  
 الصغار ) . (٦) الصنم الصغير . (٧) امتلاً وعلا . (٨) جبل بيلاد قيس . (٩) مهملة .  
 والأغفال جمع غفل بالضم : وهو ما لاسمه عليه من الدواب . (١٠) بض الماء يبض : سال قليلا  
 قليلا ، والبلال : الببلل ، والمراد قلة اللبن . (١١) القطيع من الغنم . (١٢) الرسل : القطيع من  
 كل شيء ، والرسل : اللبن ، وسنية : تصغير تعظيم لسنة ، وهي القحط والمجاعة ، وحرء : أى شديدة ،  
 ومؤزلة : ذات أزل بسكون الزاي ، وهو الضيق والشدة . (١٣) اللبن الخالص ، وحمض اللبن : أخذ  
 زيده : والمذيق : اللبن الممزوج بالماء ، مذقه فامتدق . (١٤) الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير  
 من كل شيء ، وأراد به هنا الحصب والنبات الكثير .

(١٥) الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . (١٦) أى الغنائم  
 التي تقم من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقوموا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضيمة : وهى =

## ٢٢ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظَبْيَانِ بْنِ حَدَّادٍ فِي سَرَاةٍ مَذْحِجٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَعَ<sup>(١)</sup> الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ ، وَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالرَّجْعِ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ سَرَاةٍ مَذْحِجٍ مِنْ يُجَايِرِ<sup>(٣)</sup> بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ قَالَ : فَتَوَقَّلتُ<sup>(٤)</sup> بِنَا الْقِلَاصِ مِنْ أَعَالَى الْحَوَافِ وَرِعُوسِ الْمُضَابِ ، يَرْفَعُهَا عُرُرٌ<sup>(٥)</sup> الرُّبَا ، وَيُخْفِضُهَا بُطْنَانُ الرَّقَاقِ ، وَتَلَحُّقُهَا دِيَاحِي الدُّجَى ، ثُمَّ قَالَ : وَسَرَوَاتِ الطَّائِفِ كَانَتْ لِبَنِي مَهْلَائِيلَ بْنِ قَيْنَانَ ، غَرَسُوا وَدِيَانَهُ ، وَذَلَّلُوا خِشَانَهُ<sup>(٦)</sup> وَرَعَوْا قُرْبَانَهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَوْحًا حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ بِمَنْ مَعَهُ ، قَالَ فَكَانَ أَكْثَرَ بَنِيهِ بِنَاتٍ ، وَأَسْرَعَهُمْ نَبَاتًا ، عَادُ وَثُمُودُ ، فَرَمَاهُمُ اللَّهُ بِالذَّمَالِقِ<sup>(٧)</sup> ، وَأَهْلَكَهُمْ بِالصَّوَاعِقِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثُمُودٍ تَسْكُنُ

= مَا يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ مِنَ الْخِرَاجِ وَالْعَشُورِ . يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : إِنَّ مَوَارِدَ الْمَالِ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هِيَ هَذَانِ الرَّكْنَانِ الْغَنَائِمُ وَالزَّكَاةُ ، فَلَا تَعْتَظِلُوا الزَّكَاةَ ، وَلِذَا عَقِبَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِقَوْلِهِ : لَا تَلْطَطُ فِي الزَّكَاةِ أَى لَا تَمْتَعِهَا : لَطَطَ حَقُّهُ جَعَلْتَهُ كَأَلْطَطْتَ ، وَلَا تَلْجُدُ فِي الْحَيَاةِ : أَى لَا يَجْرِي مِنْكُمْ مِيلٌ عَنِ الْحَقِّ مَا دَمْتُمْ أَحْيَاءَ ، وَلَا تَتَنَاقَلُ عَنِ الصَّلَاةِ : أَى عَنِ أَدَائِهَا فِي وَقْتِهَا ، وَيُرْوَى : وَلَا يَلْطَطُ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا يَلْجُدُ فِي الْحَيَاةِ ( بِالْبِنَاءِ الْمَجْهُولِ ) وَلَا تَتَنَاقَلُ عَنِ الصَّلَاةِ . (١) شَقَّ . (٢) الْمَطَرُ بَعْدَ الْمَطَرِ . (٣) هُوَ مُرَادُ بِنِ مَالِكِ ( وَهُوَ مَذْحِجٌ ) ابْنُ أَدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ . (٤) تَوَقَّلتُ فِي الْجَبَلِ . صَعَدَ ، وَالْقِلَاصُ جَمْعُ قَلُوصٍ : وَهِيَ النَّاقَةُ الشَّابَّةُ أَوْ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ ، وَالْحَوَافِ : بِلَادُ بَعْمَانَ . (٥) فِي الْأَصْلِ : « عَوَارٌ » وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا ، وَأَرَى أَنْ صَوَابُهُ « عَرَرٌ » جَمْعُ عَرَّةٍ كَقَبَّةٍ وَعَرَّةُ السَّنَامِ : الشَّحْمَةُ الْعَلِيَا ، أَى ذُرُوتُهُ وَأَعْلَاهُ : أَى أَنَّهَا تَسِيرُ فِي أَعَالَى الرُّبَا وَذُرَاهَا ؛ وَرَبْمَا كَانَ الْأَصْلُ « عَرَاعِرٌ » بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْأُولَى جَمْعُ عَرَعْرَةٍ بِضَمِّهَا ، وَعَرَعْرَةُ الْجَبَلِ وَالسَّنَامُ وَكُلُّ شَيْءٍ : رَأْسُهُ ، وَبُطْنَانُ جَمْعُ بَاطِنٍ : وَهُوَ الْغَامِضُ مِنَ الْأَرْضِ : أَى الْمَطْمُونُ مِنْهَا ، وَالرَّقَاقُ جَمْعُ رَقٍّ بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ كُلُّ أَرْضٍ إِلَى جَنْبِ وَادٍ يَنْبَسِطُ الْمَاءُ عَلَيْهَا أَيَّامَ الْمَدِّ ثُمَّ يَنْضَبُ وَدِيَاجِي اللَّيْلِ حَتَّى يَدَسُّهُ كَأَنَّهُ جَمْعُ دِيحَاءَ ، وَاللَّجِي جَمْعُ دَجِيَّةٍ : وَهِيَ الظِّلْمَةُ . (٦) الْحَشْنُ وَالْأَخْشَنُ : الْأَخْرَشُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ جَمَعَهُ خِشَانٌ . (٧) الْأَمْلَسُ : الْمُسْتَدِيرُ مِنَ الْحِجَارَةِ .

الطائف ، وهم الذين خَطُّوا مشاربها ، وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، ورفموا عريشها ، ثم قال : وإن حمير ملكوا مَعَاقِلَ الأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكَهُولَ النَّاسِ وَأُغْمَارَهَا<sup>(٢)</sup> ورموس الملوك وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ البِيضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَقَارِسُ الحِمْرَاءِ ، وَالجَزِيَّةُ الصَّفْرَاءُ<sup>(٣)</sup> ، فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النَّقْمَ ، فَضَرَبَ اللهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ قِبَائِلٌ مِنَ الأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ<sup>(٤)</sup> ، وَبَنَوْا فِيهَا المِصَانِعَ<sup>(٥)</sup> ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِمَ<sup>(٦)</sup> ، ثُمَّ تَرَامَتِ مَذْحِجٌ بِأَسَدَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ<sup>(٧)</sup> بِأَعْنَتِهَا ، فَغَلَبَ العَزِيزُ أَذْهَهَا ، وَقَتَلَ الكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرُو ابْنِ خَالِدِ بْنِ جَدِيمَةَ يَحْبِطُونَ عَصِيدَهَا<sup>(٨)</sup> ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرشُّحُونَ<sup>(٩)</sup> حَصِيدَهَا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن نعيم الدنيا أفل وأصغر عند الله من خمر بعِيضَةٍ ، ولو عدلت عند الله جناح ذباب لم يكن لكافر منها خلاق ، ولا لمسلم منها لحاق » .  
(المقد الفريد ١ : ١١٠)

## ٢٣ - خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

- (١) أتى الماء تأتية سهل وأصلح مجراه ، أى سهلوا طرق المياه إليها . (٢) جمع غمر مثلث الغين : وهو الحدث لا تجرئة له ، والعرار : الرفعة والسودد . (٣) أى الذهبية . (٤) جمع شريمة ، وهى مورد الشاربة كالشرعة . (٥) المباني من القصور والحصون . (٦) جمع دسيعة ، وهى الجفنة والسكررة . (٧) تنزى : توثب وتمرع . (٨) العصيد : ما قطع من الشجر ؛ أى يضربونه ليستقط ورقة فيتخذوه علفا لإبلهم . (٩) الترشيح : التربة وحسن القيام على المال ، والحصيد : ما خصد من الشجر ونحى عنه ، وكل ما قطع من عود رطب (فيل بمعنى مفعول) أى يصلحونه ويقومون بأمره .



« يارسول الله ، نَصِيَّةٌ <sup>(١)</sup> من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَنْوَكَ عَلَى قُلُوصٍ نَوَاجٍ <sup>(٢)</sup> ، متصلةٌ بحبال الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، مِنْ مِخْلَافٍ <sup>(٣)</sup> خَارِفٍ <sup>(٤)</sup> ، وَيَامٍ ، وَشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ وَالقُرَى ، أجاوبوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ <sup>(٥)</sup> عهدهم لا يُنْقِضُ ، ما أقام لَعَلَعٌ <sup>(٦)</sup> ، وما جرى الِيفْمُورُ بِصُلَعٍ <sup>(٧)</sup> .  
( صبيح الأعشى ٢ : ٢٤٤ )

## ٢٤ - سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : لَمَّا أَتَيْنَا بِسَبَايَا طَيْبٍ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ جَارِيَةً جَمِيلَةً - وَهِيَ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ <sup>(٨)</sup> - فَلَمَّا رَأَيْتَهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأَطْلُبَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْمَلَهَا مِنْ فَيْئِي ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ أُنْسِيتُ جَاهِلَهَا ، لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا ، فَقَالَتْ :

« يَا مُحَمَّدُ : هَلَاكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فَلَا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيْدِ قَوْمِي <sup>(٩)</sup> . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي <sup>(١٠)</sup> ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ،

(١) النصية من القوم : الخيار ، وهمدان : من عرب اليمن . (٢) القلوص : جمع قلووص ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجي : جمع ناجية ، وهي المسرعة في السير . (٣) المخلاف الكورة . (٤) خارف : لقب مالك بن عبد الله أبي قبيلة من همدان ، ويام ، وشاكر ، قبيلتان من همدان باليمن . (٥) الأنصاب : جمع نصب بضمين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدها نصاب ، قيل هي الأصنام وقيل غيرها . (٦) اسم جبل . (٧) اليففور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لاينبت شيئا .

(٨) السفانة في الأصل : اللؤزة . (٩) جواب الشرط محذوف وهذا تمليل له أي فافعل فإني . .

(١٠) العاني : الأسير .

وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعَمُ الطَّامِمَ ، وَيُنْفِثِي  
السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيْئٍ » .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جَارِيَةَ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ  
إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلَوْا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَجِبُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يَجِبُ  
مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . (الْأَغَانِي ١٦ : ٩٣)

### ٢٥ - وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ لِمَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ <sup>(١)</sup> :

« يَا مَالِكَ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامٍ ،  
مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ ، وَبِكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُعَار <sup>(٢)</sup> الشَّاءَ . قَالَ : سَقَتْ مَعَ  
النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ  
وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي <sup>(٤)</sup> ضَانَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَرُدُّ الْمَنْهَزِمُ شَيْءًا ؟  
إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرِجْمِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فَضِحْتَ  
فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ <sup>(٥)</sup> بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوَرِ الْخَيْلِ  
شَيْئًا ، أَرْفَعَهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلِيَاءِ قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقَى الصَّبَا <sup>(٦)</sup> عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنَّ  
كَانَتْ لَكَ لِحَقِّ بَيْتِكَ مِنْ وَرَاءِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ .

(١) غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وثقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا  
ثم لموا شعثم وشدوا على عدوهم فهزموهم . (٢) اليعار : صوت الفم أو المعزى أو الشديد من أصوات  
الشاء . (٣) يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالدابة : ألصق لسانه بالحنك ثم صوت  
في حافتيه . (٤) يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من راعي ضأن » .  
(٥) بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط عليهم عدوا من عدوهم فيستبيح  
بيضتهم » يريد جماعتهم وأصلهم . (٦) أي ذوى الصبا : أي الشبان .

قال لا والله ما أفعل ، إنك قد كبرت وذَهَلَّ عَقْلُكَ . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني ، ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جَدَعٌ أَحَبَّ فيها وَأَضَعُ<sup>(١)</sup>  
أفود وطفاء الزَّمَعِ كأنها شاة صدع<sup>(٢)</sup>

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، المقد الفريد ١ : ٤١)

## ١٦ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى عمير بن حبيب بنيه فقال :

« يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، وإن من يحلم عن السفية يسر بحلمه ، ومن يُجِبِّه يندم ، ومن لا يقرّ بقليل ما يأتي به السفية ، يقر بالكثير . وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله عزّ وجلّ ، إنه من يوقن بالثواب من الله عزّ وجلّ لا يجد مسّ الأذى » .

(الأمال ٢ : ٦٠)

## ٢٧ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال :

« يا بني ، خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا ذفتموني فانصرفوا إلى رجالكم ، فسودّوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودّوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودّوا

(١) الحبيب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرعت في سيرها .

(٢) الوطف ؛ كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزعم جمع زعمة ؛ وهي هنة زائدة وراء الظلف أو

الشعرات المدلاة في مؤخر رجيل الشاة ، والصدع : من الأوعال والإبل الفتى الشاب القوى .

أصغروهم ، أزرى ذلك بهم في أكفأهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم ، وتمسكوا  
بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه  
فإنه منبّهة للكريم ، وجنة لعرض اللئيم ، وإياكم والمسألة ، فإنها أخير<sup>(١)</sup> كسب  
الرجل ، وإن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم  
بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف  
أن يدخلوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلّ عرق لئيم أن تلبسوه  
فإنه إن يسرركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظّموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ،  
فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا      فلن تبديد وللآباء أبناء

( شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١ )

(١) آخر بقصر الهمة لاغير : أى أدنى وأرذل ، ومن رواه بالله أخطأ .

## خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :  
نُوِّىَ هذا الأمر بيد محمد عليه الصلاة والسلام سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وأخرجوا سعداً إليهم  
وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع  
القوم كلهم كلامي ، ولكن تَلَقَّ مني قولي فَأَسْمِعُهُمْ ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل  
قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

### ٢٨ - خطبة سعد بن عبادة

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من  
العرب ، إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام لَبِثَ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً في قومه يدعوهم إلى عبادة  
الرحمن ، وَخَلَعَ الأندادِ والأوثانِ ، فما آمَنَ به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا  
يقدرون على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يُعزُّوا دينه ، ولا أن يدفعوا  
عن أنفسهم ضيماً عُمُوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصَّكم  
بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإغزاز له ولدينه ،  
والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشدَّ الناس على عدوِّه من غيركم ، حتى استقامت العرب  
لأمر الله طَوْعاً وَكَرْهاً ، وأعطى البَعيدُ المَقَادَةَ صَاغِراً دَاخِراً<sup>(١)</sup> ، حتى أثنى<sup>(٢)</sup>

(١) صاغراً ذليلاً : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

(٢) أثنى فلانا : أوهنه ، والمراد أخضع .

الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير عينٍ ، أُسْتَبِدُّوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الأمر ، وأنى عمر الخبر ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ وأحسنهم مقالة من يقول : مينا أميرٌ ومين قریش أميرٌ » فضيا مسرعين محوم ، فلقي أبا عبدة بن الجراح فماشوا إليهم ثلاثتهم ، فجاهوا وهم مجتمعون . فقال عمر : أتيناكم وقد كنت زويت<sup>(١)</sup> كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدىء المنطق . فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتكلم ، ثم انطق بعد بما أحببت فنطق . فقال عمر : فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه .

## ٢٩ - خطبة أبي بكر رضي الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي من حجر منحوت ، وخشب منجور<sup>(٢)</sup> ، ثم قرأ : ( وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) فمظّم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من

(١) زواه يزويه جمعه ، والمراد أعددت . ورواية المقد الفريد ( ٢ : ٢٠٤ ) زورت كلاماً في

نفسه ، وزور الشيء حسنه وقومه ، والمراد أيضا هيأت وأعددت . (٢) النجر : نحت الخشب .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه ، على شدة أذى قومهم لهم ،  
وتكذيبهم إياهم ، وكلُّ الناس مخالفٌ زارٍ<sup>(١)</sup> عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ،  
وشنف<sup>(٢)</sup> الناس لهم ، وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وآمن  
بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم  
ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم  
التظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته وفيكم  
حجة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ،  
وأنتم الوزراء ، لا تفتأون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور .

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وها كه : »

### ٣٠ - نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم  
داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمشهم رحماً برسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى :  
« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ »  
فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار . إخواننا في الدين . وشركاؤنا في الفداء<sup>(٣)</sup> ، وأنصارنا  
على العدو ، آوتيم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ،

(١) زرى عليه زراية : عابه . (٢) شنف له كفرح : أبغضه وتكره فهو شنف .

(٣) الغنيمة والحراج .

لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا<sup>(١)</sup> عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

(المقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧ والإمامة والسياسة ١ : ٧)

### ٣١ - خطبة الحباب بن المنذر

ثمَّ قام الحباب بن المنذر بن الجحوح فقال :

« يا معشر الأنصار : امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي قَيْئِكُمْ وَفِي ظَلْمِكُمْ ، وَلَنْ يَجْتَرِيَ مُجْتَرِيٌّ عَلَى خِلافِكُمْ ، وَلَنْ يَصُدَّرَ النَّاسَ إِلَّا عَنْ رَأْيِكُمْ ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ ، وَأَوْلُو الْعَدَدِ وَالْمَنْعَةِ وَالتَّجَرِبَةِ ، وَذَوُو الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى مَا تَصْنَعُونَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا فَيَفْسُدَ عَلَيْكُمْ رَأْيِكُمْ ، وَيَنْتَقِضَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، فَإِنَّ أَبِي هُوَ لَأَوْلَى إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ ، فَمَا أَمِيرٌ وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ . »

### ٣٢ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمعُ اثنان في قرن<sup>(٢)</sup> ، والله لا ترضى العربُ أن يؤمرُوكُمْ وَنَدِيهَا مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَلَسْكَنَ الْعَرَبُ لَا تَمْتَنِعُ أَنْ تُوَلَّى أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ ، وَوَلَّى أُمُورَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَمَّا بِذَلِكَ عَلَى مَنْ أَبِي مِنَ الْعَرَبِ الْحِجَةُ الظَّاهِرَةُ ، وَالسُّلْطَانُ الْمُبِينُ ، مِنْ ذَايُنَا عِنَّا سُلْطَانُ مُحَمَّدٍ وَإِمَارَتُهُ ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، إِلَّا مُدْلٍ بِيَاطِلٍ ، أَوْ مُتَجَانِفٍ<sup>(٣)</sup> لِإِنِّمْ ، أَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَلَكَةٍ ؟ » .

(١) نفس عليه بخير (كفرح) حسده ، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلا له .

(٢) حبل . (٣) مائل جانح .



### ٣٣ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتوه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ؛ أنا جديلاً المحكك ، وعذيقها المرجب<sup>(١)</sup> ، أما والله لئن شتمت لنعيدنها جذعة<sup>(٢)</sup> . »

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :

يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وعيّر .

### ٣٤ - خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كُنَّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضاً ربنا ، وطاعة نبينا ، والسكِّدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرَضاً ، فإنَّ الله وليُّ المنة علينا

---

(١) الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري لتحتك به وتمرس ، والمحكك الذي تتحكك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) ، وهو النخلة. والمرجب : الذي جعل له رجة ، وهي دعلة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشفي برأيه وعقله . (٢) الجذعة : الشابة الفتية ؛ يريد الحروب والغارات .

بذلك ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومه أحقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوه . »

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فن ذابنغى له أن يتقدمك ، أو يتولى هذه الأمر عليك ؟ ابسط يدك نبايعك ، وقام الناس إليه فبايعوه .

( تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٨ )

# خطب أبي بكر الصديق ووصاياہ

رضى الله عنه

## ٣٥ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو

مُسَجَّى<sup>(١)</sup> بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأمي ! طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فَمَظُمْتَ عن الصفة ، وَجَلَلْتَ عن البكاء ، وَخَصَّصْتَ حتى صرت مَسَلَاة<sup>(٢)</sup> ، وَعَمَمْتَ حتى صرنا فيك سَوَاء<sup>(٣)</sup> ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك<sup>(٤)</sup> ، لَجُدْنَا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء ، لَأَنفَدْنَا عليك ماء الشُّنُون<sup>(٥)</sup> ، فأما ما لا نستطيع نفيهُ عنا ، فكمدُّ وإدناف<sup>(٦)</sup> ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ

(١) تسجية الميت : تغطيته . (٢) خص الشيء من باب قدم خصوصا فهو خاص : خلاف عم ،

مثل اختص ( وكلا الفعلين يستعمل متعديا ولازما ) ، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس ؛ إنك مع ما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت ، فلهباد فيك أسوة حسنة .

(٣) أى عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء في الحزن عليك والتفجع لفقدك .

(٤) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر » قالت عائشة : فسميته

وقد شخص بصره ؛ وهو يقول : « في الرفيق الأهل » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح . (٥) جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .

(٦) دنف المريض كفرح ، وأدنف : ثقل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذ كرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلقت من السكينة لم نُقِمَ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللهم أبلغ نبيك عنا ، واحفظه فينا ! ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها :

« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندهم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ<sup>(١)</sup>) ، وَلَا يَشْعَلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، فَعَاجِلُوهُ بِالَّذِي تُمَجِّزُونَهُ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ . »  
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

### ٣٦ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقوامكم عندي الضّعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب

الكامل ١ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، وابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، وسيرة

ابن هشام ٢ : ٤٣٠ . »

### ٣٧ — خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبرى : نادى منادى أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يُتَمِّمُ** بعث أسامة : ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره ، وقام فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس : إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق . إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنا أنا متَّبِعٌ ، ولست بمتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني : وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة<sup>(١)</sup> ضربت سوط فادونها ، ألا وإن لى شيطاناً<sup>(٢)</sup> يعتريني ، فإذا غضبت فاجتنبوني ، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم<sup>(٣)</sup> ، ألا وإنكم تغدون وتروحون فى أجل قد عُيِبَ عنكم علمه ، فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تُسَلِّمَ آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجُدَّ الجُدَّ ، والوَحَا<sup>(٤)</sup> الوَحَا ، والنَّجَاء<sup>(٥)</sup> النَّجَاء ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً<sup>(٦)</sup> ، أجلاً مرّةً سريع ، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا<sup>(٧)</sup> الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات »

( تاريخ الطبرى ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن الحديد م ٤ : ص ١٦٧ )

(١) الظلمة . (٢) قال ابن أبى الحديد : وأراد بالشيطان الغضب ، ولم يرد أن له شيطاناً من مردة الجن يعتريه إذا غضب ، ولو كان له شيطان من الجن يعتاده وينوبه لكان فى عداد المصروعين من المجانين ؛ وما ادعى أحد على أبى بكر هذا لامن أوليائه ولا من أعدائه . (٣) أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة : وهى ظاهر الجلد . (٤) العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، ووحاه ، عجله . (٥) الإسراع أيضاً . (٦) سريعاً . (٧) غبطه : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

## ٣٨ - خطبة أخرى

قال الطبري : وقام ايضاً بحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحظ ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين فقرم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعض بهم الدهر ، وصاروا رمياً ، قد تركت عليهم القالات<sup>(١)</sup> الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كلاً شياً ، ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا بالأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن أغترنا كنا مثلهم ، أين الوضاه<sup>(٢)</sup> الحسنه وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجملوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً<sup>(٣)</sup> ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ، فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ،

(١) القول : في الخير ، والقال والقيل والقالة : في الشر . (٢) الوضاه جمع وضى : وهو الحسن

والنظيف ، وهو ايضاً وضاه بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضاهون . (٣) الصوت الخفى .

ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرِ بعده النارُ ، ولا شرَّ بشرِّ بعده الجنة .

( تاريخ الطبری ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧ )

### ٣٩ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤوسهم ، فقال : مالكم يامعشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدَهُ اللهُ فيما في يده ، ورغبَهُ فيما في يَدَيْهِ غيره ، وانتقصهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَثْرَبَ قَلْبَهُ الإِشْفَاقَ ، فهو يَحْسُدُ على القليل ، ويتسخط<sup>(١)</sup> الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكنُ إلى النقرة ، فهو كالدرهم القسي<sup>(٢)</sup> ، والسراب الخداع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجِبَتْ<sup>(٣)</sup> نفسه ، ونَصَبَ عمره ، وضحا ظِلُهُ<sup>(٤)</sup> ، حاسبهُ اللهُ فأشدَّ حسابهُ ، وأقلَّ عفوهُ . ألا إن الفقراء هم الرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدى مُلكاً عَضُوضاً<sup>(٥)</sup> ، وأمة شعاة<sup>(٦)</sup> ، ودماً مُفاحاً<sup>(٧)</sup> ، فإن كانت للباطل نَزْوَةٌ<sup>(٨)</sup> ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ، ينفولها الأثرُ ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

(١) تسخط عطاه: استقله ولم يقع منه موقعا . (٢) الزائف . (٣) مات . ووجبت الشمس :

غابت ؛ والمين غارت . (٤) مات أيضا . (٥) العضوض : ما يعض عليه ، وملك عضوض : فيه

عسف وظلم . (٦) متفرقة . (٧) أفاحه : أراقه . (٨) وثبة .

واستشبروا القرآن ، والزمو الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خَزَّ شَنَّةٌ<sup>(١)</sup> إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أَدْنَاهَا .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢١ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

## ٤٠ — خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأسْتَعِينَهُ ، وأسْتَغْفِرُهُ ، وأُؤْمِنُ بِهِ ، وأُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وأسْتَهْدِي اللَّهَ بِالْهُدَى ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى ، وَمِنَ الشُّكِّ وَالْعَمَى ، مِن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمَهْتَدَى ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يُعْزِّزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، رَحْمَةً لَّهُمْ ، وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ وَالنَّاسِ حِينَئِذٍ عَلَى شَرِّ حَالٍ فِي ظُلُمَاتٍ الْجَاهِلِيَّةِ ، دِينِهِمْ بَدْعَةٌ ، وَدَعْوَتِهِمْ فِرْيَةٌ ، فَأَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ، كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ، ولزوم الحقِّ فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، مَنْ يَكْذِبْ

(١) خَرَشْتَةُ : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .



يَفْجُرُ ، ومن يفجرُ يَهْلِكُ ، وإياكم والفخرَ ، وماخزُ من خلق من التراب ، وإلى التراب يعود ؟ هو اليوم حتى ، وغداً ميت ، فاعلموا وعدُّوا أنفسكم في الموتى ، وما أشكلَ عليكم فردوا علمه إلى الله ، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحَضَّراً ، فإنه قال عزَّ وجلَّ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ زَهَّوفٌ بِالْعِبَادِ » . فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها ، إلا ماغفر الله ، إنه غفور رحيم ، فأنفسم أنفسكم ، والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله « إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك ، أفضلَ ما صليتَ على أحد من خلقك ، وزكَّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، وأحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه .  
اللهم أعنا على طاعتك ، وانصرنا على عدوك .  
(العقد الفريد ٢ : ١٣١)

## ٤١ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ قال :  
« أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرَّهبة ، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة ، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » ثم أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتابُ الله فيكم لا تنفى عجائبه ، ولا يطنأ نورُه ، فنتقوا بقوله ،

وانتصحو<sup>(١)</sup> كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَ كل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ماتفعلون<sup>(٢)</sup> .

(المقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

## ٤٢ — خطبة له في الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا له فضّلنا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضّلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن صبرتم كان ذلك لله عزّ وجل ، فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا ، فرقى أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلّنا ، وشاطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلم : وإن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العدد وإن طال به الأمد . فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ :

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزالت  
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا لملت  
هم أسكنونا في ظلّال بيوتهم ظلّال بيوت أدفات وأظلت

(زهر الآداب ١ : ٣٩ وصبح الأعمى ١٣ : ١٠٨)

(١) انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحنى فإني لك ناصح . (٢) ورد عقب ذلك « ثم اعلّموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في ليل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » ما أورده ابن جرير الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ١٨١ .

## ٤٣ - وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبي بن سفيان ، فقال :

« يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بمشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغفلوا<sup>(١)</sup> ، ولا تغدروا<sup>(٢)</sup> ، ولا تمشوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تقمروا<sup>(٣)</sup> ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لِمَا كَلَلَهُ<sup>(٤)</sup> ، وسوف تمرُّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدّمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفئوهم<sup>(٥)</sup> بالسيف خفياً ، اندفعوا باسم الله<sup>(٦)</sup> . »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

## ٤٤ - وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عتبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عتبة مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما

بوصية واحدة :

« اتق الله في السرِّ والعانية ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث

(١) موضع بقرب مؤتة بمشارق الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . (٢) غل يغل كنعن : خان كأغل ، وغل صدره يغل كضرب غليلاً وغلاً : حقد . (٣) غدروه وغدر به كنعن وضرب وسمع .

(٤) قمر النخلة : كنعن فانتعرت قطعها من أصلها فسقطت . (٥) المأكلة : ما أكل .

(٦) خفقه : ضربه بشيء عريض . (٧) وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

لا يحْتَسِبُ ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك في سبيل من سبيل الله ، لا يسمع فيه الإذهان<sup>(١)</sup> والتفریط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تن ، ولا تفتّر .

( تاريخ الطبري ٤ : ٢٩ )

## خطب الفتوح في عهد أبي بكر

٤٥ - وصيته لخالد بن الوليد

ووصى أبو بكر خالد بن الوليد فقال :

« سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحملة ، فإن لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وُجِيَ عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه » .

( العقد الفريد ١ : ٤٠ )

## ٤٦ - خطبة خالد بن الوليد

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المشي بن حارثة على جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، ثم بعث أخاه مسعودا إلى أبي بكر يستمده . فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد - وكان باليمامة - أن يسير إلى العراق ، فلما قرأ خالد الكتاب .

قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) الإذهان : المداهمة والنش .

« الحمد لله والله أهله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد : فإن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا ، وجهاد عدونا وعدو الله ، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا ، وجمع كلمتنا وأمنيتنا ، والحمد لله رب العالمين ، ألا إني خارج ومعسكر وسائر إن شاء الله ومعجل ، فمن أراد ثواب العاجل والآجل فلينكش<sup>(١)</sup> » :

### ٤٧ - خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :  
« ألا إن لكل أمرٍ جوامعَ ، فمن بلغها فهي حسبهُ ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُحصَّ به ، هي التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة . ( تاريخ الطبري ٤ : ٣٠ )

(١) انكش : أسرع .

# فتح الشام

حدث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صاحب فتوح الشام قال : لما أراد أبو بكر رحمة الله عليه أن يجهز الجنود إلى الشام ، دعا عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم ، فدخلوا عليه فقال :

## ٤٨ - خطبة أبي بكر

« إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، فقد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشرکوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد أردت أن أستنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويحمل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر . فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأي الذي رأيت فليشر على أمرؤ بمبلغ رأيه . »

## ٤٩ - خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« الحمد لله الذى يخلص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي

الذي ذكرت ، فاقضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصبت ، أصاب الله بك سبيل الرشاد ، سرّب إليهم الخليل في إثر الخليل ، وابتث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتبعها الجنود . فإن الله عز وجل ناصر دينه ، ومُعيّر الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعدّ رسوله .  
(فتوح الشام ص ١ وتاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٦ - ١٢٧)

## ٥٠ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال :

« يا خليفة رسول الله ، إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد ، وركن شديد ، والله ما أرى أن تُقحم الخليل عليهم إقحاما ، ولكن تبعث الخليل ، فتغير في أداني أرضهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بدموم ، وغنموا من أداني أرضهم ، فقوموا بذلك على قتلهم ، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن ، وإلى أقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعا . فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوم غيرك » .

ثم جلس وسكت وسكت الناس .

قال لهم أبو بكر ماترون ؟ رحمك الله . فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« رأيي أنك ناصح لأهل هذا الدين ، عليهم شفيق . فإذا رأيت رأيا علمته لهم رشدا وصلاحا وخيرا ، فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين ولا متهم عليهم » .

فقال طلحة - الزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

« صدق عثمان فيما قال ، ما رأيت من رأى فأمض ، فإننا سامعون لك مطيعون ، لا نخالف أمرك ، ولا نتهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك » .

فذكروا هذا وشبهه ، وعلى بن أبي طالب رحمة الله عليه في القوم لا يتكلم ، فقال له أبو بكر : ما ترى يا أبا الحسن ؟ قال :

« أرى أنك مبارك الأمر ، ميمون النقيبة ، وأنتك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله » .

فقال له أبو بكر : بشرك الله بخير ، فن أين علمت هذا ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه ، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين » فقال أبو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث ! لقد سررتني شرك الله في الدنيا والآخرة .

## ٥١ - خطبة أبي بكر

ثم إن أبا بكر رحمة الله عليه ورضوانه قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضاكم بهذا الدين على أهل كل دين . فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشأم ، فإني مؤمّر عليكم أمراء وعاهد لهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فسكت الناس ، فو الله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشده شوكتهم ، فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه فقال : يامعشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دعاكم لمشايعيكم .

## ٥٢ - خطبة خالد بن سعيد بن العاص

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ثم قال :



« الحمد لله الذى لا إله إلا هو ، الذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فإن الله منجز وعده ، ومُعز دينه ، ومُهلك عدوه » ثم أقبل على أبي بكر فقال : « نحن غير مخالفين لك ، ولا متخالفين عنك ، وأنت الوالى الناصح الشفيق ، ننفِر إذا استدفرتنا ، ونطيعك إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا » .

ففرح أبو بكر بمقاتته ، وقال له : « جزاك الله من أخ وخليل خيراً ، فقد أسلمت مرتقباً ، وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار ، لكي يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فتيسر رحمتك الله » .

فتجهز خالد بن سميد بأحسن الجهاز وخرج هو وإخوته وغلمانهم ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من عسكر ، وأمر أبو بكر ببلاد فنادى في الناس : أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام ، فنفروا إليه — وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الإمارة واستعفى أبا بكر فأعفاه — (فتوح الشام ص ١) ورأى أبو بكر أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغبهم في ثوابه ، وبعث الكتاب مع أنس بن مالك .

قال أنس : أتيت أهل اليمن جناحاً جناحاً و قبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر وإذا فرغت من قراءته قلت :

« الحمد لله ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنني رسول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول المسلمين إليكم ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ، ليس بمنهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم ، فمجلوا إلى إخوانكم رحمة الله عليكم أيها المسلمون » .

فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ، ويسمع مني هذا القول يحسن الرد على ، ويقول : نحن سائرون وكأنا قد فعلنا .

## ٥٣ — خطبة ذى الكلاع

حتى انتهيت إلى ذى الكلاع ، فلما قرأت عليه الكتاب ، وقلت هذا المقال ؛ دعا بفرسه وسلاحه ؛ ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالمعسكر فسا برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا ، فلما اجتمعوا إليه قام فيهم :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ، ونعمته عليكم ، أن بعث فيكم رسولا ، وأنزل عليه كتابا فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورجبكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين ، واكتساب الأجر العظيم ، فابتغوا من أراد النفي معي الساعة » .

ففر بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على أبي بكر ففرح بمقدمهم .

(فتوح الشام ص ٦)

## ٥٤ - وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر

ولما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يغدو سائرا إلى الشام ، ابس سلاحه ؛ وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمرا والحكم وأبان ، وغلتمه ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رضى الله عنه بعد صلاة الغداة وصل معهما ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يا أبا بكر ، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرا بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأمات البدعة ، وعدل في السيرة ، الوالى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعا ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعين الضعيف المظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب . ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور . ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدوا ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى ، كان ذلك قمتا أن يكون إلى هلاكهم داعيا ، وكن لنا للمحسن ، واشدد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لأم » .

م قال : هات يدك ، فإنى لا أدرى : هل نلتقى فى الدنيا بعد هذا اليوم ؟ فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ؛ وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء ، فعرفنا الله وإياك وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى جنات النعيم » فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده ، ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .  
(فتوح الشام ص ١٧)

## ٥٥ - وصية أبى بكر لخالد بن سعيد بن العاص

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضى الله عنه :

« إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيتى ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وعيها ، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبّت العالم ، وعلمّ الجاهل ، وعاتب السفهية المترّف ، وانصح لعامة المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحقّ الله للمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مساءلون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولننقمه من الخائفين ثم أخذ يده فودعه » .

وجّه أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين ، وعلى الثانى شرحبيل ابن حسنة ووجهه إلى الأردن ، وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجهه إلى البلقاء ، وعلى الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص ، وشيخ الأمراء ووصاهم .  
(فتوح الشام ص ١٨)

## ٥٦ - وصية أبى بكر لعمرو بن العاص

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو

ابن العاص .

وخرج أبو بكر يمشى إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول :

« يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته ، واستخيه فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقاً منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والدا لمن معك . ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكفف بعلايتهم ، وكن مجداً في أمرك ، واصدق اللقاء إذا لافيت ولا تجبن ، وتقدم في العلوم <sup>(١)</sup> وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك . . . . . في وصية له طويلة » .

(تاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٩)

## ٥٧ - وصية أخرى

وأمد أبو بكر أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص ، فلما أراد الشخصوص خرج معه أبو بكر رضى الله عنه يشيحه وقال :

« يا عمرو إنك ذورأى وتجربة بالأمر وتبصرة بالحرب . وقد خرجت مع أشرف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألمهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود في الحرب ، مبارك في عواقب الأمور » فقال له عمرو : ما أخلقني أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ، ثم ودعه وانصرف .

(فتوح الشام ص ٤١)

## ٥٨ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ودعا يزيد بن أبي سفيان فمقد له وأوصاه فقال :

« يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت

(١) هكذا في الأصل .

العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تغلُّ ولا تمثِّل ، ولا تغدر ولا تجبُن ، ولا تقتلوا وليدا ،  
ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقعره ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،  
ولا تَعفروا بهيمة إلا لما كَلَّته ، وستمرون بقوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم  
لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص الشيطان عن أوساط  
رءوسهم ، حتى كأن أوساط رءوسهم أفاحيص<sup>(١)</sup> القطا ، فاضربوا ما فحسوا من رءوسهم  
بالسيوف ، حتى يُنيبوا إلى الإسلام ، أو يؤدروا الجزية عن يدهم صاغرون ، ولينصرن الله  
من ينصره ورسله بالغيب « ثم أخذ يده فقال : « إني أستودعك الله وعليك سلام الله  
ورحمته » ثم ودَّعه وقال : « إنك أول أمرائي ، وقد وليتك على رجال من المسلمين أشرف  
غير أوزاع<sup>(٢)</sup> في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كنفاً واخفض لهم جناحك  
وشاورهم في الأمر ، أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة » . (فتوح الشام ص ٨)

## ٥٩ - وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان أيضا حين وجهه لفتح الشام قال :

« إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك<sup>(٣)</sup> ، فإن أحسنت رددتك إلى عمك  
وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فمليك بتقوى الله ، فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى  
من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا  
إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد<sup>(٤)</sup> ، فأياك وعمية<sup>(٥)</sup> الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض  
إليها »

(١) جمع أفحوص وهو ما يجثم فيه القطا . (٢) أى ليسوا بأدنياء ولا ضعفاء ولا جفاة .

(٣) خرجته : دربه وعلمه . (٤) هو خالد بن سعيد العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى

الشام أولام عزله . (٥) العمية : الكبر والفخر ، وفي الحديث : « إن الله قد وضع عنكم عية الجاهلية »  
يعنى الكبر .

أهلها ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جَنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحِبَّتَهُمْ وابدأهم بالخير ، وَعَدْنِمُ إِيَّاهُ ، وإذا  
وعظتهم فأوجزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ  
النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِأَوْقَانِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ  
رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمِهِمْ وَأَقْلِلْ لُبَّيْهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ ،  
وَلَا تُرِيْبِيْهِمْ <sup>(١)</sup> فَيَرَوْا خَلَّكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مِنْ  
قَبْلَكَ مِنْ مَحَادِثِهِمْ ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ ، فَيَخْتَلِطُ  
أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشْرْتَ فَاصْذُقِ الْحَدِيثَ تُصَدِّقِ الْمَشُورَةَ ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبْرَكَ ،  
فَتَقُوْتَى مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ ، وَاسْمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَحْبَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ ، وَتَنْكَشِفُ عِنْدَكَ  
الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثَرُ حَرَسِكَ وَبَدَدْتَهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثَرُ مَفَاجَأَتِهِمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
مِنْهُمْ بِكَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ حَرَسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ،  
وَعَقَّبْ <sup>(٢)</sup> بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا  
مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَبْلُجَنَّ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَتَّخِذْ  
لَهَا مَدْقِعًا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَفْغُلْ عَنِ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ،  
وَلَا يَكْشِفِ النَّاسُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَاصْطَرَّ بِعَلَانِيَتِهِمْ ، وَلَا تَجَالِسِ الْعَبَّائِينَ ، وَجَالِسِ  
أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ ، وَاصْذُقِ اللَّقَاءَ ، وَلَا تَجِبَنَّ فَيَجِبَنَّ النَّاسُ ، وَاجْتَنِبِ الْعُلُولَ <sup>(٤)</sup> فَإِنَّهُ  
يَقْرَبُ الْفَقْرَ ، وَيُدْفَعُ النَّصْرَ ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ ، فَدَعَاهُمْ  
وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

(١) من الريث : وهو الإبطاء . (٢) عقبه تعقبيا : جاء بعقبه . (٣) لا تتخذ : من خذا يتخذ

كنصر وخذى يخذى كرضى إذا استرخى ، والمدقع : الملتصق بالدقواء أو الحارب أو أشد الهزلى هزالا ؛ أى  
ولا تضغف ، ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٤) غل غلولا : خان .

## ٦٠ - دعاء أبي بكر

وكان أبو بكر رحمة الله عليه يدعو في كل يوم غُدُوءَةً وَعَشِيَّةً في دُبُرِ صلاة الغداة

و بعد العصر يقول :

« اللهم إنك خلقتنا ولم نكُ شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولا ، رحمة منك لنا ، وفضلا منك علينا ، فهديتنا وكنا ضلّالاً ، وحبّبت إلينا الإيمان وكنا كفارا ، وكثرتنا وكنا قليلا وجمعتنا وكنا أشتاتاً ، وقويتنا وكنا ضعافاً ، ثم فرضت علينا الجهاد ، وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ، ونجاهد أعداءك ، من عدل بك ، وعبد معك إلها غيرك ، تعاليت عما يقولون علوا كبيرا ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا ، وانصرهم نصرا عزيزا ، واجعل لهم من لدنك سلطانا نصيرا ، اللهم شجّع جُبنهم وثبت أقدامهم ، وزلزل بعدوهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شأفتهم ، واقطع دابرهم ، وأبد خضراءهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكن لنا وليا ، وبنا حفيا ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضاءنا وتبعاتنا ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم . » (فتوح الشام ص ٩)

## ٦١ - وصيته لشر حجيل بن حسنة

وجه شر حجيل بن حسنة ، وودعه فقال له : يا شر حجيل ، ألم تسمع وصيتي ليزيد

ابن أبي سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإنني أوصيك بمثلها ، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن

ليزيد : أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعبادة  
المرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا على كل حال «  
(فتوح الشام ص ١١)

## ٦٢ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح

ولما أراد أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :

« اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في  
أشرف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلاح المسلمين ، وفرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون  
إذ ذاك على الحمية ، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة ، أحسن صحبة من  
صحبتك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله مينا ، وتوكل على  
الله وكفى بالله وكيفا ، اخرج من غد إن شاء الله . »  
(فتوح الشام ص ١٢)

## ٦٣ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضى الله عنه يمشى في رجال من المسلمين ، حتى  
أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه :  
« يا أبا عبيدة ، اعمل صالحا . وعش مجاهدا ، وتوف شهيدا ، يعطك الله كتابك  
بيمينك ، ولتقر عينك في دنياك وآخرتك ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين  
الأوابين المحبتين<sup>(١)</sup> الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيرا  
وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من  
كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره . »  
(فتوح الشام ص ١٤)

(١) في الأصل « المحبتين » ، وأخبت : خشع وتواضع .



## ٦٤ - خطبة أنى بكر

وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية ، وأنه قد جمع لهم جموعا كثيرة ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره بذلك ، فقام أبو بكر رضى الله عنه في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكلثون<sup>(١)</sup> ، مدفوع عنهم ، مصنوع لهم ، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم ، وقد اعتصموا محصونهم ، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم ، وقد جاءتني رسالهم يخبروننى بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام ، وقد بعثوا إلى يخبروننى أنه قد وجه إليهم هرقل جندا من مكانه ذلك ، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم ، ويكبت بهم عدوهم ، ويلق بهم الرعب في قلوبهم . فانتدبوا رحمك الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . واحتمسوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة . وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة » .  
(فتوح الشام ص ٢٧)

## ٦٥ - وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة

ولما سار هاشم بن عتبة ودعه أبو بكر رضى الله عنه وقال له :  
« ياهاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدييره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر ، واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة<sup>(٢)</sup> في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملا صالحا ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

فقال هاشم : إن يرد الله بي خيرا يجعلني كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله ، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل إن شاء الله .

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : « يا ابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضرب ضرباً إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً ، وراجع إلى الله قريباً ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته ، أو عمل صالح أسلفته » .

فقال أى عم : لا تخالن<sup>(١)</sup> منى غير هذا ، إنى إذألمن الخاسرين ، إن جعلت حلى وارتمالى وغدوى ورواحى وسيفى وطعنى برحى وضربى بسيفى رياء للناس .  
ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتباشر بمقدمه المسلمون . ( فتوح الشام ص ٢٨ )

## ٦٩ — خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك

ووجه هرقل إلى كل جيش من جيوش المسلمين جيشاً يفوقه ، فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع ، فأرسلوا إلى أبي بكر في ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو .  
فاجتمعوا باليرموك وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه ، والروم أمامهم ، وبين الفريقين خندق ؛ فكان الروم يقاتلون باختيارهم ، وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم ، فأرسل الأمراء إلى أبي بكر يستمدونه .  
فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً للأمراء ؛ فسار إلى الشام ؛ ورواق المسلمين وهم متضايقون ، إذ وصل باهان بجيش مددا للروم ، فولى خالد قتاله ، وقاتل كل أمير من بإزائه متساندين (٢) ، فرأى خالد أن هذا القتل لا يجدى نفعا مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند

(١) في الأصل « لا تخافن » . (٢) أى تحت رايات شتى لاجتماعهم راية أمير واحد .

واتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم<sup>(١)</sup> لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتته .

قالوا : فهات فما الرأي؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر<sup>(٢)</sup> ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم . إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان ، لا ينتقص منه أن دان لأحد من أسراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهبأوا ، وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فلهوا فلنتعاور<sup>(٣)</sup> الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعوني أتأمر اليوم» فأمره وانتهت الموقعة بهزيمة الروم شرهزيمة ( سنة ١٣ هـ ) .

( تاريخ الطبري ٤ : ٣٣ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠ )

## ٦٧ — خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك

ولما برز المسلمون إلى الروم في وقعة اليرموك سار أبو عبيدة في المسلمين ثم قال : « يا عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق ، يا معشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، فلا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدهوهم بقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله ، حتى أمركم إن شاء الله .

( فتوح الشام ص ١٩٥ )

(٣) نعاقب عليها .

(٢) التياسر : التصاهل .

(١) يعنى أبا بكر .

## ٦٨ - قصص معاذ بن جبل

وخرج معاذ بن جبل يقص على الناس ويقول :

« يا قراء القرآن ، ومستحفظى الكتاب ، وأنصار الهدى ، وأولياء الحق ، إن رحمة الله - والله - لا تُنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل ، ألم تسمعوا لقول الله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » .

أنتم إن شاء الله منصورون ، فأطيعوا الله ورسوله ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَضْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحد منكم ملجأ ولا ملتجأ من دونه ولا متعزز بغير الله » .

فجعل يمشى فى الصفوف ويحرضهم ويقص عليهم ثم انصرف إلى موقفه .

(فتوح الشام ص ١٩٥)

## ٦٩ - خطبة عمرو بن العاص

وصر عمرو بن العاص يومئذ على الناس ، فجعل يعظمهم ويقص عليهم ، ويحرضهم

ويقول :

« أيها الناس : غضبوا أبصاركم ، واجشوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ، والزموا مراكزكم ومصافكم ، فإذا حمل عليكم عدوكم فأهلوهم ، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة ، فثبوا فى وجوههم وثوب الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويمت الكذب ويعاقب عليه ،

ويجزى بالإحسان ، لقد بلغنى أن المسلمين سيفتحونها كفرةً كفرةً<sup>(١)</sup> ، وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو قد صدقتموهم الشدة لقد اندعروا اندعار أولاد الحجل<sup>(٢)</sup> .

(فتوح الشام ص ١٩٦)

## ٧٠ - خطبة أبي سفيان بن حرب

وكان أبو سفيان بن حرب يسير في الناس يوم اليرموك ، ويقف على أهل كل راية وعلى كل جماعة فيحرض الناس ويحضهم ويعظهم ويقول :

« إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار المعجم ، منقطعين عن الأهل<sup>(٣)</sup> ، نائنين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله ، أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم حنقهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأمواهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء ، والصبر في مواطن المكروه ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتقرّبوا بها إلى خالفكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجئون إليها ، وبها تمنعون . »

وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً . (فتوح الشام ص ١٩٧)

## ٧١ - وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عند موته

« إنى مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يُقبَلُ نافلةٌ حتى تُؤدَّى الفريضةُ ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بانبايعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ،

(١) القرية . (٢) الحجل : الذكر من الفيج .

(٣) في الأصل « الأبل » وهو تحريف .

وَحُقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفْتُ مُوَازِينَ مِنْ خَفْتُ مُوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفْتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحُقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلَ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَلَا يَقْتَنِي عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا يُبَلِّغُنِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ ، وَإِنْ ضَيَعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجَزِ اللَّهِ .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والمقد الفريد : ٢٩٨)

## ٧٢ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ عليَّ من وجعي ، إني ولَّيتُ أموركم خيركم في نفسي ، فكلسكم ورمَّ أنفهُ أن يكون له الأمرُ من دونه ، والله لتتخذنَّ نَضَائِدَ<sup>(١)</sup> الدَّيْبَاجِ وَسُتُورَ الْحَرِيرِ ، وَلتَأْمَنَنَّ النُّومَ عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرِيِّ<sup>(٢)</sup> ، كَمَا يَأْمُرُ أَحَدُكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ<sup>(٣)</sup> ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضَرَّبَ

(١) جمع نضيدة ؛ وهى الوسادة وما ينضد من المتاع . (٢) نسبة إلى أذربيجان .

(٣) نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره ، وفي المثل : مرعى

ولا كالسعدان .

عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادى الطريق جُرْتُ إنما هو والله  
الفجر أو البجر<sup>(١)</sup> ،

فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يهيبك<sup>(٢)</sup> إلى  
ما بك ، فوالله ما زلتَ صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، واقد  
تخلت بالأمر وحدك فما رأيت إلاّ خيراً .

(تهذيب الكامل ١ : ٦ ، وإعجاز القرآن ١١٦ ، والمعقد الفريد ٢ : ٢٠٨ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٥٢ )

### ٧٣ - خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضی الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضی الله عنه  
فأرسلت إلى أزفلة<sup>(٣)</sup> من الناس ، فلما حضروا أسدلت<sup>(٤)</sup> أستارها ، وعلت وسادها ،  
ثم قالت :

« أبى وما أبیه ، أبى والله لا تعطوه الأیدی<sup>(٥)</sup> ، ذاك طود مُنيف<sup>(٦)</sup> ، وقرع<sup>(٧)</sup>  
مديد ، هیهات كذبت الظنون ، أنجح<sup>(٨)</sup> إذا كديتم ، وسبق إذ ونيتم<sup>(٩)</sup> ، سبق  
الجواد إذا استولى على الأمد<sup>(١٠)</sup> ، فتى قریش ناشتاً ، وكهفها<sup>(١١)</sup> كهلاً ، يفك عانيها ،  
ویریش<sup>(١٢)</sup> مُملقها ، ویرأب شعبها<sup>(١٣)</sup> ، ويلم شعبها ، حتى حلّيته<sup>(١٤)</sup> قلوبها ، ثم

(١) الشر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يضى لك الفجر والطريق أبصرت قصدك ؛ وإن  
خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المسكروه ؛ وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيورها أهلها .

(٢) هاض العظم : كسره بعد الجبور .

(٣) جماعة . (٤) سدله يسدله : كنصر وضرب وأسدله أرخاه . (٥) تتناوله .

(٦) الطود : الجبل ، والمنيف : المشرف . (٧) فرع كل شيء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

(٨) أنجح : صار ذا نجح . (٩) الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاة العظيمة

الشديدة ، وحفر فأكدى إذا صادفها فلا يمكنه الحفر ( وسأله فأكدى وجده مثلها ) ؛ وونيم أى فترتم وضعتم

(١٠) الغاية والمنتهى . (١١) الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً

وثلاثين إلى إحدى وخسين . (١٢) راث السهم يریشه ألزق عليه الریش كريشه ؛ والمراد يعينه ويساعده .

(١٣) يصلح . والشعب : الصدع . (١٤) حلّ الشيء : استحلّه .

استشرى<sup>(١)</sup> في دين الله ، فما برحت شكيمته<sup>(٢)</sup> في ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ  
بِفِنَائِهِ مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيد<sup>(٣)</sup>  
الجوانح ، شجى<sup>(٤)</sup> الشَّيخ ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدانها ، يسخرون منه ويستهنئون  
به « الله يستهنى بهم ، ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون »<sup>(٥)</sup> فأكبرت ذلك رجالات  
من قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت سهامها<sup>(٦)</sup> ، وامتثلوه<sup>(٧)</sup> غرضاً ، فما فلوا له صفاة<sup>(٨)</sup> ،  
ولا قصفوا له قناة ، ومرَّ على سيسانته<sup>(٩)</sup> ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه<sup>(١٠)</sup> ، ورست  
أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا<sup>(١١)</sup> وأشتاتا ، اختار الله لنيبه  
ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه<sup>(١٢)</sup> ، ومدَّ  
طنبه<sup>(١٣)</sup> ، ونصب حباله ، وأجلب<sup>(١٤)</sup> بجيله ورجله ، واضطرب حبل الإسلام ،  
ومرج<sup>(١٥)</sup> عهده ، وماج أهله ، وبغى الفوائل ، فظنت رجال أن قد أكتبت<sup>(١٦)</sup>  
أطاعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدیقُ بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ،

(١) غضب ولج .

(٢) الشكيمة الأنفة وفي اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبي لاينقاد .  
(٣) الوقيد : الصريع والشديد المرض المشرف . (٤) الشجى : الحزين ، والشجى : صوت البكاء  
تشجى الباكي ينشج كجلس غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب . (٥) العمه بفتح الحين التردد في الضلال .  
(٦) فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . (٧) امتثلوه : مثلوه .  
(٨) الحجر الصلد : الضخم . (٩) شدته . حمله على سب سبائه الحق أى على حده ، والسبباء : عظم  
الظهر ، والعرب تضربه مثلاً لشدة الأمر . (١٠) جران البعير : مقدم عتقه من مذبحه إلى منحره .  
(١١) جمع رسل بفتح الحين ، وهو القطيع من كل شيء . (١٢) فمطاهه . (١٣) حبل طويل يشد به  
سرادق البيت أو الوتد . (١٤) أجلب : صاح ، والجيل : الخيالة ؛ ومنه « يا خيل الله اركبى »  
والرجل : اسم جمع راجل كالصاحب والركب ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرى ورجلك بكسر  
الجيم وضمها .

(١٥) المرج : بفتح الحين الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب ( وإنما يسكن مع المهرج ) .

(١٦) أكتب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم النون وهى الفرصة .



جَمَعَ حَاشِيَتَيْهِ<sup>(١)</sup> ، وَرَفَعَ قُطْرِيَهُ<sup>(٢)</sup> ، فَردَّ رَسَنَ<sup>(٣)</sup> الإِسْلَامِ عَلَى غَرْبِهِ<sup>(٤)</sup> ، وَلمَّ<sup>(٥)</sup> شَعَثَهُ بِطَبِهِ ، وَانْتَشَ<sup>(٦)</sup> الدِّينَ فَنَعَشَهُ ، فَلَمَّا أَرَّاحَ<sup>(٧)</sup> الحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ ، وَقَرَّرَ الرُّعُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا<sup>(٨)</sup> ، وَحَقَنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبِهَا<sup>(٩)</sup> ، أَتَتْهُ مُنِيَّتُهُ ، فَسَدَّ ثُلْمَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ ، وَشَقِيقِهِ فِي السَّيْرِ وَالْمَعْدَلَةِ ، ذَاكَ ابْنَ الخَطَّابِ ، فَاللهُ دَرَّ أُمَّ<sup>(١٠)</sup> حَمَلَتْ بِهِ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ، لَقَدْ أَوْحَدَتْ<sup>(١١)</sup> بِهِ ، فَفَتَحَ<sup>(١٢)</sup> الكُفْرَةَ ، وَدَيَّخَهَا<sup>(١٣)</sup> ، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَدْرَ مَدْرَ<sup>(١٤)</sup> ، وَبَعَجَ<sup>(١٥)</sup> الأَرْضَ وَبَجَّهَا<sup>(١٦)</sup> ، فَقَاءَتْ أَكْغَلَهَا<sup>(١٧)</sup> وَلَفِظَتْ خَبَأَهَا ، تَرَأَمَهُ<sup>(١٨)</sup> وَيَصْدِفُ<sup>(١٩)</sup> عَنْهَا ، وَتَصَدَّى<sup>(٢٠)</sup> لَهُ وَيَأْبَاهَا ، ثُمَّ وَزَعَ فِيهَا فِيئَهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحَبَهَا ، فَأَرُونِي مَاذَا تَرْتُونَ ، وَأَيَّ يَوْمِي أَيْ تَنْقِمُونَ ، أَيُّومَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ أَمْ يَوْمَ ظَلَمْتَهُ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ<sup>(٢١)</sup> ؟ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِسْكُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهَا ، فَقَالَتْ : أُنشِدُكُمْ اللهُ هَلْ أَنْكَرْتُمْ مِمَّا قُلْتُمْ شَيْئًا ، قَالُوا : اللهُمَّ لَا

( صبح الأعرشى ١ : ٢٤٨ ، والمعقد الفريد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠ )

- 
- (١) حاشية كل شيء : جانبه وطره . (٢) القطر : الناحية . (٣) الحبل .  
(٤) الغرب : حد الشيء . (٥) انتشل ، ونعشه الله كأنه شه ، ونعشه : رفعه .  
(٦) أراح على فلان حقه : رده عليه . (٧) السكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .  
(٨) جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . (٩) الدر : اللبن والنفس والعمل .  
(١٠) أوحدت المرأة : ولدت واحدا ، أى جاءت به منفردا لا نظير له . (١١) أذل وقهر .  
(١٢) داخ البلاد ودوخها وديخها : قهرها واستولى على أهلها . (١٣) تفرقوا شذر مذر : ذهبوا في كل وجه . (١٤) شقها : كناية عن الفتح . (١٥) قهر أهلها واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك . (١٦) الأكل : ما يؤكل ؛ أى أخرجت خيراتها . (١٧) تمطف عليه ، ويصدف أى يعرض . (١٨) تعرض . (١٩) أى فيما يصلحكم فولى عليكم عمر .

## ٧٤- رثاؤها لآيها

لما توفى أبو بكر رضى الله عنه ، وقفت عائشة على قبره فقالت :

« نَصَرَ<sup>(١)</sup> الله وجهك يا أبتِ ، وشكر لك صالحَ سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُدلاً  
يُادبارك عنها ، وللآخرة مُعزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلُّ الحوادث بعد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم رُزوك ، وأعظم المصائب بعده فَقْدُكَ ، إن كتاب الله ليمدُّ بحسن الصبر  
فيك حُسْنَ العَوْضِ منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيهِ<sup>(٢)</sup>  
بالاستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا ، لقد قتت بأمر الدين ، لما وهى شعبه<sup>(٣)</sup> ،  
وتفاقم صدَّعه<sup>(٤)</sup> ، وَرَجَفَتْ<sup>(٥)</sup> جوانبه ، فعليك سلام الله توديع غيرِ قالية<sup>(٦)</sup> لحياتك ،  
ولا زارية<sup>(٧)</sup> على القضاء فيك . »

( زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العقد الفريد ٢ : ٧ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والتبيين ٢ : ١٦٠ )

(١) من النصرة والنصارة بفتح النون وهى الحسن .

(٢) أطلب قضاءه . (٣) وهى ضعف ، والشعب الجمع . (٤) الصرع : الشق .

(٥) اضطربت . (٦) مبنضة . (٧) عاتبة ولأئمة .

# خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

## ٧٥ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :

« إنما مثل العرب مثل جمل أنف<sup>(١)</sup> اتبع قائده فليُنظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فوَرَب الكعبة لأحملهم على الطريق » . ( تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ )

## ٧٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صعد المنبر فقال :

« ما كان الله ليراني أرى نفسى أهلا لجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تُعَرَفُوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله إنه لم يَبْلُغْ حَقَّ ذى حَقِّ أن يطاع فى معصية الله ، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله

(١) أنف البعير : اشتكى أنفه من البرة فهو أنف وأنف ؛ وفى الحديث : « المؤمن كالجمال الأنف إن

قيد انقاد ؛ وإن استنخ على صخرة استناخ » وذلك للوجع الذى به فهو ذلول منقاد .

بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغنيتُ عَفَفْتُ ، وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف ، تَقَرُّمٌ <sup>(١)</sup>  
البهمة <sup>(٢)</sup> الأعرابية ، القضم لا الخضم <sup>(٣)</sup> .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢)

## ٧٧ — خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عزَّ  
وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم  
عليكم ، وأشدكم استضلاعاً <sup>(٤)</sup> بما ينوب من مهمم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكني  
عمرٌ مهمماً مُحزناً انتظاراً موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ،  
وبالسير فيكم كيف أسير ، فربِّي المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم  
يتداركه الله عزَّ وجل برحمته وعونه وتأيدته . »

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٤)

## ٧٨ — خطبة له

ثم خطب فقال :

« إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَ وَلاَئِي أَمْرِكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بَحَضَرْتُمْ لَكُمْ ، وَإِنِّي  
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَجْرُسْتِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ

(١) تقرر الصبي أكل أكلا ضعيفا ، وذلك في أول أكله . (٢) البهمة : أولاد الضأن والمز

والبقر . (٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بأقصى الأضراس .

(٤) الذي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

فقسّمكم كالذي أمرني به ، وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، ولن  
يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلق شيئاً إن شاء الله ، إنما العظمة لله عز وجل ،  
وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغيّر منذ ولي ، أعقل الحق من  
نفسى ، وأتقدّم وأبين لكم أمرى ، فأبما رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة ، أو عتب  
علينا فى خلق فليؤذنى ، فأبما أنا رجل منكم ، فعليكم بتقوى الله فى سرّكم وعلانيّتكم  
وحرّماتكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحمل بعضهم بعضاً على أن  
تحموا إلى ، فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ،  
عزيز على عنّتكم ، وأنتم أناس عامّةكم حصر فى بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فيه  
ولا ضرع ، إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا  
مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ، ومطلع على ما يحضرتى بنفسى إن شاء الله ، لا أكلمه  
إلى أحد ، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للامة ، ولست أجعل  
أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ١٢٤)

## ٧٩ — خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربه : وخطب إذ ولى الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،

ثم قال :

«بأيها الناس ، إني دايع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليّني لأهل طاعتك ، بموافقة

الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك ، وأهل

الدعارة<sup>(١)</sup> والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيح ، فسخني

في نوائب المعروف ، قَصْدًا من غير سَرَفٍ ولا تَبْذِيرٍ ولا رِيَاءٍ ولا سُمْعَةٍ ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خَفَضَ الْجَنَاحِ ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ .  
 اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها ، والقوة عليها ، بالنية الحسنة التي لا تسكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبرِّ والتقوى ، وذكّر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوعَ فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسي ، وإصلاح الساعاتِ والحذرَ من الشُّبُهَاتِ ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهمَ له ، والمعرفةَ بمعانيه ، والنظرَ في عجائبه ، والعملَ بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .»

(المقد الفريد ٢ : ١٣٣)

## ٨٠ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأمّلون ما لا تُدرّكون ، وأنتم مؤجّلون في دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أسرَّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلائقته ، فأظهِرُوا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسراير ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننّا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشحِّ شُعبَةٌ من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أيها الناس أطيّبوا متواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القبايطي<sup>(١)</sup> فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لوددتُ

(١) القبايطي (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القبايطي بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب

كثبان بيض رفاق كانت تعمل في مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشف الثوب يشف رق فحكي ماتحته ، وتوله : فإنه يصف أي ماتحته من أجزاء البدن ويحدها لرقته وطراوته

أن أنجو كغافاً لا لى ولا على ، وإنى لأرجو إن مُعِرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ؛ وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولتقليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الختوف ، يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعيداً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاً ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

## ٨١ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إن الله سبحانه وبجمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً ، لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامّة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ، وحملكم في البرّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ، ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بنى آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصّها وعوامّها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قيس ماوصل إليه منها بين الناس كلهم أنعمهم شكرها ، وفدّحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مستخلفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان ، أمة مستعبدة للإسلام وأهله ،

يتجرون لكم ، تستصفون<sup>(١)</sup> معايشهم وكذا منحهم وَرَشَحَ جباههم ، عليهم المثونة ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، قد ملأ الله قلوبهم رعبا ، فليس لهم مَعْقِلٌ يَلْجِثُونَ إِلَيْهِ ، ولا مَهْرَبٌ يَتَّقُونَ بِهِ ، قد دَهَمَهُمْ جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رَفَاغَةٍ<sup>(٢)</sup> العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدَّ الثغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فما عسى أن يباغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وذِكْرُ الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدرُ قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها ، إلا بعبود الله ورحمته ولطفه . فسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارعة إلى مرضياته . فاذكروا عباد الله بلاء الله عندهم ، واستتموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وَفَرَادَى فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِمُوسَى : « أَخْرِجْ قَوْتَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ » وَقَالَ لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ، ولكنتم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة . فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم . غير أنه ثقة لكم في آخرتكم ؛ التي إليها المعاد وَالْمُنْقَلَبُ ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرى أن تَشِحُّوا على نصيبكم منه ، وأن تَظْهِرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ فَبَلَهُ<sup>(٣)</sup> ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولمن شاء أن يجمع له ذلك منكم . فأذكركم الله الخائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله

(١) استصنى الشيء : أخذ منه صفوه .

(٢) رفع عيشه ككرم رفاغة : اتسع ، والرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب والسعة .

(٣) بله : اسم فعل بمعنى دع واترك ، فإبعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فإبعدها مجرور

بالإضافة ، واسم مرادف لكيف فإبعدها مرفوع بالابتداء .



فَعَمِلْتُمْ لَهُ ، وَقَسَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَجَعَلْتُمْ مَعَ السَّرُورِ بِالنِّعَمِ خَوْفًا لَزْوَالِهَا وَلَا تَنْتَقِلُهَا ، وَوَجَلًا مِنْ تَحْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْلَبَ لِلنِّعْمَةِ مِنْ كِفْرَانِهَا ، وَإِنَّ الشُّكْرَ أَمْنٌ لِلغَيْرِ ، وَنِعْمًا لِلنِّعْمَةِ ، وَاسْتِجْلَابَ لِلزِّيَادَةِ ، وَهَذَا اللَّهُ عَلَى مَنْ أَمَرَكُمْ وَنَهَىكُمْ وَاجِبٌ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٥)

## ٨٢ - خطبة له

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَلْيَأْتِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ ابْنَ جَبَلٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَازِنًا وَقَاسِمًا ، إِنِّي بَدَأْتُ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَعْطَيْتُهُمْ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ مِنْ أَسْرَعِ إِلَى الْهِجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْهِجْرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ الْعَطَاءُ ، فَلَا يَلُومَنَّ رَجُلًا إِلَّا مُنَاحَ رَاحِلَتِهِ ، إِنِّي قَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتَلَيْتُ بِكُمْ ، وَابْتَلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكُلُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَلَنْ أَحْسِنُوا لِأَحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أَسَاءُوا لِأَسْأَأَنَّ بِهِمْ » . (العقد الفريد ٢ : ١٣٢)

## ٨٣ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى

عدونا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلْنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكُمْ الْوَعْدَ ، بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ،  
وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي ، وَكُفِّرَ النِّعْمَةَ ، فَقَلَّمَا كَفَرُوا قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ ، وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ،  
إِلَّا سُلِبُوا عِزَّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،  
وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ، وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا<sup>(١)</sup> وَنَصَرَهَا وَشَرَفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ  
عَلَى آيَاتِهِ ، جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .  
(المقد الفريد ٢ : ١٣٢)

## ٨٤ - خطبة له

وخطب عمر الناس فقال :

« والذي بعث محمدا بالحق لو أن جلا هلك ضياعا بشط الفرات ، خشيت أن يسأل  
الله عنه آل الخطاب . »

قال أبو زيد « آل الخطاب » يعني نفسه ما يعني غيرها . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨)

## ٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى عليَّ حينٌ ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله  
وما عنده ، ألا وإنه قد خيَّلَ إليَّ أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ،  
ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل ،  
وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فإنما أعرّفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خيراً ظنننا به خيراً ، وأنيننا به عليه ،

(١) الفلج : الظفر والنقوز .

ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا ، وأبغضنا عليه ، أفدعوا<sup>(١)</sup> هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طلعة<sup>(٢)</sup> وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرٍّ غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرِيء<sup>(٣)</sup> ، وإن الباطل خفيف وبِيء<sup>(٤)</sup> ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوةً ، وشهوة ساعةٍ أورت حزنًا طويلًا .

وفي رواية صاحب العقد : « ألا وإنى إنما أبعث عمالي ليعلموك دينكم وسنتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذي نفسى بيده لأقصنكم منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت إن بعثت عاملاً من عمالك ، فأدب رجلاً من رعيتك فضر به ، أتقصه منه؟ قال : نعم والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . »

وفي رواية الطبرى :

وخطب عمر الناس يوم الجمعة فقال :

« اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار ، أنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، وأن يقيموا فيهم فيهم ، وأن يعدلوا ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلىّ . »

« يأبىها الناس : إنى والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أباركهم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموك دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه . »

فوثب عمرو بن العاص فقال :

يا أمير المؤمنين : رأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك اتقصنه منه ؟ قال : إى والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ، وكيف

(١) قلعه كمنه : كفه . (٢) نفس طلعة : تكثر التطلع إلى الشيء . (٣) حميد العاقبة .

(٤) وخيم العاقبة .

لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوا حقوقهم فكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » .

( البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢ )

وتاريخ الطبرى ٥ : ١٩ )

## ٨٦ - خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة<sup>(١)</sup> بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبار رجاله ، فإنك تقول : ( وَقَوْلِكَ الْحَقُّ ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفارا ، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضاللة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أئتمهم بغيرائك ، قبل أن يفتنوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

فأبرحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطلق الناس بالعباس يقولون :

( العقد الفريد : ١٣٢ )

« هنيئا لك يا ساقى الحرمين » .

(١) في السنة الثامنة عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسنى إذا ريحت ترابا

كالرماد ؛ فسمى ذلك العام عام الرمادة ( الطبرى ٤ : ٢٢٣ ) .

## ٨٧ - خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر

وبلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغضبًا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يُمدّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أخرج من السماء فتخطفنى الطير ، أحب إلى من أن يكون رأيي هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . أيها الناس : أن أكثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعد الصديق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . والله أيها الناس : لو منعوني عِقالاً<sup>(١)</sup> لجاهدتهم عليه ، واستعنت عليهم الله وهو خير معين » ثم نزل .

(تهذيب الكمال ١ : ٨)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، أو المراد به الجبل مبالغة في الشدد .

# خطب الفتوح في عهد عمر

## في فتح فارس

كان المُثَنَّى بن حارثة الشَّيبَانِي أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فألفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندَّبَ الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة النجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

## ٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يعظمنَّ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تَبَحَّحْنَا<sup>(١)</sup> ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقِّي السَّواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولما إن شاء الله ما بعدها .

## ٨٩ - خطبة عمر رضي الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :  
« إن الحجاز ليس لكم بدار إلاَّ على النُّجْمَةِ<sup>(٢)</sup> ، ولا يقوى عليه أهله إلاَّ بذلك ،

(١) تبحيح : تمكن في المقام والحلول كيبحيح ، والدار توسطها . (٢) طلب الكلا في موضعه .

أين الطُّرَّاءُ<sup>(١)</sup> المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُعِز نَاصِرِهِ ، وَمُوَلِّي أَهْلِهِ مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون ... ؟

فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عَلَيْهِمُ أَوْ لَهِمُ انْتِدَابًا<sup>(٢)</sup> وهو أبو عبيد وقال له :

« اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تدبىز ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلاَّ الرجل المكيث<sup>(٣)</sup> الذي يعرف الفرصة والكفّ » .  
( تاريخ الطبرى ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١ )

## ٩٠ - وصية عمر لأبي عبيد بن مسعود

وتقدم عمر إلى أبي عبيد بن مسعود فقال :

« إنك تقدم على أرض المسكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلوه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ، ولا تفشين سرك ، فإن صاحب السر - ماضبطه - متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضييعه كان بمضيعة » .  
( تاريخ الطبرى ٤ : ٦٦ )

## ٩١ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، ليُخَيِّبَ بِهَا

(١) جمع طارئ ، من طراً عليهم كنع أتاها من مكان أو خرج عليهم منه فجأة .

(٢) ندب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . (٣) الرزين .

القلوب ، فإنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يُحييها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتباشيرَ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهن ، واللين . وأما التباشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسَّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصانَع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فإن من لم يكنه الكفاف ، لم يُغنّه شيء ، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع الدعاء عنه ، فَأَنْهَوْا شَكَاتِكُمْ إِلَيْنَا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يبلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَمَتِّع .  
( تاريخ الطبري ٤ : ٨٥ )

## ٩٢ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمَّره على حرب العراق فقال :

« يَا سَعْدُ سَعَدَ بَنِي وَهَّيْب ، لَا يُغْرِّكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ، فَالْإِنْسَانُ شَرٌّ يَفْهَمُ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عِظَتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .  
( تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ؛ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠ )

## ٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرَّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كربه ،



لا يَخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّدُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِحُ بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَقَادًا<sup>(١)</sup> ، فَمَتَّادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرَ الصَّبْرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لِكَ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهِ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ بِإِنْشَاءِ ، مِنْهَا السَّرَّ ، وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَمُّهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السَّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّحَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحِبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّيْبُهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغْضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنَزَلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنَزَلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

## ٩٤ - وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد .

« أما بعد : فإنِّي آمركُ ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حال ، فإن تقوى الله أفضلُ المدة على العدو ، وأقوى المكيِّدة في الحرب ، وآمركُ ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتِراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ اللَّهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعَدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصَرُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَقْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفَظَةً مِنْ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعْصَايِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١) المتاد : المدة .

ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنَا شَرُّ مِنَّا ، فلن يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرُّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاحِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْجُوسِ ، فَبَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَشَّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبَهُمْ ، وَلَا تُتَّصَّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرَفَّقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّقَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّةَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَاطِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ<sup>(١)</sup> ، وَأَقَمَ بَنُ مَعَكِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةٌ يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ<sup>(٢)</sup> أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحَّ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَتَّقَى بِدِينِهِ ، وَلَا يَزُورُ<sup>(٣)</sup> أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنَّ لَهُمْ حَرَمَةً وَذِمَّةً ابْتِلِيَتْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتُلُوا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظَلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَادِّكِ<sup>(٤)</sup> الْعِيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصْحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ السَّكْذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَّقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَائِعَ ، وَتَبْتَ السَّرَايَا<sup>(٥)</sup> بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَائِعَ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنَقَّ<sup>(٦)</sup> لِلطَّلَائِعِ أَهْلَ الرِّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَحْيِرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنَّ لِقَا عَدُوًّا كَانَ أَوْلَى مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصَّ بِهَا أَحَدًا بَهْوَى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرُ مَا حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ

(١) الكراع من كل شيء: طرفه واسم يجمع الخيل .

(٢) رمه يرمه : أصلحه . (٣) رزاه ماله : أصاب منه شيئاً . (٤) أذكى عليه العيون :

إذا أرسل عليه الطلائع . (٥) جمع سرية ، وهي من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة .

(٦) تنقاه وانتقاه : اختاره .

خاصتك ، ولا تبعثن طليمة ، ولا سرية ، في وجهٍ تتخوف فيه غلبةً أو ضيعةً ونكابةً ،  
فإذا عاينت العدو ، فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك  
وقوتك ، ثم لاتعاجلهم المناجزة ، مالم يستكبرهك قتال ، حتى تبصر عورةَ عدوك  
ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك ، كصنعه بك ، ثم أذك  
أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتني بأسير ليس له عقد<sup>(١)</sup>  
إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولى النصر  
لكم على عدوكم ، والله المستعان .

(المقد الفريد ١ : ٤٠)

## ٩٥ - وصيته للمجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الأوية :

« بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ،  
ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب  
المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور<sup>(٢)</sup>  
ولا تقتلوا هراماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن<sup>(٣)</sup>  
الغارات .

(المقد الفريد ١ : ٤٠)

(١) عهد .

(٢) الغلبة .

(٣) شن الغارة عليهم : صبا من كل وجه .

## ٩٦ - وصية عمر ليعلى بن أمية

في إجلاء أهل نجران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال :

« اتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلبى منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أنا نُجلبهم بأمر الله ورسوله ألا يُترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضا كأرضهم إقرارا لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٦٢)

## ٩٧ - خطبة لعمر

ولما انتهى إلى عمر قتل أبي عبيد بن مسعود نادى في المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى صرارا فمسك به ، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس واستشار ذوى رأى فأشاروا عليه أن يقيم ويبعث رجلا فقام في الناس فقال :

« إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله ، فألف بين القلوب ، وجعلهم فيه إخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره . وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا (وأمرهم شورى بينهم) بين ذوى رأى منهم ، فالناس تبع لمن قام

بهذا الأمر ، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم مارأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم .

يأبها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمتُ ومن خلقتُ » .  
( تاريخ الطبري ٤ : ٨٣ )

### ٩٨ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقال المثنى بن حارثة وهو على قتال فارس : من يتبع الناس إلى السبب ؟ فقام جرير بن عبد الله البجلي في قومه فقال :

« يا معشر بجيلية : إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النفل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربع خمسة نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ، ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه ، ونيةً إلى ما ترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسينيين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة » .  
( تاريخ الطبري ٤ : ٧٦ )

### ٩٩ - خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات

وخطب سعد بن أبي وقاص يوم أرمات<sup>(١)</sup> ( سنة ١٤ هـ ) فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف » قال الله جل ثناؤه :

(١) هو اليوم الأول من أيام القادسية .

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ،  
إن هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها  
وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها وتجبونها وتسبونها إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب  
الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة  
وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ،  
ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا  
آخرتكم .  
(تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

### ١٠٠ - خطبة عاصم بن عمرو

وقام عاصم بن عمرو فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون  
منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطنن فلصمكم أموالهم  
ونسأؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وإن خرتم وفشلتم - والله لكم من ذلك جارٌ وحافظ - لم  
يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تعودوا عليهم بعأدة هلاك ، الله الله ، اذكروا  
الأيام وما منحكم الله فيها ، أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس<sup>(١)</sup> قفار ليس فيها خمر<sup>(٢)</sup>  
ولا وزر يعقل إليه ويمتنع به ؟ اجملوا همكم الآخرة .  
(تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

### ١٠١ - خطبة طليحة بن خويلد الأسدي

وحمل أصحاب الفيلة من جيش الفرس على المسلمين ، وكادت بجيلة أن تؤكل ، فرت  
عنها خيلها نفارا ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا<sup>(٣)</sup> عن بجيلة ، وقام طليحة بن خويلد  
الأسدي في قومه حين استصرخهم سعد فقال :

(١) البسيس : القفر . (٢) الحمر : ماوارك من شجر وغيره . (٣) دافعوا عنها .

« يا عشيرته : إن المنوّه باسمه الموثوقُ به ، وإن هذا لو علم أن أحداً أحقُّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، ابتدئوهم الشّدّة ، وأقدموا عليهم إقدام اللبوث الحربيّة<sup>(١)</sup> فإنما تُسميم أسداً لتفعلوا فعله ، شدّوا ولا تصدوا وكروا ولا تفروا ، لله درٌّ ربيعة ! أى فرى يفرون ، وأى قرن يُفنون ! هل يوصل إلى مواقفهم ؟ فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ، شدّوا عليهم باسم الله . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ١١٨)

## ١٠٢ - الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :

« يا بنى ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله غيره ، إنكم لبنور رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت<sup>(٢)</sup> حسبكم ، ولا غيّرت<sup>(٣)</sup> نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عزّ وجلّ : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) فإذا أصبحتم غداً ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين . »

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مرا كزهم ، فتقدّموا واحداً بعد واحد ، يُنشدون الأراجيز ، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقرّ رحمته . فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائة درهم ، حتى قبض وماتت الخنساء .

(خزانة الأدب : ١ ، ٣٩٥)

(١) حرب : كليب واشتد غضبه فهو حرب . (٢) التهجين : التقييح .

(٣) غيره : لطفه بالفبار ، أى دنست .

### ١٠٣ — خطبة عتبة بن غزوان

وفي سنة ١٤ هـ وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره بنزلها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم ، فرفعوا له منبرا وقام يخطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء<sup>(١)</sup> مُدْبِرَةً ، وقد آذنت أهلها بِصَرْمٍ<sup>(٢)</sup> ، وإنما بقي منها صُبابَةٌ<sup>(٣)</sup> كَصُبابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبُهَا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلْتَقَى في النار من شفيرها<sup>(٤)</sup> ، فَيَهْوِي فيها سبعين خريفاً<sup>(٥)</sup> ، ولجهم سبعة أبواب ما بين البابين منها مَسِيرَةٌ خُمِيسَاةٌ سَنَةٍ ، ولتأتين عليها ساعة وهي كظيظ<sup>(٦)</sup> بالزحام ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، مائنا طعاماً إلا ورقُ البَشَامِ<sup>(٧)</sup> ، حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمره ، فشققتها بيني وبينه نصفين ، والتقطت بُدَّةً فشققتها بيني وبينه ، فَأَنْزَرْتُ بنصفها ، وَأَنْزَرْتُ بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إلا تناسختها<sup>(٨)</sup> جَبْرِيَّةٌ ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً ، وفي أعين الناس صغيراً ، وستجربون الأمراء من بصدى ، فتعرفون وتنكرون . »

(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٩٠ والعقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٧ ،

والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨ )

(١) السريمة الماضية التي لا يتعلق بها شيء . (٢) آذنت : أعلمت ، والصرم : القطع .

(٣) الصبابة : بقية الماء في الإناء . (٤) الشفير : حرف كل شيء .

(٥) سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . (٦) من كظه الطعام : ملاءة حتى لا يطيق النفس ، ورجل كظ وكظيظ ومكظوظ تهبطه الأمور حتى يمجز عنها . (٧) البشام : شجر عطر الرائحة يستاك به .

(٨) في الحديث « لم تكن نبوة إلا تناسخت » أي تحولت من حال إلى حال ، يعني أمر الأمة وتغاير

أحوالها ، والجبرية الجبروت .



## ١٠٤ - خطبة لسعد بن أبي وقاص

ولما نزل سعد بهر سير - وهي المدينة الدنيا - طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى (على نهر دجلة) فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن ، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفاكموه أهل الأيام ، وعطلوا نفورهم ، وأفنوا ذاتهم . وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . »

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

واقترح دجلة وفتح المدينة القصوى ( سنة ١٦ هـ ) . ( تاريخ الطبري ٤ : ١٧٠ )

## ١٠٥ - خطبة عمر

ولما تجمعت جموع الفرس بنهاوند كتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس وقام عمر على المنبر خطيبا فأخبرهم الخبر واستشارهم وقال :

« هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد همت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم ، ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ<sup>(١)</sup> بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأي ، أفن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه ، حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفرهم ثم أكون

(١) فشغه كمنه : علاه حتى غطاه .

لهم رداء حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب ، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم  
في بلادهم ليتنازعوها ملكهم » .

فقام عثمان بن عفان ورجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فتكلموا كلاما فقالوا :

« لا نرى ذلك ، ولكن لا يفيعن عنهم رأيك وأثرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه  
العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فضّ جموعهم ، وقتل ملوكهم ، وباشر من حروبهم  
ما هو أعظم من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع  
لهم » . ( تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٧ )

## ١٠٦ - خطبة لعلی

وقام على بن أبي طالب فقال :

« أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي ، وفهموا ما كتب به إليك ، وإن هذا الأمر  
لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ، هو دينه الذى أظهره ، وجنده الذى أعزّه  
وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر  
جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحلّ تفرق ما فيه  
وذهب ، ثم لم يجتمع بمخايفه أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهى كثير عزيز  
بالإسلام ، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة ، فهم أعلام العرب ورؤسائهم ، ومن لم يحفل  
بمن هو أجمع وأحدّ وأجدّ من هؤلاء ، فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ، واكتب إلى أهل  
البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم » .

( تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٧ )

فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم .

## ١٠٧ - خطبة طلحة بن عبيد الله

وقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال :  
« أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور، وعَجَمَتِكَ<sup>(١)</sup> البلايا، واحتَنَكَّتِكَ<sup>(٢)</sup>  
التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا تنبؤ في يديك ولا نكل عليك، إليك  
هذا الأمرُ فرُّنا نُطع، وادعنا نجب، واحلنا نركب، ووفدنا نهد، وقُدنا نَنقَد، فإنك  
ولّى هذا الأمر، وقد بلوتَ وجربتَ واختبرت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله  
لك إلا عن خيار » ثم جلس .  
(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٨)

## ١٠٨ - خطبة عثمان بن عفان

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام عثمان بن عفان  
فتشهد وقال :  
« أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وتكتب  
إلى أهل اليمن فيسيروا من بينهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرَمين إلى المصرين : البصرة  
والكوفة ، فتلقى جميع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك .  
قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزا وأكثر يا أمير المؤمنين ،  
إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقيةً ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ، ولا تلوذ منها  
بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه »  
ثم جلس .  
(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٨)

(١) عجم العود : عضه ليعرف صلابته من خوره .

(٢) أحكمتك .

## ١٠٩ - خطبة علي بن أبي طالب

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام علي بن أبي طالب فقال :

« أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأمهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم ، سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخّصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك أمّ إليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، أقرّر هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق : فلتقم فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب ، فكان ذلك أشد لكليبهم وألبتهم<sup>(١)</sup> على نفسك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله أكره لسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكننا كنا نقاتل بالنصر .»

فقال عمر : أجل والله لئن شخّصت من هذه البلدة لتنتقضنّ على الأرض من أطرافها وأكنافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقنّ العرصة<sup>(٢)</sup> ، وليمدّهم من يدمهم ، وليقولنّ : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب : فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا ، قالوا أنت أفضل رأيا ، وأحسن مقدرة ، قال : أشيروا على به واجعلوه عراقيا ، قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق ،

(١) ألب إليه القوم : أتوه من كل جانب . (٢) إل الساحة .

وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكنتمهم ، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن  
لأول الأسنّة إذا لقيها غدا ، فقليل من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرّن المزني ،  
فقالوا : هو لها ، والنعمان يومئذ بالبصرة ، فولاه . ( تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨ )

## ١١٠ — خطبة النعمان بن مقرّن

ونشب القتال بين المسلمين والفرس ، وكان النعمان يسير في الناس على بردّون  
أحوى<sup>(١)</sup> قريب من الأرض فيقف على كل راية ويحمد الله ويثني عليه ويقول :

« قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم  
هَوَادِي<sup>(٢)</sup> ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ، ومتبع  
آخر ذلك أوله ، واذكروا ماضى إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ،  
فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه ؛ وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ،  
والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه  
من عدوكم ، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرّثة<sup>(٣)</sup> وما ترون  
من هذا السواد ، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم وبيضتكم ، ولا سوا ما أخطرتكم وما أخطروا ،  
فلا يكوننّ على دنياهم أحى منكم على دينكم ، واتق الله عبدٌ صدق الله وأبلى نفسه فأحسن  
البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين : إحدى الحسينين ، من بين شهيد حى مرزوق أو ففتح  
قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه  
وقرن نفسه ، وذلك من الملامّة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم  
مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا ، فإنى مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت التكبيرة

(١) وصف من الحوة وهى : حمرة إلى السواد .

(٢) أوائل جمع هاد .

(٣) الرّثة : ضعفاء الناس .

الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتهيأ للنهوض ،  
فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معا ، اللهم أعز دينك وانصر عبادك ،  
واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك » .

وزلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد . ( تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٢ )

# خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يَزْدَجِرْدَ ملك الفرس رجالا من أهل المنظرة<sup>(١)</sup> والرأى والجلد يدعونهم ، فاخترهم وأنفذهم إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بيده وبينهم فقال : سلمهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمناكم<sup>(٢)</sup> وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أحببت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

## ١١١ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلا صاروا فرقتين : فرقة تُقَارِبُهُ ، وفرقة تُبَاعِدُهُ ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصُّ ، فكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن يَنبِذَ إلى من خالفه من العرب ، وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مُكْرَهُ عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه ، من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يَلِينَا من الأمم ، فَنَدْعُوهُمْ إلى الإِنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حَسَنَ

(١) المنظر . (٢) من أجم الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم وانصرفنا عنكم .

الْحَسَنَ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ ، فَإِنَّ أَيْتِمَ فَأَمْرًا مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّهِ مِنْهُ ،  
الْجِزَاءُ<sup>(١)</sup> ، فَإِنَّ أَيْتِمَ فَالْمُنَاجِزَةَ ، فَإِنَّ أَجْبَتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَقْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ  
عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْجِعَ عَنْكُمْ وَأَشَانَكُمْ وَبِلَادِكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ  
قَبَلْنَا وَمَنْعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

\* \* \*

فقال يزيد جرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ  
ذاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ ، قد نوكلُ بكم قُرَى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ،  
ولا تطعمون أن تقوموا لهم ، فإن كان غرور لحقكم ، فلا يغرنكم منا ، وإن كان  
الجهد دعاكم ، فرضنا لكم قوتاً إلى خضبكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملكنا  
عليكم ملكاً يرفق بكم ، فقام المغيرة بن زرارة فقال :

## ١١٢ - خطبة المغيرة بن زرارة

أيها الملك : إن هؤلاء رهوسُ العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من  
الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف . ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ،  
ويفضخ الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جموعه لك ، ولا كل ما تكلمت  
به أجاوبك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسنُ بمنلهم إلا ذلك ، فخاوبني لأكون الذي  
أبلغك ، ويشهدون على ذلك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت  
من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل  
الخنافس ، والجعلان<sup>(٢)</sup> والعقارب والحيات فترى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنما هي ظهر  
الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل ، وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا

(١) الجزاء : جمع جزية . (٢) جمع جمل بضم ففتح : وهو الحرياء .



بعضاً ، وَيُفَيِّرَ بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا لَيَدْفِنُ ابنتهُ وهي حيةٌ كراهيةً أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرتُ لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نَعْرِفُ نسبه ، ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خيراً أرضنا ، وحسبه خيراً أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبيلتنا ، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها ، أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر ، فلم يجب أحدٌ أول من تَرَبَّبَ كان له ، وكان الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان ، فخذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنتُ إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدر كتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التي بها أجيئكم بعد الموت من عذابي ، ولأحلكم داري دار السلام ، فشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قُتِلَ منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدي وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتتجى نفسك .

فقال بزدرجرد : أتستقبلني بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثم قال : ائتوني بوقر<sup>(١)</sup> من تراب ، فقال احملاه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

( تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٣ )

(١) الوقر : الحمل الثقيل أو أعم .

## ١١٣ — مقال ربيعى بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربيعى بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزْجَانُ ( واسمه عبود من أهل الحيرة ) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخْرَجَ من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفْضَى إلى موعود الله ، قال وماموعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . »

( تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧ )

## ١١٤ — خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبه ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنه هو يصنعه والذي له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعظم السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضع فىكم وهو له دونكم ، وأما الذى ذكرت فىنا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصبرنا إليه ، والدنيا دُولٌ ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخاؤها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كان

شكركم يَقْصُرُ عما أوتيتم ، وأسَلَمَكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كان عظيم ما تتابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّقَ بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

### ١١٥ - خطبة المغيرة بن شعبه

لما اجتمعت جيوش المسلمين بنهاوند (سنة ٢١ هـ) وأميرهم النعمان بن مقرن المزني أرسل بُندارَ العليج إليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبه ، فأدخل إليه وترجم له قوله :

« إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأقذر الناس قدراً ، وأبعده داراً ، وما منهنى أن أمر هؤلاء الأساورة<sup>(١)</sup> حولي أن ينتظموك بالنشأب إلا تنجسوا لحيفكم ، فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نُحِلَّ عنكم ، وإن تابوا نُرِكَم مصارعكم . »

قال : فحمدت الله وأثنت عليه فقلت : « والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعمتنا . إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشد الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ، فوالله ما زلنا نعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله بالفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على ما في أيديكم ، أو نقتل بأرضكم . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٤)

(١) الأساورة : جمع أسوار ، والأسوار : بالضم والكسر قائد الفرس .

## ١١٦ - خطبة عمر

وغزا الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزيدجرد سنة ٢٢ هـ ثم أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفنوا إليه خزائن يزيدجرد وتراجعوا إلى بلادهم ، وبعث الأحنف بالخبر والغنائم إلى عمر بن الخطاب فجمع الناس وخطبهم فقال في خطبته :

« إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا إن الله قد أهلك ملك الجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئا يضر بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون .

ألا وإن المصريين من مسالحها<sup>(١)</sup> اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد ، وقد وغلوا في البلاد ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ، ومُتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تبدلوا ولا تُغَيِّرُوا فيستبدل الله بكم غيره ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تُتَوَّى إلا من قبلكم .

( تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٧ )

## ١١٧ - خطبة عثمان بن أبي العاص

ولما فتح عثمان بن أبي العاص إصطخر ( سنة ٢٣ هـ ) وجمع إليه ما آفاه الله على المسلمين خمسة ، وبعث بالخمس إلى عمر ، وقسم أربعة أخماس الغنم في الناس ،

(١) المسالِح : جمع مسلحة ، وهي الثغر .

وعنت الجند عن النَّهَاب ، وأدّوا الأمانة ، واستدقوا<sup>(١)</sup> الدنيا ، فجمعهم عثمان ثم قام  
فيهم وقال :

« إن هذا الأمر لا يزال مقبلا ، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يَنفُوا ،  
فإذا غلّوا رأوا ما يُنكرون : ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم » .

( تاريخ الطبرى ٥ : ٣ )

---

(١) رأوها دقيقة حقيرة .

# في فتح الشام

١١٨ - بين الروم ومعاذ بن جبل

وبعث الروم إلى أبي عبيدة أن « أرسل إلينا رجلا من صلحائكم نسأله عما تريدون ، وما تسألون ، وما تدعون إليه ، ونخبره بذات أنفسنا ، وندعوكم إلى حظكم إن قبلتم ، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل ، فاتاهم ، فقالوا للترجمان قل له :

« أخبرونا ما تطلبون ؟ وإلام تدعون إليه ؟ وما أدخلكم بلادنا ؟ وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم ببيعد ، وتركتم أرض فارس وقد هلك ملك فارس وهلك ابنه ، وإنما تملكهم اليوم النساء ونحن مديكنا حتى ، وجنودنا عظيمة كثيرة ، وإن اقتحمتم من مدائننا مدينة ، أو من قرانا قرية ، أو من حصوننا حصنا ، أو هزمت لنا عسكريا ، أظنتم أنكم قد ظفرتم بجماعتنا ؟ وأنكم قد قطعتم حربنا عنكم ؟ أو فرغتم ممن وراءنا منا ، ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض ! وأخبرونا لم تستحلون قتالنا ، وأنتم تؤمنون بنبيينا وكتابنا ؟ » .

فلما قالوا هذا القول وفسره الترجمان لمعاذ سكتوا ، فقال معاذ للترجمان : قد فرغوا ؟ قال له : نعم ، قال : فأفهمهم عني أن أول ما أنا ذا كر حمد الله الذي لا إله إلا هو ، والصلاة على محمد نبيي صلى الله عليه وسلم ، وأن أول ما أدعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا ، وأن تستنوا بسنة نبيينا صلى الله عليه وسلم ، وتكسروا الصليب ، وتجتنبوا شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن

أبيتم فأذوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ، ونكف عنكم ، وإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله عز وجل نحن قابله منكم ، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فهذا ما نأمركم به وما ندعوكم إليه .

وأما قولكم : « ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم بعيد ، وتركتم أهل فارس ، وقد هلك ملكهم » فإنني أخبركم عن ذلك : ما بدأنا قتالكم لأنكم أقرب إلينا منهم ، وإنكم عندنا جميعاً بالسواء ، وما جاءنا كتابنا بالكف عنهم ، ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه على نبينا صلى الله عليه وسلم فقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ) وكنتم أقرب إلينا منهم ، فبدأنا بكم لذلك ، وقد أتاهم طائفة منا وهم يقاتلونهم ، وأرجو أن يظفرهم الله ويفتح عليهم فينصر .

وأما قولكم : « إن ملكنا حتى ، وإن جنودنا عظيمة ، وإنا عدد نجوم السماء وحصى الأرض » وتوأسونا من الظهور عليكم فإن الأمر في ذلك ليس إليكم ، وإنما الأمور كلها إلى الله ، وكل شيء في قبضته وقدرته ، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وإن يكن ملككم هرقل فإن ملكنا الله عز وجل الذي خلقنا ، وأميرنا رجل منا ، إن عمل فينا بكتاب ديننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أقرناه علينا ، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنا ، وإن هو سرق قطعنا يده ، وإن زنى جلدناه ، وإن شتم رجلاً منا شتمه كما شتمه ، وإن جرحه أفاده<sup>(١)</sup> من نفسه ، ولا يحتجب منا . ولا يتكبر علينا ، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاءه الله علينا وهو كرجل منا .

وأما قولكم : « جنودنا كثيرة » فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض ، فإننا لا نثق بها ولا نتشكل عليها ، ولا نرجو النصر على

(١) أفضه .

عدونا بها ، ولكننا نتبرأ من الحول والقوة ، ونتوكل على الله عز وجل ، ونثق بربنا ، فكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها وأغناها ، وغلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وكم من فئة كثيرة قد أذلها الله وأهانها ، قال تبارك وتعالى : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

وأما قولكم « كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابتنا » فأنا أخبركم عن ذلك : نحن نؤمن بنبينا ونشهد أنه عبد من عبيد الله ، وأنه رسول من رسل الله ، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُنْ فَيَكُونُ ، ولا نقول إنه الله ، ولا نقول إنه ثانی اثنین ، ولا ثالث ثلاثة ، ولا إن الله والد ولا إن له صاحبة ولا ولداً ، ولا إن معه آلهة أخرى ، لا إله إلا هو ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وأنتم تقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فلو أنكم قتلتم في عيسى كما نقول ، وآمنتم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كما تجدونه في كتابكم ، وكما نؤمن نحن بنبينا ، وأقررتم بما جاء به من عند الله ، ووجدتم الله ، ما قاتلناكم ، بل كنا نسالمكم ونواليكم ونقاتل معكم عدوكم .

فلما فرغ معاذ من خطابه قالوا له : ما نرى بيننا وبينك إلا متباعدة ، وقد بقيت خصلة نحن نعرضها عليكم ، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم ، وإن أبيتم فهو شر لكم . نمطيكم البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وتمحوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا ، ونكتب عليكم كتاباً نسمى فيه خياركم وصلاحكم ، ونأخذ عهدكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه ، وعليكم بأهل فارس ققاتلهم ، ونحن معكم نعينكم عليهم حتى تقتلهم وتظهروا عليهم .

فقال معاذ : هذا الذي عرضتم علينا وتعطوناه كله في أيدينا ولو أعطيتهمونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وصفت لكم ما فعلنا .



فغضبوا عند ذلك وقالوا : نتقرب إليك وتتباعد عنا ؟ اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لنرجو أن نفرقكم في الجبال غداً ، فقال معاذ : أما الجبال فلا ، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا ، أولنخرجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون » وانصرف معاذ .

## ١١٩ - بين أبي عبيدة ورسول الروم

وانصرف معاذ إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا ، ثم أرسل الروم رسولا من قبلهم إلى أبي عبيدة فقال له : أنا عرض عليكم أمراً لكم فيه حظ إن قبيلتموه : نحن نعطيكم دينارين دينارين وثوباً ثوباً ، ونعطيك أنت ألف دينار ، ونعطى الأمير الذى فوقك - يعنون عمر - ألفي دينار ، وتنصرفون عنا ، وإن شئتم أعطيناكم أرض البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وخرجتم من مدائننا وأرضنا وبلادنا ، وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتاباً يستوثق فيه بعضنا من بعض بالأيمان المغلظة ليقومن به وليقين بما عاهد الله عليه .

فحمد الله أبو عبيدة وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« إن الله بعث فينا رسولا نبيا ، وأنزل عليه كتابا حكيا ، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم رحمة منه للعالمين ، وقال لهم : إن الله إله واحد ، عزيز حكيم ، على مجيد ، وهو خالق كل شيء وليس كمثل شيء ، وأمرهم أن يوحدوا الله الذى لا إله إلا هو ، ولا يتخذوا له صاحبة ولا ولداً ، ولا يتخذوا معه آلهة أخرى ، وأن كل شيء يعبده الناس دونه فهو خلقه ، وأمرنا صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أتيتم المشركين فادعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، وبالإقرار بما جاء من عند الله عز وجل ، فمن آمن وصدق فهو أخوكم فى دينكم ، له ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية حتى يؤدوها عن يديهم وهم صاغرون ، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية

فأقتلوهم وقاتلوهم فإن قتلكم المحتسب بنفسه شهيد عند الله ، وهو في جنات النعيم ،  
وقتل عدوك في النار .

فإن قبلتم ماسمتم مني فهو خير لكم ، وإن أبيتم ذلك فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا  
وهو خير الحاكمين .

فقال الرومي : قد أبيتم إلا هذا ؟ فقال له أبو عبيدة : نعم ، فقال له الرومي : أما والله  
على ذلك ، إنى لآنراكم تتمنون أنكم قبلتم منا دون ما عرضنا عليكم .  
(فتوح الشام ص ١٠٠)

### ١٢٠ — بين باهان وخالد بن الوليد

وبعث باهان أمير الروم إلى خالد بن الوليد أن القتي ، فأقبل إليه خالد ، فقال باهان :  
إن شئت فتكلم ، وإن شئت بدأتك فتكلمت ، فقال له خالد : فتكلم ،  
فقال باهان :

« الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء ، ومَلِكنا أفضل الملوك ، وأمتنا خير الأمم ،  
فلما بلغ هذا المكان ، قال خالد للترجمان : وقطع على صاحب الروم منطقه ثم قال :  
« الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبينا ، وبجميع الأنبياء ، وجعل الأمير الذي وليناه  
أمورنا رجلا كبعضنا ، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ، ولسنا نرى أن له على رجل  
من المسلمين فضلا ، إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر » ، والحمد لله الذي جعل أمتنا  
تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتقر بالذنب وتستغفر الله منه ، وتعبد الله وحده  
لا تشرك به شيئا » قل الآن ما بدا لك .

فاصفر وجه باهان ومكث قليلا ، ثم قال : « الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء  
عندنا ، وأغنانا من الفقر ، ونصرنا على الأمم ، وأعزنا فلا نذل ، ومنعنا من الضيم ،  
فلا يباح حرماننا ، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا ببطرين ولا مَرحين ولا

باغين على الناس ، وقد كانت لنا منكم يامعشر العرب جيران كُنَّا نحسِن جِوارهم ،  
وَنُعْظِم قَدْرهم ، وَنُقْضِل عليهم ، وَنَفِي لهم بالعهد ، وَخَيْرَناهم بلادنا ، ينزلون منها حيث  
شاءوا ، فينزلون آمنين ، ويرحلون آمنين ، وكنا نرى أن جميع العرب من لايجاورنا  
سيشكر لنا ذلك الذي أتينا إلى إخوانهم ، وما اصطنَعنا عندهم ، فلم يَرُعنا منكم  
إلا وقد فاجأتمونا بالخليل والرجال ، تقاتلوننا على حُصُوننا ، وتريدون أن تغلبونا على  
بلادنا ، وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عدداً ، وأعظم مَكيدة ،  
وأوفى جُنْداً ، ثم رددناهم عنها ، فلم يرجعوا عَنَّا إلا وهم بين قتيلٍ وأسير ، وأراد ذلك  
منا فارس ، فقد بلغكم كيف صنَع الله عزَّ جلَّ بهم ، وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم  
بأشد مما لقينا به فارس ، وأرادنا غيركم من أهل المشرق والمغرب من ذوى المنعة والعزِّ  
والجنود العظيمة ، فكلمهم أظفَرنا الله بهم ، وصنع لنا عليهم ، ولم تكن أمة من الأمم  
بأرقَّ عندنا منكم شأنًا ، ولا أصغر أخطارا<sup>(١)</sup> إنما جَلَّكم رِعاة الشاء والإبل ،  
وأهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء ، فأنتم تطمعون أن نجلى لكم عن بلادنا ؟ بئس  
ما طعمتم فيه منا ، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا - ونحن يتقى كل من حولنا من الأمم  
العظيمة الشأن الكثيرة العدد ، مع كثرتنا وشدة شوكتنا - إلا جهْدُ نزل بكم من جدوبة  
الأرض وقحط المطر ، وعِنتم في بلادنا وأفسدتم كل الفساد ، وقد ركبتم مراكبنا ، وليست  
كمرأ كِبكم ، وللبسم ثيابنا وليست كثيابكم ، وثياب الروم البيض كأنها صفايح الفضة ،  
وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم ، وأصبتم منا وملائم أيديكم من الذهب الأحمر والفضة  
البيضاء والمتاع الفاخر ، وقد لقيناكم الآن وذلك كله لنا ، فهو في أيديكم ، فنحن نسلمه  
لكم فاخرجوا به وانصرفوا عن بلادنا ، فإن أبت أنفسكم إلا أن تمحصوا وتشرَّهوا ،  
وأردتم أن تزيدكم من بيوت أموالنا ما يقوى به الضعيف منكم ، ويرى الغائب أن قد

رجع إلى أهله بخير ، فعلنا ، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ، ونأمر لك بمثلها ،  
ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار مائة دينار ،  
على أن توثقوا لنا بالأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا ثم سكت .

## ١٢١ — جواب خالد

فقال خالد رحمه الله : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، فلما فسر له الترجمان قوله : الحمد لله  
الذي لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ، ثم قال لخالد نعم ما قلت ، ثم قال خالد : وأشهد  
أن محمداً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فسر له الترجمان قال باهان : الله أعلم ،  
ما أدري ، لعله كما تقول ، فأخبر خالد الترجمان . ثم قال خالد رحمه الله :

« أما بعد : فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحریم والظهور  
على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، فنحن به عارفون ، وكل ما ذكرت من إنعامكم  
على جيرانكم منا ، فقد عرفناه ، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم ، وإصلاحكم  
كان إليهم وإحسانكم إليهم ، كان ذلك زيادة في ملككم وعزا لكم ، ألا ترون أن  
نلتهم أو شطرهم دخلوا معكم في دينكم فهم يقاتلوننا معكم ؟ .

وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والغنم ، فما أقل من رأيت واحداً منابكرهه ، ومالم  
يكن يكرهه منا فضل على من يفعله ، وأما قولكم : إنا أهل الصخر والحجر والبؤس  
والشقاء ، فخالفنا والله كما وصفته ، ما نتقي من ذلك ولا نتبرأ منه ، وكنتنا على أسوأ  
وأشد مما ذكرت ، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا ، وأدعوك إلى حظك  
إن قبلت ، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم ، أنزلنا الله — وله الحمد —  
منزلاً من الأرض . ليست به أنهار جارية ، ولا يكون به من الزرع إلا القليل ، وكل  
أرضنا المهامة<sup>(١)</sup> والقفار ، فكنتنا أهل حجر ومدار<sup>(٢)</sup> وشاء وبمير ، وعيش شديد ، وبلاء

(١) جمع مهمه : القفر . (٢) المدر : قطع الطين اليابس .

دائم لازم ، نقطع أرحامنا ونقتل خشية الإملاق أولادنا ، وبأكل قويتنا ضعيفنا ، وكثيرنا قليلنا ، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة<sup>(١)</sup> ، نعبد من دون الله أربابا وأصناما ، ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ونحن عليها مُكِبُونَ ، فبينما نحن كذلك على شفا<sup>(٢)</sup> حفرة من النار ، من مات من مات مشركا ، وصار إلى النار ، ومن بقى منا بقى كافراً مشركاً بربه ، قاطعاً لرحمه ، إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا وشرقاتنا وخيارنا وكرماننا وأفضلنا ، دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون دونه ، وقال لنا لا تتخذوا من دون الله ربكم إلهاً ولا ولياً ولا نصيراً ، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولداً ولا تعبدوا من دونه ناراً ولا حجراً ، ولا شمساً ولا قرماً ، واكتفوا به رباً وإلهاً من كل شيء دونه ، وكونوا أوليائه ، وإليه فادعوا ، وإليه فارغبوا ، وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وكل من زعم أن لله ولداً وأنه ثانی اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويدخلوا في الإسلام ، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها ، وهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فأعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يديهم وهم صاغرون ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وإن أبوا فقاتلوهم فإنه من قتل منكم كان شهيدا حياً عند الله مرزوقاً ، وأدخله الله الجنة ، ومن قتل من عدوكم قتل كافراً ، وصار إلى النار مخلداً فيها أبداً ، ثم قال خالد :

وهذا والله الذي لا إله إلا هو أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فعملنا وأمرنا به أن ندعو الناس إليه ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس ، فندعوكم إلى الإسلام ، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإلى أن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتقرؤوا بما جاء من عند الله

(١) هي الأشهر الحرم : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . (٢) حرف .

عزَّ وجلَّ ، فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الإسلام ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم  
فإننا نفرض عليكم أن تمطوا الجزية عن يدي وأنتم صاغرون ، فإن فعلتم قبلنا منكم وكففتنا  
عنكم ، وإن أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قومٌ هم أحرص على الموت منكم على  
الحياة ، فأخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فإنما الأرض لله يورثها من  
يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ثم سكت خالد .

فقال باهان : أمّا أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس من أن يترك دينه  
ويدخل في دينكم ، وأمّا أن تؤدّي الجزية — فتنفس الصعداء<sup>(١)</sup> وثقلت عليه وعظمت  
عنده — فقال : سيموت من ترى جميعاً قبل أن يؤدّوا الجزية إلى أحد من الناس ، وهم  
يأخذون الجزية ولا يمطونها ، وأمّا قولك : فأخرجوا حتى يحكمهم الله بيننا ، فلمعمرى ما جاءك  
هؤلاء القوم وهذه الجوع إلا ليحاكموك إلى الله ، وأمّا قولك : إن الأرض لله يورثها من  
يشاء من عباده فصدقت ، والله ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها ،  
إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها ، فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها ، وقد كانت قبل ذلك  
لقومٍ آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كُنّا قاتلناهم عنها ، فبرزوا على اسم الله فإننا  
خارجون إليكم » .  
(فتوح الشام ص : ١٧٩)

## ١٢٢ — خطبة عمرو بن العاص

وما نقض أهل الأزدن العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، قام عمرو بن العاص ،  
وجمع إليه من كان قبله من المسلمين :

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد فقد برئت ذمّة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن قدّم

(١) التنفس الطويل .

على رجل من أهل إيليا ، أو كان عنده لم يأتنا به ، ولم يرفعه إلينا ، ألا ولا يَبْقَيْنَ رجل من أهل عهدنا إلا تَهَيَّأ واستعد ، حتى يسير معي إلى أهل إيليا ، فإني أريد المسير إليهم ، والنزولَ بساحتهم ، ثم لا أزيِّلُهُمْ حتى أقتل مقاتلتهم ، وأسبي ذراريهم ، أو يؤذوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

(فتوح الشام ص ١٤٦)

### ١٢٣ - خطبة عمر

ولما حصر أبو عبيدة أهل إيليا ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحربه سأله الصلح على أن يكون عمر هو الذي يعطيهم العهد ، ويكتب لهم الأمان ، فأقبل عمر إلى الشام حتى انتهى إلى الجابية فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد الحميد ، الدافع الغفور الودود ، الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا .

أما بعد - فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن خيار أمتي الذين يلونكم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يُسَدِّشْهد عليها ، وحتى يحلف على اليمين ولم يُسألها ، فمن أراد بَجْبُوْحَةٍ<sup>(١)</sup> الجنة فليزِم الجماعة ، ولا يبالي اللهُ شدوْدَ من شد ، ألا لا يخلونَ رجل منكم بامرأةٍ إلا أن يكون لها محرماً فإن ثالثهما الشيطان »

(فتوح الشام ص ٢٢٦)

### ١٢٤ - خطبة عمر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشام ، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) وسطها .

« يا أهل الإسلام ، إن الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فإن العمل بالمعاصي كفرٌ للنعم ، وقاماً كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرغوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسُلط عليهم عدوهم » ثم نزل .  
( فتوح الشام ص ٢٣١ )

### ١٢٥ - خطبة لعمر

وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذى الحجة سنة ١٧ هـ ، وخطب حين أراد القبول فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« ألا إني قد وُلّيت عليكم ، وقضيت الذي علىّ في الذي ولّاني الله من أمركم إن شاء الله ، قَسَطْنَا<sup>(١)</sup> بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فنجّدنا لكم الجنود ، وهَيَّأْنَا لَكُمْ الفروج<sup>(٢)</sup> ، وبوَأْنَاكُمْ ووسّعنا عليكم ما بلغ فيئكم ، وما قاتلتم عليه من شأمكم ، وسمينا لكم أطعاكم ، وأمرنا لكم بإعطائكم أرزاقكم ومماونكم ، فمن عَلِمَ عَلِمَ شَيْءٌ يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِهِ فَبَلَّغْنَا نَعْمَلُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »  
( تاريخ الطبري ٤ - ٢٠٤ )

### ١٢٦ - خطبة عمر

ولما رجع عمر رضي الله عنه إلى المدينة ، استقبله الناس يهنئون بالنصر والفتح ، فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند المنبر ، ثم صعد المنبر فاجتمع الناس إليه ، فقام :



حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ،  
إِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَحْمَدُوهُ وَيُشْكِرُوهُ ، وَقَدْ أَعَزَّ دَعْوَتَهَا ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ،  
وَأَظْهَرَ قَلْبُجَهَا <sup>(١)</sup> ، وَنَصَرَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَشَرَّفَهَا وَمَكَّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَوْرَثَهَا  
بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْدِثُوا لِلَّهِ شُكْرًا يَزِيدَكُمْ ، وَاحْمَدُوهُ عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ  
يُدِيمُهَا لَكُمْ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » ثم نزل . (فتح الشام ص ٢٣٩)

## ١٢٧ - وصية أبي عبيدة للمسلمين

وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عمواس قد عمَّ أهل الشام (سنة ١٨ هـ) ومات فيه بشرٌ كثير ،  
ومات فيه أبو عبيدة رحمه الله .

ولما طعن أبو عبيدة وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه قال :

« إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا بَقِيتُمْ ، وَبَعْدَ مَا تَهْلِكُونَ ،  
أَفِيئُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا وَتَصَدَّقُوا ، وَحُجُّوا وَاعْتَمَرُوا ، وَتَوَاصَلُوا وَتَحَابُّوا  
وَاصدقوا أمراءكم ولا تغشؤهم ، ولا تلهيكم الدنيا ، فَإِنْ امْرَأُ لَوْ عُمِرَ أَلْفَ حَوْلٍ مَا كَانَ  
لَهُ بَدٌّ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَضْرَعِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لِلْمَوْتِ عَلَى نَبِيِّ آدَمَ  
فَهْمَ مَيِّتُونَ ، وَأَكْرَمُهُمْ مِنْهُمْ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ لِيَوْمِ مَعَادِهِ » ثم قال : يَا مَعَاذُ صَلِّ  
بِالنَّاسِ ، فَصَلِّ مَعَاذَ النَّاسِ ، وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ . (فتح الشام ص : ٢٤٠)

(١) الفلج : الفوز والظفر .

## ١٢٨ - خطبة معاذ بن جبل عند موت أبي عبيدة

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً ، فَإِنَّ عَبْدًا أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَرَّتَيْنِ بَدِينَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مِصَارِمًا<sup>(١)</sup> مَسْلَمًا فَلْيَلِيقْهُ ، وَلْيَصَالِحْهُ إِذَا لَقِيَهِ ، وَلْيَصَالِحْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ فَجَعْتُمْ بِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا أَزْعَمَ أَنْيَ رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَطُّ أَقْلَ عَمْرًا<sup>(٢)</sup> ، وَلَا أَبْرَ صَدْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ مِنَ الْغَائِلَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَةِ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ تَحَنُّنًا وَشَفَقَةً مِنْهُ ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ احْضَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَاللَّهِ لَا يَلِي عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا » .

فاجتمع النَّاسُ ، وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَتَقَدَّمَ مِعَاذٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَتَى بِهِ قَبْرَهُ ، دَخَلَ قَبْرَهُ مِعَاذٌ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَخَرَجُوا مِنْهُ فَسَفَّوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، قَالَ مِعَاذُ :

## ١٢٩ - رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَوَاللَّهِ لِأَتْنِينَ عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ ، وَاللَّهِ لَا أَقُولُ بِاطْلَا ، أَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مِنَ اللَّهِ مَقْتٌ ، كُنْتُ وَاللَّهِ — مَا عَلِمْتُ — مِنَ الْذَاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَمِنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَمِنْ

(١) مقاطعا . (٢) الغمر : الحقد . (٣) الأمر النكر .

الذين يبیتون لرّبهم سُجَّدًا وقيامًا ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقترُوا ، وكان بين ذلك قوامًا ، وكنتَ والله — ما علمتُ — من الخجبتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ، ويُبغضون الجفافة والمتكبرين .

ولم يكن أحدٌ من الناس كان أشدَّ جزاعا على فقد أبي عبيدة وعلى موته ولا أطول حُزنًا عليه من معاذ بن جبل .  
(فتوح الشام ص : ٢٤٢)

### ١٣٠ — ابن العاص ومعاذ والطاعون

وصلى معاذ بالناس أياما ، واشتد الطاعون ، وكثر الموت في الناس ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أيها الناس ، إن هذا الطاعون هو الرّجز الذي عذب الله به بني إسرائيل مع الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وأمر الناس بالفرار منه ، فأخبر معاذ بقول عمرو ، فقال : ما أريد إلى ما يقول مالا علم له به ، ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الوباء فقال : ليس كما قال عمرو ولكنه رحمة بكم . ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، اللهم أعط معاذا وآل معاذ منه النصيب الأوفر .

### ١٣١ — وصية لمعاذ بن جبل

ثم صلى ورجع إلى منزله ، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه ، فلما رجع معاذ إلى منزله طعن ، فاشتد به وجعه ، وجعل أصحابه يحتلقون إليه ، فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم :

« اَعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي مُهَلَّةٍ وَحَيَاةٍ ، وَفِي بَقِيَّةٍ مِنْ آجَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْتَوُوا الْعَمَلَ فَلَا تَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَأَنْفِقُوا مَا عِنْدَكُمْ لِمَا عِنْدَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكُوا وَتَدْعُوا ذَلِكَ كَلِمَةً مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، وَعَاظِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا مَا أَكْتُمُ وَشَرْتُمْ وَلَيْسَتْ وَأَنْفَقْتُمْ وَأَعْطَيْتُمْ فَأَمْضَيْتُمْ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِينَ . » ( فتوح الشام ص ٢٤٣ )

### ١٣٢ - وصية لمعاذ بن جبل أيضا

وأتاه رجل في مرضه فقال : يا معاذ علمني شيئا ينفعني الله به قبل أن تُفارقني ، فلا أراك ولا تراني ، ولا أجدُ منك خَلْفًا ، ثم لَعَلِّي أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى سِوَالِ النَّاسِ عَمَّا يَنْفَعُنِي بَعْدَكَ ، فَلَا أُجِدُ فِيهِمْ مِثْلَكَ ، فَقَالَ مَعَاذُ : كَلَّا إِنَّ صَلْحَاءَ الْمُسْلِمِينَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - كَثِيرٌ ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الدِّينِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

« خُذْ عَنِّي مَا أَمْرُكَ ، كُنْ مِنَ الصَّائِمِينَ بِالنَّهَارِ ، وَمِنَ الْمُصَلِّينَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَمِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَثِيرًا ، وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ ، وَلَا تَزْنِ ، وَلَا تَتَّقُ وَالِدَيْكَ ، وَلَا تَأْكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَلَا تَفِرَّ مِنَ الزَّخْفِ ، وَلَا تَأْكُلْ الرِّبَا ، وَلَا تَدْعَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَلَا تُضَيِّعَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَصِلْ رَجِمَكَ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ، وَلَا تَظْلِمِ مُسْلِمًا ، وَحُجِّجْ وَاعْتَمِرْ وَجَاهِدْ ، ثُمَّ أَنَا لَكَ زَعِيمٌ بِالْجَنَّةِ . » ( فتوح الشام ص ٢٤٤ )

ومات رحمه الله ، وقد استُخْلِيفَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَصَلَّى عَلَيْهِ عَمْرُو .

فلما دفنه قال :

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مَعَاذُ ، فَقَدْ كُنْتُ - مَا عَلِمْنَاكَ - مِنْ نُصَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ خِيَارِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، ثُمَّ كُنْتُ مُؤَدِّبًا لِلْجَاهِلِ ، شَدِيدًا عَلَى الْفَاجِرِ ، رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيمُ اللَّهِ لَا يُسْتَخْلَفُ مِنْ بَعْدِكَ مِثْلَكَ . » ( فتوح الشام ص ٢٤٥ )

ولما انتهى إلى عمر رضى الله عنه هلاك أبي عبيدة وهلاك معاذ فرق عماله على كور الشام ، فبعث عبد الله ابن قرط على حمص ثم عزله وولى عبادة بن الصامت الأنصارى ، واستعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصارى وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسير إلى قيسارية .

### ١٣٣ - خطبة عبادة بن الصامت

فلما قدم عبادة على أهل حمص قام في الناس خطيبا .

فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، ألا إن الدنيا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَا كَلُّ مِنْهُ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، أَلَا وَإِنَّ  
الْآخِرَةَ وَعَدُّ صَادِقٍ يَحْكُمُ فِيهِ مَلِكٌ قَادِرٌ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ  
يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِلدُّنْيَا بَيْنَيْنِ  
وَالْآخِرَةِ بَيْنَيْنِ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ  
أُمَّةٍ يَتَّبِعُهَا بَنُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . » (فتوح الشام ص ٢٤٨)

### ١٣٤ - خطبة شداد بن أوس

ثم قال لشداد بن أوس قم يا شداد فعض الناس وكان شداد مفرها ، قد أعطى لساناً  
وحكمةً وفضلاً وبيانا ، فقام شداد فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم  
ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس رَاجِعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَإِنْ تَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّكُمْ  
لَمْ تَرَوْا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَسْبَابَهُ ، وَلَا مِنَ الشَّرِّ إِلَّا أَسْبَابَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَدِّ آفِيهِ  
فَجَعَلَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَجَمَعَ الشَّرَّ بِحَدِّ آفِيهِ فَجَعَلَهُ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ وَغَرَّةَ حَزْنَةٍ ،  
أَلَا وَإِنَّ النَّارَ سَهْلَةً لَيْتَنَ ، أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْكُرْهِ وَالصَّبْرِ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ

بالمهوى والشهوة، ألا فن كشف حجاب الكفره والصرأشقى على الجنة، ومن أشقى على الجنة كان من أهلها، ألا ومن كشف حجاب المهوى والشهوة أشقى على النار، وكان من أهلها، فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق» .

(فتوح الشام ص ٢٤٩)

### ١٣٥ - خطبة أبي الدرداء

وقام أبو الدرداء في أهل دمشق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، يا أهل دمشق اسمعوا مقالة أخ لكم ناصح ، فما بالكم تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأمّلون مالا تُدرّكون ؟ وقد كان من كان قبلكم جمعوا كثيراً ، وبنوا شديداً ، وأمّلوا بعيداً ، وماتوا قريباً ، فأصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنهم قبوراً ، وأمّلتهم غُروراً ، ألا وإنّ عاداً وثموداً كانوا قد ملّثوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونعماً ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين ؟ » .

( فتوح الشام ص ٢٥٠ )

### ١٣٦ - خطبة يزيد بن أبي سفيان

وسار يزيد بن أبي سفيان إلى قيسارية فقام في جنده فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد : فإنّ كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية ، وأن أدعوم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من

أهل الشام ، فيؤذوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزيلهم  
حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم ، فسيروا ، رحمكم الله ، إليهم فإنى أرجو أن يجمع الله لكم  
الغنيمة في الدنيا والآخرة .  
(فتوح الشام ص ٢٥١)

### ١٣٧ - وصية العباس بن عبد المطلب ( المتوفى سنة ٣٢ هـ )

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنى ، إني أرى أمير المؤمنين - يعنى عمر بن الخطاب - قد اختصك دون من ترى  
من المهاجرين والأنصار ، وإني موصيك بحلال أربع : لا يجرّبَنَّ عليك كذباً ،  
ولا تفتابنَّ عنده مسلماً ، ولا تُفشِينَّ له سراً ، ولا تطوعنه نصيحة ، قال : فقلت يا أبه .  
كلّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلّ واحدة منها خير من عشرة آلاف .

( تهذيب الكمال ١ : ١٥ والعقد الفريد ١ : ١١ )

### ١٣٨ - وصية عمر للخليفة من بعده

وأوصى عمر الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوّلين خيراً ، أن تعرّف  
لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فأقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ،  
وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رذء العدو ، وجبأة الفئء ، لا تحمل فيهم ، إلاّ عن  
فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام ، أن  
تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم : فتردّ على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن

تقاتل من ورأهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن  
يَدِهِم صَاغِرُونَ ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة مقتته ، أن يَطْلَعَ مِنْكَ  
على ريبه ، وأوصيك أن تحشى الله في الناس ، وتحشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل  
في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وتغورهم ، ولا تؤثر غنيمهم على فقيرهم ، فإن ذلك ياذن الله  
سلامة لقلبك ، وَحَظُّ لَوِزْرِكَ ، وخير في عاقبة أمرك ، حتى تُنْفِضَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ  
يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وأمرك أن تشد في أمر الله ، وفي حدوده  
ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لَا تَأْخُذَكَ فِي أَحَدٍ رَأْفَةً حَتَّى تَنْهَكَ مِنْهُ ،  
مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالى على من وجب الحق ، ثم  
لَا تَأْخُذَكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمِّ ، وَإِيَّاكَ وَالْأَنْزَةَ وَالْحَابَابَةَ فِيمَا وَلَّاكَ اللَّهُ ، مما آفأه الله على المؤمنين ،  
فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل  
الدنيا والآخرة ، وأنت إلى الآخرة جد قريب فإن اقترفت لديناك عدلاً و عفة عما بسط الله لك ،  
اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا تُرَخِّصَ  
لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك  
وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ ، واخترت من دلالتك ما كنتُ دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن  
عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ،  
وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهْمَكَ ، ولم تُنْزِلْ معاذم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ،  
يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مُشْتَرِكَةٌ ، ورأس كل خطيئة  
إبليس ، وهو داع إلى كل هَلَكَةٍ ، وقد أضلَّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ،  
ولبئس الثمن أن يكون حظُّ امرئ موالاةَ عدوِّ الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق  
وَخُضْ إِلَيْهِ الْعَمْرَاتِ ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما تَرَحَّمَتْ عَلَى جَمَاعَةِ الْمَسْلَمِينَ ،  
فَأَجَلَّتْ كَبِيرُهُمْ ، وَرَحِمَتْ صَغِيرُهُمْ ، ووقرت علمهم ، ولا تضربهم فيدُلُّوا ، ولا تستأثر



عليهم بالفى فتبغضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلمها فتفقرهم ، ولا تجرمهم (١)  
فى البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك  
دونهم ، فيا كل قورئهم ضعيفهم . هذه وصيتى إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ  
عليك السلام . ( شرح ابن أبى الحديد ٣ : ٩٦ والبيان والتبيين ٢ : ٢٢ وتاريخ الطبرى ٥ : ١٣ )

وفى رواية الطبرى :

قال : « وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن  
إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب ، فإنها مادة  
الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع فى فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى  
بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بعهدهم ، اللهم هل بلغت ؟  
تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة » .

(١) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .

# خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ،  
وعلى بن أبي طالب ، والزيبر بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله  
- وكان طلحة غائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

## ١٣٩ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ،  
فإن حبيباً<sup>(١)</sup> خير من زاهق<sup>(٢)</sup> ، وإن جرعة من شراب<sup>(٣)</sup> بارد ، أنفع من عذب  
مُوب<sup>(٤)</sup> ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر<sup>(٥)</sup> إليكم ، فلا تفلأوا المدى بالاختلاف  
بينكم ، ولا تُقدموا السيوف عن أعدائكم ، فتوترُوا<sup>(٦)</sup> نأركم ، وتؤلوا<sup>(٧)</sup> أعمالكم ،  
لكلِّ أجل كتاب ، ولكلِّ بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيبه يرعون<sup>(٨)</sup> ، قلِّدُوا  
أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلتحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ،  
يقول أهلها ما يرون ، وتُحلبهم الحبو كرى<sup>(٩)</sup> ، ما عدت نياتكم معرفتكم ، ولا أعمالكم

(١) الخافي من السهام : ما يزحف إلى الهدف . (٢) السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

(٣) الشراب والشريب والشروب : ما يشرب . (٤) أصله موبى ، مهمل عن موبى .

(٥) يرجع . (٦) قال فى اللسان : « قال الأزهرى : هو من الوتر ( الثأر ) يقال : وترت فلانا

إذا أصبته بوتر ؛ وأوترته أوجدته ذلك ( أى أظفرته به ، أوجدت فلانا مطلوبه أى أظفرته به ) قال : والثأر  
هاهنا العدو لأنه موضع الثأر ، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر فى أنفسكم » .

(٧) ألتة حقه يألته وآلته : نقصه . (٨) ورع يرع : كورث يرث من الورع ، وهو التقوى .

(٩) رمل يضل فيه السالك ، والداهية .

نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في السكِّم ، علِّقوا أمركم رَحْبَ الذراع فيما حلَّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رِضًا منكم وكلِّم رِضًا ، ومُتَّعًا<sup>(١)</sup> منكم وكلِّم منتهى ، لاتطيعوا مُفسداً يَنْصَحُ<sup>(٢)</sup> ، ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم :  
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

### ١٤٠ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولا ، صدَّقه وعدَّه ، ووهب له نصره على كلِّ من بعدَ نَسَبًا ، أو قرُب رَحْمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مُهتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره نقوم عند تفرُّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضله أُمَّة ، وبطاعته أمراء ، لا يَخْرُجُ أمرنا منا ، ولا يَدْخُلُ علينا غيرنا ، إلا مَنْ سَفِهَ الحَقَّ ، ونكَلَّ عن القصد ، وأخربها يابن عوف أن تُتْرَكَ ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وتُركَ دعاؤُك ، فأنا أوَّلُ مجيب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لي ولكم » .  
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

### ١٤١ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعي الله لا يُجْهَلُ ، ومجيبه لا يُخْذَلُ ، عند تفرُّق الأهواء ، ولِيّ الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقى ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدَّت ، تُرَاحُ<sup>(٣)</sup> على أهلها ، وتحيا لا تموت ، لكان

(١) مختاراً . (٢) تنصح : تشبه بالنصحاء . (٣) أراح حقه عليه : رده عليه .

الموت من الإمارة نَجاةً ، والفرارُ من الولاية عِصْمَةً ، ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث موتٍ مِيتَةٍ عُمِّيَّةٍ (١) ، ولا نَعْمَى عَمَى الجاهلية ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله ، وأستغفر الله لى ولكم .

## ١٤٢ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بَدِيئًا (٢) كَانَ ، وَآخِرًا يَعُودُ ، أَحَدُهُ لِمَا نَجَّانِي مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَبَصَّرَنِي مِنَ الْعَوَايَةِ ، فَيَهْدِي اللَّهُ فَازَ مَنْ نَجَا ، وَبِرَحْمَتِهِ أَفْلَحَ مَنْ زَكَا ، وَبِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْارَتِ الطَّرِيقَ ، وَاسْتَقَامَتِ السَّبِيلَ ، وَظَهَرَ كُلُّ حَقٍّ ، وَمَاتَ كُلُّ بَاطِلٍ ، إِيَّاكُمْ أَيُّهَا النَّفَرُ وَقَوْلَ الزُّورِ ، وَأُمْنِيَّةَ أَهْلِ الْغُرُورِ ، فَقَدْ سَلَبَتِ الْأُمَانِيُّ قَوْمًا قَبْلَكُمْ ، وَرَثُوا مَا وَرَثْتُمْ ، وَنَالُوا مَا نَلْتُمْ ، فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ عَدُوًّا ، وَلِنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) إِنْ نَسَكِبْتَ (٣) قَرْنِي ، فَأَخَذْتُ سَهْمِي الْفَالَجَ (٤) ، وَأَخَذْتُ لَطْلَحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مَا ارْتَضَيْتَ لِنَفْسِي ، فَأَنَا بِهِ كَفِيلٌ ، وَبِمَا أُعْطِيتُ عَنْهُ زَعِيمٌ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بَنِي عَوْفٍ بِجَهْدِ النَّفْسِ ، وَقَصْدِ النَّصِيحِ ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَإِلَيْهِ الرَّجُوعُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِوَالِدِي ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَخَالَفَتِكُمْ . »

(١) العمية : السكبر أو الضلال .

(٢) البديء : الأول . (٣) النكب : اللطرح . والقرن : الجمعة . (٤) الفائز الظافر .

## ١٤٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولا ، فنحن بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حق إن نُعطه نأخذه ، وإن نُمنعه نركب أعجاز الإبل ، ولو طال الشرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً جادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامي ، وعُوا منطقي ، عسى أن ترَوْا هذا الأمر من بعد هذا الجمع ، تُنتَصَى<sup>(١)</sup> فيه السيوف ، وتُحان فيه اليهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم<sup>(٢)</sup> هلكت فإنى بما فعلت بنو عبد بن ضخم

مُطيع في المواجر كلَّ عيِّ بصيرٍ بالنوى من كل نجم

(تاريخ الطبرى ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٢٦)

# خطب عثمان بن عفان

رضى الله عنه

١٤٤ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبرى قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم فى دار قلعة<sup>(١)</sup> ، وفى بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتُمْ ، صَبَّحْتُمْ أَوْ مُسِّتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوِيَتْ على الغرور ، فلا تَعَرَّزْكُمْ الحياة الدنيا ، ولا يَغْرَزْكُمْ بالله الغرورُ ، اعتبروا بمن مضى ثم جدُّوا ولا تَفْغَلُوا ، فإنه لا يُفْعَلُ عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعَمَرُوها ، ومَتَعُوا بها طويلا ، ألم تَلْفِظُهُمْ ؟ أَرْمُوا بالدنيا حيث رَمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا ، والذى هو خير ، فقال عز وجل : ( وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ) وأقبل الناس يبايعونه . » ( تاريخ الطبرى ٥ : ٤٣ )

(١) أى انقلاع ، ومنزلنا منزل قلعة « بتسكين اللام وضمها وفتحها » أى ليس بمستوطن ، أو لانهلكه ،

أو لاندري متى نتحول عنه .

## ١٤٥ - خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال :

« أما بعد ، فإنني قد حُلتُ وقد قَبِلْتُ ، ألا وإني متَّبِعٌ ، ولست بمبتدِعٌ ، ألا وإن لكم علىَّ بعد كتاب الله عزَّ وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتَّبَاعَ من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وَسَنَ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فيما لم تُسْئُوا عن مَلَأ ، وَالْكَفَّ عنكم إلا فيما استوجبتم . ألا وإنَّ الدنيا خَصْرَةٌ قد شُهِيت إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تَرَكُونَا إلى الدنيا ، ولا تَتَّبِعُونَهَا ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها » .  
( تاريخ الطبري ٥ : ١٤٩ )

## ١٤٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة : لما ولي عثمان صعد المنبر ، فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال :

« إن أول مرَّكَبٍ صعب ، وإن مع اليوم أيَّامًا ، وما كنا خطباءً ، وإن نَعِشْ لكم تَاتِيكُمْ الْخُطْبَةُ على وجهها إن شاء الله تعالى » .

( عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٣ )

## ١٤٧ - خطبة لعثمان

وبعث عثمان بدء الفتنة إلى عمال الأمصار فقدموا عليه ، فقال : ويحكم ، ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدِّوقا عليكم ، وما يُعْصَبُ هذا إلا بي ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فأشار عليه كلُّ بما يراه .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« كل ما أشرت به علي قد سمعت ، ولكل أمر بابٌ يؤتى منه ! إن هذا الأمر الذي يخافُ على هذه الأمة كأن ، وإن بابهُ الذي يُغلق عليه فيكفكف به اللينُ والمؤاتاة والمتابعة إلا في حُدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع أحدٌ أن يُبَادِي بعيب أحدها ، فإن سدّه شيء فرقى ، فذاك والله لِيَفْتَحَن ، وليست لأحدٍ على حجة حق ، وقد علم الله أني لم آلُ الناس خيرا ولا نفسي ، والله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يجرَّ كها ، كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، واغفروا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تُدهِنوا فيها . »

( تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٠ )

## ١٤٨ - خطبة عثمان

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجالٌ إلى الأمصار ، ثم رجعوا جميعا إلى المدينة إلا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً فقال :

« يا أهل المدينة ، أنتم أصل الإسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله لا يبلغنى عن أحدٍ منكم حدثٌ أحدثه إلا سيرته ، ألا فلا أعرفن أحدًا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له . »

وأيُّمُ الله لا أخذنَّ العفو من أخلاقكم ولا بذلنَّه لكم من خُلُقِي ، وقد دنت أمور ، ولا أحب أن تحلّ بنا وبكم ، وأنا على وجَلٍ وحذر ، فاحذروا واعتبروا . »

( تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٥ )



## ١٤١ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب عثمان حين نقم عليه الناس ما نقموا فقال :

« أما بعد : فإنَّ لكلِّ شيء آفة ، وإن لكلِّ نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، عَيَّابُونَ ظَنَّانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ ، طَعَامٌ <sup>(١)</sup> مِثْلَ النِّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوْلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمْ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ <sup>(٢)</sup> ، لَا يَشْرِبُونَ إِلَّا نَقْصًا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا يَرُدُّونَ إِلَّا عَسْكَرًا ، لَا يَقُومُ لَهُمْ رَائِدٌ ، وَقَدْ أُعْيِيَتْهُمُ الْأُمُورُ ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَكَاسِبُ .

لقد أفررتُم لابن الخطاب بأكثر مما نَقِمْتُم عليَّ ، ولكنَّه وطِئَكُمْ بِرِجْلِهِ ، وَضَرَبَكُمْ بِيَدِهِ ، وَوَقَمَكُمْ وَقَعَمَكُمْ <sup>(٤)</sup> وَزَجَرَكُمْ زَجْرَ النِّعَامِ الْحَزْمَةِ <sup>(٥)</sup> ، فَدَنَيْتُمْ لَهُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ أَوْ كَرِهْتُمْ ، وَلَيْتَ لَكُمْ وَأَوْطَاتَ لَكُمْ كُنْفِي ، وَكَفَفْتُ يَدِي وَلِسَانِي عَنْكُمْ ، فَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيَّ .

أما والله إنِّي لأقرب ناصراً ، وأعزَّ نفراً ، وأكثر عدداً ، وأقننُ - إن قلت لهم - أن تجاب دعوتي من عمر .

ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتُم مني خلقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به .

---

(١) أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحده كسحابة . (٢) المورد النازح : الذي نزع ماؤه ، أي غاض وقل أو بعد . (٣) نغص البعير كفريح : لم يتم شربه . (٤) وقم الدابة جلد عنانها ، ووقه قهره وأذله أو رده أقبح للرد وحزنه أشد الحزن وقعه : ضربه بالمقمة وقهره وأذله . (٥) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزامة ، والظير كلها مخزومة ومخزومة لأن وترات أنوفها مخزومة ؛ وكذا النعام .

فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم ، وعيكم على ولائكم ، فإنى قد كفتُ عنكم من  
لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا .

ألا فافتقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى ،  
ومن لم تكونوا تختلفون عليه ، فضلَ فضلٌ من مالى ، فالى لا أصنع فى الفضل ما أريد ؟

إذن فلم كنت إماما ؟ . ( تاريخ الطبرى ٥ : ٩٧ وإعجاز القرآن ص ١١٨ ،

وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ والبيان والتبيين ١ : ٢٠٠ ) .

## ١٥٠ - خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله ، وما جئت شيئا  
إلا وأنا أعرفه ، ولكنى مَنَنْتَنى نفسى وَكَذَّبْتَنى ، وَضَلَّ عَنِ رَشْدى ، ولقد سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبِ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبِ ، وَلَا يَتِمَّادَى  
فِي الْمَلَكَةِ ، إِنْ مَنْ تَمَّادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ » فأنا أول من اتعظ ،  
أستغفر الله مما فعلت . وأتوب إليه ، فمثل نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم ،  
فَلْيُرُونى رَأْيِهِمْ ، فوالله لئن رَدَّنى الحق عبداً لَأَسْتَتِنَنَّ بسنة العبد ، وَلَا ذَلَّ العبد ،  
وَلَأَ كُونَنَّ كَالْمَرْقُوقِ ، إِنْ مُلِكَ صَبْرٌ ، وَإِنْ عَتِقَ شُكْرٌ ، وما عن الله مذهب إلا إليه ،  
فلا يَعْجِزَنَّ عنكم خياركم أن يدنوا إلیَّ ، لئن أبت يمينى لتتابعتنى شمالى » .

( تاريخ الطبرى ٥ : ١١١ ، والسكامل لابن الأثير ٣ : ٨٠ )

## ١٥١ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ؛ أما بعد : فإنكم لم تمدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قمصنيه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه » .

قالوا : إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ، ولم تُقِمْ عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك . . . إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قولكم تقتلون من دوني ، فإني لا أمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطراف بصر أو عراق ، فالثمة الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا علي ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً » فانصرفوا عنه ، وآذنوه بالحرب .

## ١٥٢ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، جلسوا : الحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ : أُنشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مَصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ؟ أَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهُنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وُلِيَ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَابِرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَيْتُهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أُنشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةٍ خَيْرٌ ، وَقَدَّمَ خَيْرٌ ، قَدَّمَهُ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَيَّ كُلٌّ مِنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَّا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِأَقْتُلَ ثَلَاثَةَ : رَجُلٍ زَنِيَ بَعْدَ إِحْسَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ حَقٍّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمْ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا . »

( تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤ )

## ١٥٣ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْهَا لِتَزْكُنُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَنْفَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَّةِ ، فَاتَّزُّرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ،

فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ،  
لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم  
بنعمته إخواناً » . ( تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩ )

## ١٥٤ - خطبة الوليد بن عقبة

قال الطبرى :

لما أصاب الوليد بن عقبة حاجته من أرمينية ( سنة ٢٤ هـ ) - وكان أهلها قد منعوا  
ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر - ودخل الموصل فنزل الحديثه ، أتاه كتاب من  
عثمان رضى الله عنه :

« أما بعد فإن معاوية بن أبى سفيان كتب إلى يخبرنى أن الروم قد أجلبت على  
المسلمين بمجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك  
كتابى هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه ، فى ثمانية آلاف  
أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف ، من المكان الذى يأتىك فيه رسولى والسلام » .

فقام الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس فإن الله قد أبلى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسناً فرد عليهم  
بلادهم التى كفرت ، وفتح بلاداً لم تكن فتحت ، ورددهم سالمين غانمين مأجورين ،  
فالحمد لله رب العالمين .

وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف  
إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ،  
وفى ذلك الأجر العظيم ، والفضل المبين ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى » -

( تاريخ الطبرى ٥ : ٤٦ )

فانتدب الناس

## ١٥٥ - خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط من إمارة الكوفة ، وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره ، ولكني لم أجد بداً إذ أمرت أن أُنْتَمِرَ ، ألا إن الفتنة قد أطلعت خَطْمَهَا<sup>(١)</sup> وعينها ، والله لأضربنَّ وجهها حتى أقمها أو تُنْعِيَنِي<sup>(٢)</sup> ، وإني لرأئد<sup>(٣)</sup> نفسي اليوم » ثم نزل (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

## ١٥٦ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية<sup>(٤)</sup>

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقصَّ عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أهيب لك منى لهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذى أَلَفَ بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البَغْضَةِ ، الذى لا يُجْحَدُ نَمَاؤُهُ ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمداً صلى الله

(١) الخطم : جمع خطم ، وهو ماوضع فى أنف البعير ليقناده به ، والمراد ظهورها ونشوبها .

(٢) أى تمنجنى . (٣) الرود : الطلب .

(٤) فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمه عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .

عليه وسلم ، فاختاره بعلمه ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، واختار له من الناس أعوانا ، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبته ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ <sup>(١)</sup> وَوَقَّرُوهُ ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد <sup>(٢)</sup> الله منهم من استشهد على النهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس : رحمكم الله إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكننا مع والٍ حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين <sup>(٣)</sup> ، وَيَخْفِضُ <sup>(٤)</sup> بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعَجِّلُ الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيّل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نمر فيها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، وَرُغَاءَ الإبل ، وقمعة السلاح ، فأقنا أياماً ، نُجِمْ كُرَاعِنَا <sup>(٥)</sup> ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغارٍ أو الصلح ، فكانت هذه أبرد ، فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة تَتَأَنَّمُ ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه إذا صَبَرَ واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يومئذ ذلك ، وصَبَرَ فيه الفريقان فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبِتْنَا وَبَاتُوا ، وللمسلمين دَوِيٌّ بِالْقِرَانَ كدوى النحل ، وبات المشركون في خورهم وملاعهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئنا واسعاً ، بلغ فيه الخمس خمسمائة ألف ، فَصَقَّ <sup>(٦)</sup> عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد

(١) التمرير : التفضيم والتعظيم والإعانة ، وهو أيضا ضرب دون الحد أو هو أشد الضرب ضد .

(٢) استشهد ( مبنيا للمجهول ) قتل في سبيل الله .

(٣) الأبردان : الغداة والمشي . (٤) خفض بالمكان : أقام ، والظهائر : جمع ظهيرة .

(٥) الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . (٦) صفق الباب يصفقه وأصفقه

فلقه : أي أغلق عليها باب الخزائن .

قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأَغْنَاهُم النَّفْلَ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبْشِرْهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ  
مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرْكِ ، فَأَحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آلَاتِهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِأَعْدَائِهِ ،  
مِنَ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : ( ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ  
بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يَا بُنَيَّ مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَمْتَ .

(المقد الفريد ٢ : ١٤٩)

## ١٥٧ — خطبة عبد الله بن مسعود

(المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدقُ الحديثِ كتابُ اللهِ ، وأوثقُ العُرَا كلمةُ التقوى . أكرمُ المللِ ملَّةُ إبراهيمَ ،  
وخيرُ السننِ سنةُ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم . خيرُ الأمورِ أوساطُها ، وشرُّ الأمورِ مُخَدَّاتُها .  
ما قُلَّ وكفى خيراً مما كثر وألهى . خيرُ الغنى غنى النفس ، وخيرُ ما أُلقيَ في القلبِ اليقين .  
الحمرِ جاعُ الآثامِ . النساءِ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ . الشبابِ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حبُّ الكفايةِ  
مفتاحُ المعجزةِ . شرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا<sup>(١)</sup> .  
أعظمُ الخطايا اللسانُ الكذوبُ ، سبُّ المؤمنِ فسقٌ ، وقتاله كفرٌ ، وأكلُ لحمه معصيةٌ .  
من يتألَّ<sup>(٢)</sup> على اللهِ يكذبه ، ومن يغفرَ يغفرَ له . مكتوبٌ في ديوانِ الحسنينِ : من عفا  
عفا اللهُ عنه . الشقيّ من شقى في بطنِ أمه ، والسعيدُ من وعظَ بغيرِهِ . الأمورُ بعواقبِها .  
ملاكُ العملِ خواتيمه . أشرفُ الموتِ الشهادةُ . من يعرفُ البلاءَ يَصْبِرْ عليه . ومن لا يعرفُ  
البلاءَ يَنْكِرْهُ . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، المقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

(١) الهجر ككفف : الذي يمشى مثقلاً ضعيفاً : أى لا يعرف الله إلا وقت الشدة .

(٢) تألَّ : أقم .



## ١٥٨ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبى زُبَيْدَ : حَرَمَلَةَ بن المنذر الطائى - وكان نصرانياً - يا أحمًا تَبِعَ المسيح ، أَسْمِعْنَا بعض قولك ، فقد أُنْبِئْتُ أنك تجيد ، فأنشده قصيدة له فى وصف الأسد ، فقال عثمان : تالله تَفْتَأُ تذكر الأسد ما حَيَّيتُ الله وإنى لأحسبك جَبَانًا هَرَّابًا ، قال : كَلَّا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه مَنظَرًا ، وشَهِدْتُ منه مَشْهَدًا ، لا يَبْرُحُ ذِكْرُهُ يُتجدد ويتجددُ فى قلبى ، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ معلوم ، فقال له عثمان : وَأنى كان ذلك ؟ قال :

« خرجت فى صِيَابَةٍ<sup>(١)</sup> أشرفٍ من أبناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارَةٍ<sup>(٢)</sup> حسنة ، ترمى بنا المَهَارَى<sup>(٣)</sup> بأكسائها<sup>(٤)</sup> ، ونحن نزيد الحارث بن أبى شمر القَسَانى ملك الشام ، فاخروط<sup>(٥)</sup> بنا السير فى حَمَارَةٍ الْقَيْظِ ، حتى إذا عَصَبَتِ الأفواه ، وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ ، وشالت<sup>(٦)</sup> المياه ، وأذكتِ الْجُوزَاهِ المِعْزَاءِ<sup>(٧)</sup> ، وذاب الصَّيْبُ<sup>(٨)</sup> ، وَصَرَ الْجُنْدُ<sup>(٩)</sup> وأضاف العُصْفُورُ الضَّبَّ فى وَكْرِهِ ، وجاوره فى جُحْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب ، غُورُوا<sup>(١٠)</sup> بنا فى دَوْحِ هذا الوادى ، وإذا وادٍ قد بد لنا كثير الدَّغَلِ<sup>(١١)</sup> ، دائم الغَلَلِ<sup>(١٢)</sup>

(١) الصيابة بالتشديد وتخفيف : الخالص والصميم والخيار من الشيء . (٢) الشارة : الهيئة واللباس والزينة ، والجمال . (٣) مهرة بن حيدان ( يفتح الميم والحاء ) : حى تنسب إليه الإبل المهرية ، وجمعها مهاري ( يفتح الميم والراء ) ومهار ( منقوصا ) ومهاري . (٤) الأكساء : جمع كساء ( كقفل وعتق ) وكساء كل شيء : مؤخره . (٥) اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

(٦) قلت . (٧) أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمعز وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . (٨) الصيب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوى اللحم عليه . (٩) نوع من الجراد ، وصر : صوت .

(١٠) الغور والغثور : الدخول فى الشيء . والدوح : جمع دوحه ، وهى الشجرة العظيمة .

(١١) الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك أثبتت وكثرته . (١٢) الغلل : الماء الذى يجرى

أشجاره مُغِنَّةٌ<sup>(١)</sup> ، وأطياره مُرِنَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَاتِ<sup>(٣)</sup> ،  
فَأَصْبَدْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرًّا يَوْمَنَا وَمُمَاطِلَتَهُ ،  
إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أُذُنِيهِ<sup>(٤)</sup> ، وَفَحَّصَ الْأَرْضَ بِيَدِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ،  
ثُمَّ تَحَمَّحَمَ<sup>(٥)</sup> فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتِ الْخَيْلُ ،  
وَتَكْفَكَمَتِ<sup>(٦)</sup> الْإِبِلُ ، وَتَقَهَقَرَتِ الْبِغَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ<sup>(٧)</sup> ، وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ ،  
فَعَلِمْنَا أَنَا قَدْ أُتِينَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لِأَشْكَ فِيهِ ، فَفَزَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ  
جُرْبَانِهِ<sup>(٨)</sup> ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا<sup>(٩)</sup> ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْخَارِثِ مِنْ أُمَّجَمَتِهِ ، يَتَقَالَعُ<sup>(١٠)</sup>  
فِي مَشِيَّتِهِ ، كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ<sup>(١١)</sup> ، لِيَصْدُرَهُ نَحِيْطٌ<sup>(١٢)</sup> ، وَلِبِلَاعِهِ غَطِيْطٌ<sup>(١٣)</sup> ،  
وَلِطَرْفِهِ وَمِيْضٌ ، وَلَأَرْسَاغِهِ نَقِيْضٌ<sup>(١٤)</sup> كَأَنَّمَا يَنْخَبُطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطَأُ صَرِيْمًا<sup>(١٥)</sup> ، وَإِذَا  
هَامَةً كَأَلْمَجْنِ<sup>(١٦)</sup> وَخَذَّ كَأَلْمَسْنِ ، وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانَ<sup>(١٧)</sup> كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ ،

(١) أغن الذباب : صوت ، ويقال : واد مغن ، وهو الذي صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون  
الذباب إلا في واد مخصب بعشب ، والنعنة (بالضم) صوت في الخيشوم ؛ والأغن : الذي يتكلم من قبل  
خياشيمه غن يغن بالفتح فهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن : أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب وفي  
أصواتها غنة ، وروضة غناه كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية الصوت لكثافة عشبها .

(٢) رنت وأرنت : صاحت . (٣) الكنهبيل : شجر عظام ، والمزاود : جمع مزود كبير ،  
وهو وهاء الزاد . (٤) صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستماع .

(٥) الحمحة والتحمم : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستمين بنفسه ، وصوته إذا طلب  
الملف . (٦) خافت وفزعت ، كمكته فتكمع : جنبته وخوفته . (٧) الشكال : الحبل الذي  
تشده به قوائم الدابة . (٨) الجريان : غمد السيف . (٩) الرزدق : الصف من الناس والأرسال  
جمع رسل كسبب ، وهو القطيع من كل شيء .

(١٠) من ظلع كنع : إذا غمز في مشيه . (١١) جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو جنيب ومجنوب ومجنب  
والهجار : حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولا شد إلى الحقب .

(١٢) النحيط : الزفير ، والناحط : من يسعل شديدا . (١٣) غط البعير غطيطا : هدر ، والنائم  
صوت وكذا المذبوح والمخنوق . (١٤) نقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .

(١٥) ثمر صريم : أي مقطوع . (١٦) المجن : الترس . (١٧) عين سجراه : خالطت

بياضها حمرة .

وَقَصْرَةٌ رِبَلَةٌ<sup>(١)</sup> ، وَلِهَزِيمَةٌ رَهْلَةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَكَتْدٌ مُغْبَطٌ<sup>(٣)</sup> وَزَوْزٌ مُفْرَطٌ<sup>(٤)</sup> وَسَاعِدٌ  
مَجْدُولٌ ، وَعَضُدٌ مَفْتُولٌ ، وَكَفٌّ شَدْنَةُ الْبِرَائِنِ<sup>(٥)</sup> إِلَى مَخَالِبٍ كَالْمَحَاجِنِ<sup>(٦)</sup> ،  
فَضْرِبَ بِيَدَيْهِ فَأَرْهَجَ<sup>(٧)</sup> ، وَكَثَّرَ<sup>(٨)</sup> فَأَفْرَجَ عَنِ أَنْيَابِ كَالْمَاعُولِ ، مَصْقُولَةٌ ، غَيْرَ مَقُولَةٍ ،  
وَقَمٌّ أَشْدَقُ<sup>(٩)</sup> كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ<sup>(١٠)</sup> ، ثُمَّ تَمَطَّى فَأَسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَخَفَزَ<sup>(١١)</sup> وَرَكِبَهُ بِرَجْلَيْهِ ،  
حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ ، ثُمَّ أَمَقَى<sup>(١٢)</sup> فَاقْشَعَرَ<sup>(١٣)</sup> ، ثُمَّ مَثَّلَ فَاقْفَهَرَ<sup>(١٤)</sup> ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ<sup>(١٥)</sup>  
غَلَاوَذُو<sup>(١٥)</sup> بَيْنَهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقِينَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَازَةٍ . كَانَ ضَخْمَ الْجَزَارَةِ<sup>(١٦)</sup> ،  
فَوَقَصَ<sup>(١٧)</sup> ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقَصَ<sup>(١٨)</sup> مَتْنَيْهِ ، فَجَعَلَ يَلْغُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرَتْ<sup>(١٩)</sup>  
أَحْمَابِي ، فَبَعْدَ لَأَيٍّ<sup>(٢٠)</sup> مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّهَجْنَا<sup>(٢١)</sup> بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشِعِرَ الزُّبَيْرَةِ<sup>(٢٢)</sup> ،

- (١) القصرة : أصل المتق؛ والرباية بالفتح : كثرة اللحم ، وهي ربله ومتربله .  
(٢) الهازمان نائمان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لحمه : كفرح انتفخ وورم من غير داء .  
(٣) الكتد : مجتمع الكتفين ، أو الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأغبط النبات : غطي الأرض ، وكثف وتداني ، وأرض مغبطة بفتح الباء ، أي وكاهل مغطى بالشعر .  
(٤) من أفرطه : إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . (٥) شتنة : أي غليظة خشنة ، شنت كفه : كفرح وكرم ، والبرائن : جمع برثن كبرقع ، وهو مخلب الأسد . (٦) المحاجن : جمع محجن كنبز ومكنسة : العصا المعوجة وكل معطوف معوج . (٧) أرهج : أثار الغبار ، والرهج (كشس وسبب) الغبار . (٨) كثر عن أسنانه : أبلدى . (٩) من الشدق (كسبب) وهو سعة الشدق . (١٠) من الحقوق (كسبب أيضا) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء . (١١) حفزه : دفعه . (١٢) أمقى : جلس على استه مفترشا رجله ناصبا يديه . (١٣) مثل : قام منتصبا ، والمسكفر من الوجوه : الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ ، والمتعبس . (١٤) تجهمه وجهه (كنع وسمع) استقبله بوجه كريبه ، وازبار : تنفش . (١٥) ذو : بمعنى الذي في لغة طيبي .

\* فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا \*

- (١٦) الجزارة : بالنم اليدان والرجلان والمتق . (١٧) وقص عنقه : كمرها . (١٨) من نقض البناء : أي حسه ، وقضه : مزق . (١٩) اللمر : الملامة ، والحض والتهدد . (٢٠) اللأى : الإبطاء والاحتباس . (٢١) هججهج بالأسد : صاح . (٢٢) الزبيرة (كنفرصة) هي الشعر المجتمع بين كفتي الأسد .

كَأَن بِهِ شَيْهَمًا<sup>(١)</sup> حَوَلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ<sup>(٢)</sup> رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فَفَقَضَهُ نَقْضَةً تَزَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّهُمْ قَفَرَةٌ<sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ زَفَرٌ فَبَزِيرٌ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ زَارٌ فَجَرٌّ جَرٌّ<sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ لَحَظٌ ، فَوَاللَّهِ تَلَحُّتُ الْبَرْقُ بِتَطَايِيرٍ مِنْ تَحْتِ جَفْوَانِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأُرْعِشَتْ الْأَيْدِي ، وَأُصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأُطَّتِ<sup>(٦)</sup> الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ<sup>(٧)</sup> الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْحَزَلَتْ<sup>(٨)</sup> الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبَطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

( الأغانى ١١ : ٢٣ والحاسن والأضداد ص ١١٢ )

- 
- (١) الشيهيم : ما عظم ثوكه من ذكران القنفاذ ، والحولى : ما ألقى عليه حول .  
 (٢) اختلج : جذب وانترع ، والأعجر : السمين ، عجر : كفرح غلظ وسمن وضخم بطنه ، والحوايا : جمع حاوية ؛ وهى ماتحوى من الأمعاء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . (٣) المهمة : تردد الزئير فى الصدر ، وكل صوت معه بحج ، والقرقرة : هدير البعير . (٤) البربرة : الجلبة والصياح .  
 (٥) الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرتة . (٦) الأطيط : صوت الرجل والإبل إذا أنت تهما أو حنينا ، وصوت الظهر ، والجوف من الجوع . (٧) شخص بصره كنع : فتح عينيه وجعل لا يظرف . (٨) الانخزال والتخزل : مشية فى تشاقل . ومتنا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمينه وشماله .

# خلافة الإمام على

كرم الله وجهه

## ١٥٩ - وصية علىّ لقيس بن سعد

ولما قتل عثمان رضی الله عنه وولى علىّ بن أبى طالب الأمر ، دعا قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى وولاه مصر سنة ٥٣٦ هـ .  
وقال له :

« سر إلى مصر فقد وليتكمها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أربع لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يُمنّ » .  
( تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٧ )

## ١٦٠ - خطبة لقيس بن سعد

ولما دخل قيس مصر قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم  
وقال :

« الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات الباطل ، وكبت الظالمين  
أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا  
أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن  
لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم » .  
فقام الناس فبايعوا .  
( تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٨ )

## فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضی الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يثوبون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

### ١٦١ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضی الله عنه وفضله ، والبلد وما أُسْتُحِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعزازَ دين الله عزَّ وجلَّ وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أسركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام » .

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جَهْورِيَّة الصوت .

### ١٦٢ - خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عزَّ وجلَّ ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ النَّاسُ يَتَجَنَّبُونَ<sup>(١)</sup> عَلَى عِمَّانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَيُتْرَكُونَ<sup>(٢)</sup> عَلَى عَمَالِهِ ، وَيَأْتُونَنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَيَسْتَشِيرُونَنَا فِيمَا يَجِبُونَنا عَنْهُمْ ، فَنَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَنَجِدُهُ بَرِيًّا ، تَقِيًّا وَفِيًّا ،

(١) تجنَّبوا عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . (٢) زرى عليه : عابه كأزرى لكنه قليل .

ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكثرة كاثروه ،  
واقتمحوا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة<sup>(١)</sup>  
ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة  
كتاب الله عز وجل : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) الآية .

( تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٥ )

### ١٦٣ - خطبة لعلی

وخطب علی لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال :  
« أيها الناس : إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى  
الأمر له دون صاحبه ، أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبير فختها ، والله لو ظفروا بما  
أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبدا - ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ،  
والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة ، إلا فى معصية الله وسخطه ،  
حتى تُورد نفسها ومن معها موارد الهلكة ، إى والله ليقتلن ثلثهم ، وليهزبن ثلثهم ،  
وليتوبن ثلثهم ، وإنها التى تنبجها كلاب الحوآب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان ، ورب  
عالم قتله جهله ، ومعهم علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفتنة  
الباغية ، أين المحسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى ولقريش ! أما والله لقد قتلتم كافرين ،  
ولأقتلنهم مفتونين ، وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها فى حيزنا ، والله لأبقرن  
الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، قفل لقريش فلتضح ضجيجها » ثم نزل .

( ابن أبى الحديد م ١ : ص ٧٨ )

## ١٦٤ - خطبة لعلی

ولما رجعت رسل علیّ من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس : إني قد راقت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا ، ووبختهم بنسكتهم ، وعرقتهم بغيرهم فلم يستحيوا ، وقد بعثوا إليّ أن ابرز للطعان ، واصبر للجلاد ، وإنما تمنيت نفسك أمانىّ الباطل ، وتعدك الفرور ، ألا هبيلتهم<sup>(١)</sup> الهبول ، لقد كنت وما أهدد بالحرب ، ولا أرهب بالضرب ، ولقد أنصف القارة<sup>(٢)</sup> من رامها ، فليرعوا وليبرقوا ، فقد رأوني قديما ، وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني ؟ أنا أبو الحسن الذي قلتُ حدّ المشركين ، وفرقت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدويّ اليوم ، وإني لعلی ما وعدني ربي من النصر والتأييد ، وعلى يقين من أمری ، وفي غير شبهة من ديني .

أيها الناس : إن الموت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت مجيد ولا محيص ، من لم يُقتل مات ، إن أفضل الموت القتل ، والذي نفس علیّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش .

اللهم إن طلحة نكث بيعتي ، وأب عليّ عثمان حتى قتله ، ثم عصياني<sup>(٣)</sup> به ورماني ، اللهم فلا تُتمهله .

اللهم إن الزبير قطع رحمي ، ونكث بيعتي ، وظاهر عليّ عدوي ، فاكفنيه اليوم بما شئت » ثم نزل .  
( ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١ )

(١) هبيلة أمه : نكته .

(٢) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . (٣) عصيه : بهته وقال فيه مالم يكن .



## ١٦٥ - خطبة لعلی

حمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا ، وصرنا سوقا يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الدليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس .  
وأيتم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين ، لكننا على غير ما كنا لهم عليه ، فولى الأمر ولادة لم يألوها الناس خيرا ، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شئ منى لأمركم ، وفراسة تصدقني ماني قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع - تعلمون ذلك - وقد نكنا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ، ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، اللهم فخذها بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لها صرعة ، ولا تُقل لها عثرة ، ولا تمهلها فواقا<sup>(١)</sup> ، فإنهما يطلبان حقا تركاه ، ودما سفكاه ، اللهم إنى أقتضيك وعدك ، فإنك قلت وقولك الحق « ثم بُغِيَ عَلَيْنَا لَيُنْصَرَّنَهُ اللَّهُ » اللهم فأنجز لي موعودك ، ولا تكفني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير . »

(ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١)

## ١٦٦ - خطبة عدی بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ

ولما شَخَّصَ الإمام عليّ كرم الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدی بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي

(١) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

أخبرهم بمسيرك ، وأستنفِرم ، فإن لك من طيبي مثل الذي معك ، فقال عليّ : نعم فافعل ، فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيبي ، فقال لهم :

« يا معشر طيبي : إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشرك ، ونصرتم الله ورسوله في الإسلام على الردة ، وعلى قادم عليكم ، وقد ضمنت له مثل عِدَّة مَنْ مَعَهُ مِنْكُمْ ، فَخَفُّوا <sup>(١)</sup> مَعَهُ ، وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا في الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنت عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولى ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضلُ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل المعاش لِلْمَيْمَالِ <sup>(٢)</sup> ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلمكم على والناس معه من المهاجرين والبدرين <sup>(٣)</sup> وَالْأَنْصَارِ ، فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيلٌ للحى فيه الغنى والسرور ، وللقنيل فيه الحياء والرزق . »

فصاحت طيبي : نعم نعم ! حتى كاد أن يُعَمَّ من صياحهم .

( الإمامة والسياسة ١ : ٤٥ )

## ١٦٧ — خطبة زفر بن زيد

يستنفِر قومه لنصرة عليّ أيضاً

وقام إلى عليّ زفر بن زيد الأسدى - وكان من سادة بنى أسد - فقال :  
يا أمير المؤمنين ، إن طيئنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عديّاً ، ولى في قومي طاعة ،  
فأذن لي فآتيهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

(١) أى ارتحلوا مسرعين . (٢) جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإنفاق عليه .

(٣) أى الذين حضروا وقعة بدر .

« يا بني أسد : إن عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه ، فأجابوه ، وقضوا عنه ذمامه<sup>(١)</sup> ، فلم يعتل العنّى بالنعنى ، ولا الفقير بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثرية<sup>(٢)</sup> ، وهم جيرانكم في الديار ، وحلطاؤكم<sup>(٣)</sup> في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً : نصرت طيئاً ، وخذلت بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كالنمل بالنمل ، فإن ختم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جبلهم ، وهذه دعوة لها ثوابٌ من الله في الدنيا والآخرة .

( الإمامة والسياسة ١ : ٤٦ )

## ١٦٨ — خطبة على بالربذة

روى الطبرى قال :

لما أتى علياً الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الربذة<sup>(٤)</sup> أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالربذة أياماً ، وبقي بها تيبهاً ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح ، وقام في الناس فخطبهم وقال :

« إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ، ورفعنا به ، وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة ، وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان ، لينزغ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن .

(١) العهد والحرمة . (٢) أى يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ويفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٣) الخلطاء: جمع خليط ، وهو الشريك .

(٤) قرب المدينة .

ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون . ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملى ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته ، وارضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فاعرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

( تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٥ )

### ١٦٩ خطبة سعيد بن عبيد الطائى

ولما كان الإمام على كرم الله وجهه بالرَبْدَة ، أتته جماعة من طيى ، فقيل لعلى : « هذه جماعة من طيى قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال على : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين » فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن من الناس من يُعبّر لسانه عما فى قلبه ، وإنى والله ما كُلتُ ما أُجِدُّ فى قلبى يُعبّر عنه لسانى ، وسأجهدُ ( وبالله التوفيق ) أما أنا فساأنصح لك فى السرِّ والعلانية ، وأقاتل عدوك فى كل موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقربتك » .

قال : رحمتك الله ! قد أدى لسانك عما يُجِنُّ<sup>(١)</sup> ضميرك ، فقتل معه صفيين رحمه الله !

( تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٤ )

## ١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ولما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس .  
فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس إننا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفضقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون ، وأفضل من تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يعبه القرآن ، ولم تجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم ، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة ، إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون ، فقرّب منه وهم متباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدقه وهم يكذبون ، إلى من لم تردّ له ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحق ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعاله ، وانتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون » .  
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

## ١٧١ - خطبة أخرى للحسن

« الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمدته على حسن البلاء ، وتظاهر النماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، امتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عبّدت الأوثان ، وأطبع الشيطان ، وجحد الرحمن ، وصلى الله عليه وعلى آله ، وجزاه أفضل ماجزى المسلمين .

أما بعد ، فإنني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،  
أرشد الله أمره ، وأعز نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ،  
والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون  
إن شاء الله .

ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده . وإنه يوم صدق به  
لنبي عاشر من سنه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته ، وكان من  
اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل  
رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غمضه بيده ، وغسله وحده ، والملائكة  
أعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرة ، وأوصاه بقضاء دينه وعِداته  
وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من من الله عليه .

ثم والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها ،  
فبايعوه طائعين ، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً  
له وبغياً عليه .

فعلیکم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والخوف إلى ما دعاكم  
إليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وأهملنا وإياكم  
نقواء ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

## ١٧٢ - خطبة عمار بن ياسر

وقام بعده عمار ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

أيها الناس أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله . وقد بلاكم الله بحق دينكم ،  
وحرمة أمكم ، فحق دينكم أوجب ، وحرمة أعظم .

« أيها الناس عليكم بإمام لا يؤدّب ، و فقيه لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكل ،  
وذى سابقة فى الإسلام ليست لأحد ، وإنكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم إن  
شاء الله . »

### ١٧٣ - خطبة أبى موسى الأشعري

فلما سمع أبو موسى الأشعري خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر وقال :

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقة ، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة  
وحرّم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه : ( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ )  
وقال تعالى : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ) فانقوا الله عباد الله .  
وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتال إخوانكم .

أما بعد ، يا أهل الكوفة إن تطيعوا الله باديًا ، وتطيعونى ثانياً تكونوا جُرثومة<sup>(١)</sup> من  
جرائم العرب ، يا أوى إليكم المضطر ، ويا من فيكم الخائف ، إن علياً إنما يستنفركم لجهاد  
أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفتن .  
إنها إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إنى خائف عليكم أن يلتقى غاراً منكم  
فيقتتلا ، ثم يُتركا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض لا يُدرى من أين تؤتى ، ترك  
الحليم حيران ، كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول :  
أنت فيها نائماً خيراً منك قاعداً ، وأنت فيها جالسا خيراً منك قائماً ، وأنت فيها قائماً خيراً  
منك ساعياً ، فلمّا وسىوفكم ، وقصّفوا رماحكم ، وأنصّلوا<sup>(٢)</sup> سهامكم ، وقطعوا أوتاركم ،  
وخلوا قر يشاً ترتق فتقها ، وتراب صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها ما فعلت ، وإن أبت فعلى  
أنفسها ما جنت ، سمنها فى أديمها ، استنصحونى ولا تستغشونى ، وأطيعونى ولا تعصونى ،  
يتبين لكم رشدكم ، وتصلى هذه الفتنة من جناها .

( شرح ابن الحديد م ٢٩٣ )

(١) جرمونة الشيء : أصله . (٢) أنصل المهم ونصله بالتشديد : جعل فيه نصلاً وأزاله عنه ضد .

## صورة أخرى

### ١٧٤ - خطبة أبي موسى الأشعري

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عامله على الكوفة -  
ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فنبطهم وخطبهم ، فقال :

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله  
جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لسكم علينا حقا ، فأنا مؤدّيه  
إليكم ، كان الرأي ألاّ تستخفّوا بسلطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترثوا على الله عزّ وجلّ ،  
وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتردوهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم  
أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ،  
فإنها فتنة صحّاء ، الدائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد . والقاعد خير  
من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرّثومة<sup>(١)</sup> من جرائم العرب ،  
فأغمدوا<sup>(١)</sup> السيوف ، وأنصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ،  
حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجل هذه الفتنة » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والسكامل لابن الأثير ٣ : ١١٣)

(١) غمد السيوف يغمده كنعصر وضرب وأغمده : جعله في الغمد .



## ١٧٥ - صورة أخرى

وخطب أيضاً في هذا الصّدّد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تسكونوا جرتومة من جرائم العرب ، ياوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شُبّهت ، وإذا أدبرت بيّنت ، وإن هذه الفتنة باقرة<sup>(١)</sup> كداء البطن ، تجرى بها الشّمال والجَنُوب ، والصبا<sup>(٢)</sup> والدّبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يُدرى من أين تؤتى ، تذرّ الحليم كابن أمس ، شيمة<sup>(٣)</sup> سيوفكم ، وقصدوا<sup>(٤)</sup> رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزمو بيوتكم ، خلّوا قريباً إذا أبوا إلاّ الخروج من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، ترتق<sup>(٥)</sup> فتقها ، وتَشَعَب<sup>(٦)</sup> صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سمّت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ، سمّتها هَرَبِيق في أديمها ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها . »

## ١٧٦ - خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشال<sup>(٧)</sup> يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله<sup>(٨)</sup> بن قيس ، رُدَّ الفُرات عن أدراجه<sup>(٩)</sup> ، أُرُدِّده من حيث يجيء ،

(١) فتنة باقرة : صادعة للألثة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بانفاء ، وهي الداهية تسكر فقار الظهر . (٢) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابلها . (٣) شام سيفه يشيمه : غمده واستله ، ضد . (٤) التقصيد والقصد : الكسر بأى وجه كان أو بالنصف ، ورمح قصد ككتف وقصيد وأقصاد متكسر . (٥) رتق الفتق : سده . (٦) الشعب : الإصلاح والإفساد ، والجمع والتفريق ، ضد . (٧) شال : رفع ؛ قطعت يده يوم جلولاء ، وقيل بالقادسية في قتال الفرس ؛ وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . (٨) هو اسم أبي موسى . (٩) جمع درج بفتحيتين ، وهو الطريق .

حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست  
مُدرِكَه ، ثم قرأ : ( الم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ،  
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) سيروا  
إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وَأَنْفِرُوا<sup>(١)</sup> إليه أجمعين ، تصيبوا الحق .

## ١٧٧ — خطبة القعقاع بن عمرو

فقال القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا<sup>(٢)</sup> ، وَلَا قَوْلَانِ لَكُمْ قَوْلًا  
هُوَ الْحَقُّ ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا  
الأمر ، فلا تدنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول  
الذي هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظم الناس ، وتزع<sup>(٣)</sup> الظالم ، وتبزع المظلوم ، وهذا  
على بلى بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا  
الأمر بمرأى ومسمع . »

## ١٧٨ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ويبزع  
المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه<sup>(٤)</sup> ، وهو المأمون  
على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائرون معه . »

(١) اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتابا تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، فقال :  
أمرت أن تقر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به .  
(٢) رشد : كنصر وفرح . (٣) تردع وتكف . (٤) طلحة والزبير .

## ١٧٩ — خطبة الحسن بن علي

وقام الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفّر إليه ، والله لأن يلبّيه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعيئونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلاّ نفّر ، فإن كنت مظلوما أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بجال ، أو بدّلت حكماً ؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر . »

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٤)

## ١٨٠ — وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قار ، دعا القعقاع بن عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : إلق هذين الرجلين — طلحة والزبير — يابن الحنظلية ، « وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » فادعُهما إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما ، مما ليس عندك فيه وصاة<sup>(١)</sup> مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي ، اجتهدنا الرأي ، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي ، قال : أنت لها .

(١) وصية .

فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة فبدأ بعائشة رضى الله عنها ، فسلم عليها ، وقال :  
أى أمة : ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أى بُنى : إصلاح بين الناس ،  
قال : فابنى إلى طلحة والزبير ، حتى تسمى كلامى وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال :  
إنى سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ،  
فما تقولان أنما ؟ أمتابعان أم مخالفتان ؟ قالا : متعابعان ، قال : فأخبرانى ، ما وجه هذا  
الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنُصلحنَّ ، ولئن أنكرناه لا نُصلح ، قالا : قتلة عثمان  
رضى الله عنه ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن ،  
فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قيلَ قتلهم أقربُ إلى الاستقامة منكم  
اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم ، وخرجوا من بين  
أظهركم ، وطلبتم ذلك الذى أفلتت — يعنى حرُ قوص بن زهير — ففنع ستة آلاف  
وهم على رجل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم  
فأدبوا<sup>(١)</sup> عليكم ، فالذى حذرتم وقربتم<sup>(٢)</sup> به هذا الأمر أعظم مما أراكم تسكرهون ،  
وأنتم أحميم مضرَ وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرَةَ هؤلاء  
كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدِّ العظيم ، والذنب الكبير .

فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا  
سكن اختلجوا<sup>(٣)</sup> ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خيرٍ ، وتباشيرُ رحمةٍ ، ودَرَكَ بِئْرٍ هذا  
الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرةَ هذا الأمر واعتسافه ،  
كانت علامة شرِّ وذهاب هذا النأر ، وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهزاً<sup>(٤)</sup> ، فأثروا العافية  
تُرزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما كنتم تسكونون ، ولا تعرّضونا للبلاء ، ولا تعرّضوا

(١) أى غلبوكم وانصروا عليكم . (٢) فربه (كسع) قرب منه (كسكرم) .

(٣) اضطربوا وتفككوا . (٤) الهزهزة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .

له ، فَيَصْرَعَنَا وَإِيَّاكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ الْآيَتِيمَ  
حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا حَاجَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي قَلَّ مَتَاعُهَا ، وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ ، فَإِنِ  
هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ لَيْسَ يَقْدَرُ ، وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ ، وَلَا  
النَّفْرِ الرَّجُلَ ، ، وَلَا الْقَبِيلَةَ الرَّجُلَ . » .

فَقَالُوا : نَعَمْ ، إِذْنِ قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالَةَ فَارْجِعْ ، فَإِنِ قَدِمَ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ  
رَأْيِكَ ، صَلَحَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرْهُ ، فَأَعْجِبْهُ ذَلِكَ ، وَأَشْرَفِ الْقَوْمَ عَلَى الصَّلْحِ (١) .  
(تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

## ١٨١ - خطبة علي بن أبي طالب

فَلَمَّا رَجَعَ التَّمَقُّعُ مِنْ عِنْدِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، جَمَعَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ النَّاسَ ، ثُمَّ قَامَ  
عَلَى الْفَرَائِثِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ  
أَجَاهِلِيَةَ وَسَقَاهَا ، وَالْإِسْلَامَ وَالسَّعَادَةَ ، وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بِالْخَلِيفَةِ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ، ثُمَّ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ، الَّذِي جَرَّهَ  
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا ، حَسَدُوا مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْفَضِيلَةِ ، وَأَرَادُوا  
رَدَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَاللَّهُ بِالْعِزِّ أَمْرَهُ ، وَمُصِيبٌ مَا أَرَادَ ، أَلَا إِنِّي رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا ،  
أَلَا وَلَا يَرْتَحِلُنَّ غَدًا أَحَدٌ أَعَانَ عَلَى عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ،  
وَلْيُغْنِ السَّفَهَاءُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ . » .  
(تاريخ الطبري ٥ : ١٩٤)

(١) وَلَكِنَّ السَّبْيِينَ أَحْبَبُوا مَسَاعِيَ الصَّلْحِ ، إِذْ خَرَجُوا فِي الْغُلَسِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِمْ أَحَدٌ ؛ فَتَقَصَّدَ  
مَضْرَهُمُ مَضْرَ البَصْرَةِ ، وَرَبِيعَتَهُمْ رَبِيعَةَ البَصْرَةِ ، وَيَمْنَهُمْ يَمْنَ البَصْرَةِ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ . فَتَارَكَلْ  
قَوْمٌ فِي رُجُوهِ أَصْحَابِهِمْ ، وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ، وَكَلَا انْفَرِيقَيْنِ لَا يَعْلَمُ بَكْتَهُ تِلْكَ الْمَسْكِيَّةُ ، وَكَانَ  
بَيْنَهُمَا مَا كَانَ .

## ١٨٢ - خطبة لعلی

ولما أراد علیّ المسیر إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :

إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله . استأثرت علينا قریش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دماهم ، والناسُ حديثو عهد بالإسلام ، والدين يُمخضُ مخض الوطْب (١) يفسده أدنى وهن ، وينكسه (٢) أقل خلق ، فولى الأسمَ قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله ولىّ تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ، فما بال طلحة والزبير — وليس من هذا الأمر بسبيل — لم يصبرا علىّ حولا ولا أشهراً حتى وثبا ومرقا ، ونازعانى أمرالم يجعل الله لهما إليه سبيلا ، بعد أن بايعانى طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أمّا قد فطمت ، ويحييان بدعة قد أميتت ، أدمَ عثمان زعماء ؟ والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم ، وإن أعظم حجتهم لعلیّ أنفسهم ، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم ، فإن فاءً وأنا بابا فخطبهما أحرزا ، وأنفسهما غنيا ، وأعظمُ بهما غنيمَةً ، وإن أيبا أعطيتهما حدَّ السيف ، وكفى به ناصرا لحقّ ، وشافيا لباطل » ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الوطْب : سقاء اللبن . (٢) فى الأصل « ويمكسه » وأراه محرفا . نكسه : قلبه

## ١٨٣ - خطبة لعلی

وخطب فقال :

« الحمد لله على كل أمر وحال ، في الغدور والآصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياة للبلاد ، - حين امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حيلها ، وعُبد الشيطان في أكنافها ، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخذ به شرارها ، ونزع به أوتادها ، وأقام به ميلها ، إمام الهدى ، والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلقد صدع بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فأصلح الله به ذات البين ، وآمن به السبل ، وحقن به الدماء ، وأآف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه الله إليه حميدا .

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فقال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني ، فقبضت يدي فبسطتموها ، وتدا ككتم على حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جدل ، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول : « ما من وائل يلى شيئا من أمر أمتي إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثم يُنشر كتابه ، فإن كان عادلا نجيا ، وإن كان جاثرا هوى حتى اجتمع على ملوك ، وبايعنى طلحة والزبير ، وأنا أعرف الغدر في أوجههما ، والنكث في أعينهما ، ثم استأذنانى في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فسارا إلى مكة واستخفعا نساء وخذعاها ، وشخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر ، وباعجا

لاستقامتهما لأبي بكرٍ وعمر وبغيرهما علىٰ وهما يعلمان أنى لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلتُ ، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشَّام كتاباً يحدّهما فيه ، فكتماهُ عني ، وخرجا يوهمان الطَّعام أنهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا علىٰ منكرا ، ولا جملا بيني وبينهم نصفا ، وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوبٌ منهما ، يا خبيبة الدّاعى إلامَ دعا؟ وبماذا أجيب؟ والله إلهما لعلّى ضلالة صمّاء ، وجهالة عمياء ، وإن الشيطان قد ذمر لها حزبه ، واستجلب منهما خيله ورّجه ، ليعيد الجور إلى أوّطانه ، ويردّ الباطل إلى نصابه .

ثم رفع يديه فقال : اللهم إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبا علىٰ ، فاحلّ ما عقدا ، وانكث ما أبرما ، ولا تنفر لهما أبداً ، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا .  
( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢ )

## ١٨٤ - خطبة الأشتر

فقام إليه الأشتر فقال :

« الحمد لله الذى منّ علينا فأفضل ، وأحسن إلينا فأجمل ، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبت ووقفت وأنت ابن عم نبيّنا ، وصهره ووصيه ، وأوّل مصدّق به ومصلّ معه ، شهدت مشاهدته كلها ، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمّة ، فن اتبعك أصاب حظّه ، واستبشر بفلّجه<sup>(١)</sup> ، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية ، لعمرى يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل<sup>(٢)</sup> ، ولقد دخل الرّجلان فيما دخلا فيه ، وفارقا على غير حدّث أحدثت ولا جور صنعت ، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنهما أوّل من ألب عليه وأغرى النّاس بدمه ، وأشهد الله أنن لم يدخلنا فيما خرّجا منه لتلحقنهما بعثمان ، فإن سيوفنا فى عواتقنا ، وقلوبنا فى صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس » ثم قعد .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢ )

(١) الفلج : الفوز . (٢) من أخالت الناقة إذا كان فى ضرعها لبن ، والأرض بالنبات ازدانت .



## ١٨٥ - خطبة السيدة عائشة (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة وقد أخذ الناس مصافهم للحرب فقالت :

« أما بعد : فإننا كنا نعمنا على عثمان ضرب السوط ، وإسرة الفتيان ، وموقع السحابة الحمية ، ألا وإنكم استمتموه فأعتبكم ، فلما مُصتموه (١) كما يماص الثوب الرّحيض (٢) عدوتم عليه ، فارتكبتم منه دما حراما ، وإيم الله إن كان لأحصنكم فرجا ، وأتقاكم الله . »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

## ١٨٦ - خطبة لعلی

وخطب على لما تواقف الجمعان فقال :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم ، فإنكم محمد الله على حجة ، وكفكم عنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتوهم فلا تتبعوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تملأوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى حال القوم فلا تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دارا ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعير بها وعقبه من بعده . »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

(١) الموص : الدلك باليد . (٢) رخص الثوب كتمه : غسله فهو رحيض ومرحوض .

## ١٨٧ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل

وخطبت السيدة عائشة رضی الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :

« أيها الناس : صه صه ، إن لي عليكم حقَّ الأُمومة ، وَحُرْمَةَ المَوْعِظَةِ ، لَا يَتَّبِعُونِي إِلَّا من عَصَى رَبِّهِ ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرِي<sup>(١)</sup> وَنَحْرِي ، فأنا إحدى نَسَائِهِ في الجنة ، له ادَّخَرَنِي رَبِّي ، وَخَلَصَنِي من كل بَضَاعَةِ ، وَبِي مَيْزَ مَنَاقِكُمْ من مُؤْمِنِكُمْ ، وَبِي أَرْخَصَ اللهُ لَكُمْ في صَيْدِ الأَبْوَاءِ<sup>(٢)</sup> ، ثم أَبِي ثَانِي اثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثَهُمَا وَأَوَّلُ من سُمِّي صِدِّيقًا ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ، فسك أبي بطرفيه ، ورتق لكم فتقَ النفاق ، وأغاض نَبْعَ الرِّدَّةِ . وَأطفأ ما حَسَّ<sup>(٣)</sup> يهود ، وأنتم يومئذ جُحُظُ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرَأَبَ النَّأْيِ<sup>(٤)</sup> وَأَوْدَ<sup>(٥)</sup> من الغِلَظَةِ ، وانتاش من الهُوَّةِ ،

(١) السحر : الرثة . (٢) الصيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر أمّة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى ( جيل وعلا ) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به . وفي الحديث : « عن عائشة رضی الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عدلي ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام للناس معه وليسوا على ماء ، فأقى الناس إلى أبي بكر الصديق فقلنا ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خصاصرتي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فتييموا ، فقال أسيد بن الحضير ( بصيغة التصغير ) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصدينا المقد تحتة » ( راجع الحديث كاملا في باب التيمم من صحيح البخارى ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦ ) . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) البأى والبأى بسكون الهمزة وفتحها : الإفساد . (٥) أوده فتأود : عطفه فانمطف .

وَأَجْتَحَى<sup>(١)</sup> دَفِينِ الدَّاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ<sup>(٢)</sup> الْوَارِدُ ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَّ<sup>(٣)</sup> النَّاهِلُ ،  
فَقَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاطَّأًا عَلَى هَامَاتِ<sup>(٤)</sup> النِّفَاقِ ، مُذْ كِيًّا<sup>(٥)</sup> نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ  
طَاعَتِكُمْ بِجَبَلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مُرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ<sup>(٦)</sup> ،  
عُرْكَةَ لِلْأَذَاةِ بِجَنْبِهِ<sup>(٧)</sup> ، صَفُوحًا عَنْ أَذَاةِ الْجَاهِلِينَ ، يَقْظَانُ اللَّيْلَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ،  
فَسَلَّكَ مَسَلَّكَ السَّابِقَةَ ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُضِبُ الْمَسْأَلَةَ  
عَنْ مَسِيرِي هَذَا ، لَمْ أَلْمَسْ إِثْمًا ، وَلَمْ أُؤْنِسْ فِتْنَةً أَوْ طِشْكُوهَا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ،  
وإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا ، وَأَنْ يَخْلِفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلافةِ الْمُرْسَلِينَ .

(المقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

## ١٨٨ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ  
- وكان على ثغر همدان استعمله عليه عثمان - كتابًا يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب  
الجل ، وما أوتي من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على  
جرير بكتاب على وقرأه جرير ، قام زفر خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليًّا كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رجيعًا<sup>(٨)</sup> من  
القول ، إن الناس بايعوا عليًّا بالمدينة غير محاباةٍ ببيعتهم ، لعله بكتاب الله وبري الحق

(١) اجتعا: استأصله . (٢) أعطن الإبل: حبسها عند الماء . (٣) العل والعلل : (بفتحين)

الشرب بعد الشرب تبعًا على يعل بكسر العين وضمها ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفرح .

(٤) جمع هامة : وهي الرأس . (٥) مشعلا . (٦) اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة

نخرة سود) ولابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة ، كما

يقال : رحب الفناء واسع الجنب . (٧) أي يعرك الأذى بجنبه : أي يحتمله. وفي هذه الخطبة تحريف شديد

في الأصل وقد أصلحته كما يتبين بالمراجعة . (٨) الرجيع : كل مردد .

فيه ، وإن طلحة والزبير نَقَضَا بَيْعَةَ عَلِيٍّ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وَالْبَاءُ (١) عليه الناس ، وأخرج أم المؤمنين عائشة من حِجَابٍ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فلقبهما فَأَعْذَرَ فِي الدِّعَاءِ ، وَخَشِيَ الْبَغْيَ ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى مَا يَعْرِفُونَ ، فَهَذَا عَيَانٌ (٢) مَا غَابَ عَنْكُمْ ، وَإِنْ سَأَلْتُمْ الزِّيَادَةَ زِدْنَاكُمْ .  
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

### ١٨٩ — خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجلي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيتها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو للأمن على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أفضيته ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليُّ أحقَّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والقناء في الفرقة ، وَعَلِيٌّ حَامِلِكُمْ مَا اسْتَقَمْتُمْ لَهُ ، فَإِنْ مِلْتُمْ أَقَامَ مَيْلَكُمْ . »  
قال الناس : سمعاً وطاعة ، وَرِضَانًا رِضًا مِنْ بَعْدِنَا .  
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

### ١٩٠ — خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام علي كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس — وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان — بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبد الله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب علي ، قام زياد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) حرصاً . (٢) مصدر عابن الشيء : إذا رآه بعينه .

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعة عليّ على غير حدث ، وأخرجوا أم المؤمنين على غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » . ( الإمامة والسياسة ١ : ٧٠ )

### ١٩١ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولآنى أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس علياً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » . ( الإمامة والسياسة ١ : ٧٠ )

### ١٩٢ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وبعث عليّ إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي بكتاب يدعو إلى بيعته ، فلما قرأ الكتاب قام جرير فخطب فقال :

« الحمد لله الحمود بالعوائد ، المأمول فيه الزوائد ، المرتجى منه الثواب ، المستعان على النوائب ، أحده وأستعينه في الأمور التي تحيّر دونها الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل الماضية ، والقرون الخالية ، فبلغ الرسالة ، ونصح للامة ، وأدى الحق الذي استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ، صلى الله عليه وآله ، من رسول ومبتعث ومنتخب وعلى آله .

أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيان من شهده ، فكيف بمن غاب عنه ، وإن الناس بايعوا عليا غير واثق ولا متور ، وكان طلحة والزبير ممن بايعاه ، ثم نكثنا بيعته على غير حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة مُلّمة ، إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس ، وقد بايعت الأمة علياً ، ولو ملكنا والله الأمور لم نختر لها غيره ، فادخل معاوية فيما دخل فيه الناس ، فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلي فإن هذا قول لو جاز لم يبق لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ، ولكن الله جعل للآخر من الولاية حقّ الأول ، وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضاً » ثم قعد .  
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨)

### ١٩٣ — خطبة معاوية

فقال معاوية : أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام ، فضمت أيام ، وأمر معاوية مناديا ينادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال :

« الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهاناً ، يتوقد قبسه في الأرض المقدسة ، جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلهم أرض الشام ، ورضيهم لها ، لما سبق في مكثون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلقاءه والقوام بأمره ، والذابين عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل الخيرات أعلاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم أئمة المؤمنين ، والله نستعين على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الالتئام ، وتباعد بعد القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون إراقة دماننا ، وإخافة سبلنا ، وقد علم الله أننا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نهتك لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زلقاً ، غير أن الله الحميد كساننا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ، ما جاوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، حملهم على ذلك البغي والحسد ، فنستعين بالله عليهم .

« أنها الناس قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عفان عليكم ، وأنى لم أقم رجلا منكم على خزاية قط ، وأنى ولّى عثمان وقد قتل مظلوما ، والله تعالى يقول « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا » وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك ، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله .  
( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨ )

## فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

لما أراد الإمام عليّ كرم الله وجهه المسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأَنْصار فجمعهم .

### ١٩٤ - خطبة الإمام عليّ

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ ، مُبَارِكُوا الْأَمْرَ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

### ١٩٥ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقَّاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جِدُّ خَبِيرٍ ، هَمُّ لَكَ وَالْأَشْيَاعُكَ أَعْدَاءُ ، وَهَمُّ لِمَنْ يَطْلُبُ حَرْثَ<sup>(١)</sup> الدُّنْيَا أَوْلِيَاءُ ، وَهَمُّ مَقَاتِلِكَ وَمَجَادِلِكَ ، لَا يُبْتَقُونَ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً<sup>(٢)</sup> عَلَى الدُّنْيَا ، وَضِنًا<sup>(٣)</sup> بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا ، لَيْسَ لَهُمْ إِزْبَةٌ<sup>(٤)</sup> غَيْرَهَا ،

(١) أى متاعها . (٢) بخلا عليها وحرصا . (٣) ضن ضنا : بالكسر وضنانه بالفتح : بخل .

(٤) الإزبة : الأرب .



إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَهَّالَ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ، كَذَبُوا ! لَيْسُوا لِدَمِهِ يَنْفِرُونَ<sup>(١)</sup> .  
ولكن الدنيا يطلبون، انهض بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال،  
وإن أبوا إلا الشقاق، فذاك ظني بهم، والله ما أراهم يبايعون، وقد بقي فيهم أحد ممن  
يُطَاعُ إِذَا نَهَى ، وَلَا يَسْمَعُ إِذَا أَمَرَ .

### ١٩٦ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا فَاغْفَلْ ، اشْخَصْ بِنَا قَبْلَ  
اسْتِعَارِ<sup>(٢)</sup> نَارِ الْفَجْرَةِ ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى حظهم ورؤسدهم،  
فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَفَكْنَا دِمَاءَهُمْ ، وَالْجِدِّ فِي جِهَادِهِمْ ،  
لِقُرْبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةٍ مِنْهُ . »

### ١٩٧ - خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : انكش<sup>(٣)</sup> بنا إلى عدونا ولا تفرّج، فوالله لجهادهم أحب إلى  
من جهاد الترك والروم، لإدھانهم<sup>(٤)</sup> في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد  
صلى الله عليه وآله، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غَضِبُوا عَلَى رَجُلٍ  
حَبَسُوهُ وَضَرَبُوهُ وَحَرَمُوهُ وَسَيَّرُوهُ<sup>(٥)</sup> ، وَفَيئُنَّا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حِلَالٌ ، وَنَحْنُ لَهُمْ فِيهَا  
يَزْعَمُونَ قَطِينٌ<sup>(٦)</sup> . »

(١) نفر للأمر : ذهب له . (٢) أى اشتعال . (٣) انكش وتكش : أسرع .  
(٤) الإدھان : المداينة والنش . (٥) المراد أبعده . (٦) القطين : الرقيق والخدم .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لِمَ تَقَدَّمْتَ  
أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ، فقال : أما إني عارف بفضلكم ، مُعْظَم  
ثُشَانِكُمْ ، ولاكني وجدت في نفسي الضغن الذي في صدوركم ، جاش حين ذكرت  
الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِيبَ أمير المؤمنين عليه السلام  
عن جماعتكم .

### ١٩٨ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« يا أمير المؤمنين : نحن سلم لمن سالمت ، وحرب لمن حاربت ، ورأينا رأيك ،  
ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم في أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخص ، وتُخبرهم بما صنع  
لهم في ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن استقاموا لك ، استقام لك  
الذي تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلاف منا ، متى دعوتنا أجبناك ، ومتى  
أمرتنا أطعناك » .

### ١٩٩ - خطبة الامام علي

وقام الإمام علي خطيباً على منبره ، يحرّض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال  
أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والشنن ، سيروا إلى بقية الأحزاب <sup>(١)</sup>  
وَقَتْلَةَ المهاجرين والأنصار » .

(١) يشير إلى الأحزاب التي تألّبت وتظاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،  
وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى سليم ، وبنى أسد في غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التي كانت  
سنة خمس للهجرة ، وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقائدهم العام أبو سفيان .

فقام رجل من بني فزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلهم كُلاً ؟ ها الله<sup>(١)</sup> إذن لا نفع لك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فهرب الفزاري ، واشتد الناس على أثره ، فلحق في مكان من السوق ، تباع فيه البراذين<sup>(٢)</sup> ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونصال سيوفهم ، حتى قُتل ، فأتى على عليه السلام ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قُتل الرجل ، قال : ومن قتله ؟ قالوا : قتلته همدان ومعهم شوب<sup>(٣)</sup> من الناس ، فقال : قتل عمية<sup>(٤)</sup> لا يدري من قتله ، ديبته من بيت مال المسلمين ، فقام الأشر فقال :

### ٢٠٠ - خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت ، ولا يؤلنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ، إن جميع من ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ، ولا يحبون البقاء بعدك ، فإن شئت فسير بنا إلى عدوك ، فوالله ما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه ، وإننا لعلى بدينه من ربنا ، وإن أنفسنا لن تموت حتى يأتي أجلها ، وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ، وقد وثبت عصابهم<sup>(٥)</sup> منهم على طائفة من المسلمين بالأمس ، وباعوا خلاقتهم<sup>(٥)</sup> بعرض من الدنيا يسير . »

فقال على<sup>٥</sup> : الطريق مشترك ، والناس في الحق سواء ، ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة ، فقد قضى ما عليه « ثم نزل فدخل منزله . »

(١) هي ها التنبية ، وهي تدخل على اسم الله في القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف « ها » وحذفها . (٢) البراذين : الدواب ، جمع برذون . (٣) خليط . (٤) قتل عميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء : لم يدري من قتله . (٥) الخلاق : النسيب الوافر من الخير .

## ٣٠١ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المقمّم المَبْسِي وَحَنَظَلَةَ ابن الرّبيع التميمي ، في رجال كثير من غَطَفَان وبنى تميم ، فقال له حنظلة :

« يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فأقبلها ، وَرَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّنَا عَلَيْنَا ، فَإِنَا نَنْظُرُ نَا لَكَ وَلَمْ نَمَعَكَ ، أَقِيمْ وَكَانِبْ هَذَا الرَّجُلَ ، وَلَا تَمَجَّلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْغَلْبَةُ إِذَا التَّقِيمُ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ <sup>(١)</sup> . »

وقال ابن المقمّم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

## ٣٠٢ - رد الإمام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله وارثُ العِيَادِ والبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ والأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ، ظَفَرُوا أَوْ ظَفَرِ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لِأَسْمَعُ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا . »

فقام إليه مَعْقِل بن قيس الرّياحيّ فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثر بك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلا بغش ، فَاحْذَرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ . »

(١) الدبرة بسكون الباء وفتحها: الغزيرة في القتال .

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حظلة هذا يكاتب معاوية ، فادفعه إلينا نحسبه ، حتى تنقضي غزاتك وتصرف » .  
وقام من بني عبس قأد بن بكر ، وعيَّاش بن ربيعة ، فقالا :  
« يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قد بلغنا أنه يكاتب معاوية ، فاحسبه أو مكنتنا من حسبه ، حتى تنقضي غزاتك ثم تصرف » .  
فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »  
فقال لهما عليٌّ عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلِّمكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم <sup>(١)</sup> » .

### ٢٠٣ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدى بن حاتم الطائي ، بين يدي عليٍّ عليه السلام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ إلا بعلم ، ولا دعوتُ إلا إلى حق ، ولا أمرتُ إلا برُشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني <sup>(٢)</sup> هؤلاء القوم وتستدبهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدم عليهم رُسلك ، فمَلت ، فإن يقبلوا يُصيبوا رُشدهم ، والعافية أوسعُ لنا ولهم ، وإن يتمادوا في الشقاق ، ولا يَبزِعُوا عن العتَى ، نسير إليهم ، وقد قدَّمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى مافي أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعَدُ ، وعلى الله أهون

(١) هذا ، وقد خرجنا إلى معاوية في رجال من قومهما ، ولكنهما لم يقانلا معه واعتزلا الفريقين جميعا .

(٢) تنتظر .

من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة ، لما دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناوخناهم براكاء القتال<sup>(١)</sup> ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

## ٢٠٤ — خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حصين الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :

« الحمد لله حتى يرضى ، ولا إله إلا الله ربنا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تصلح لنا النية في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنئهم ، فما الأعمال إلا تباب<sup>(٢)</sup> ، ولا السعي إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : ( وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ) إننا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يتبعونه ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حظهم ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والعدوان ؟ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان . »

فقام رجل من طي فقال : « يا زبْدُ بن حصين ، أكلام سيدنا عدى بن حاتم يُهَجَّن<sup>(٣)</sup> ؟ » فقال زيد : « ما أتم بأعرف بحق عدى منى ، ولا كنى لا أدع القول بالحق وإن سخط الناس . »

## ٢٠٥ — خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلال إنك لأنقلنا ظهراً<sup>(٤)</sup> ، وأعظمنا وزراً ، قد أمرتنا بالسير

(١) براكاء القتال وبروكاء: موضع اصطدام القوم، وناوخناهم مفاعلة، من أناخ الإبل: إذا أبركها، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال. (٢) خمران. (٣) يقبح. (٤) لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذنوباً.

إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذي نحن عليه هو الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحُوب<sup>(١)</sup> الكبير ؟ » .

فقال عليه السلام : « بَلَى ، شهدت أنك إن مَضَيْتَ معنا ناصراً لدعوتنا ، صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما زعمت ، فإنك ولى الله تَسْبِحُ في رضوانه ، وترَكُّضُ في طاعته ، فأبشِرْ أبا زينب » وقال له عمار بن ياسر : « أُثْبِتْ أبا زينب ، ولا تشكَّ في الأحزاب أعداء الله ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أَحِبُّ أن لى شاهدين من هذه الأمة ، شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى أَهَمَّنِي مكانكما » .

## ٢٠٦ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي<sup>(٢)</sup> على على عليه السلام فقال :  
« يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز<sup>(٣)</sup> وعدة ، وأكثرُ الناس أهلَ قوة ، ومَن ليس به ضعف ولا علة ، فَرُّهُ مُنَادِيكَ فلينادِ الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة ، فإن أخوا الحرب ليس بالسُّنوم ولا التُّنوم ، ولا مَن إذا أمكنتهُ الفُرْصُ أَجَلَمَهَا ، واستشار فيها ، ولا مَن يؤخر عمل الحرب اليومَ لغدٍ ، وبعد غد » .

## ٢٠٧ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :  
« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال : ما يَعْرِفُ ، فتوَكَّلْ »

(١) الحوب بالفتح والضم : الإثم . (٢) نسبة إلى أرحب : وهى قبيلة من همدان .

(٣) جهاز المسافر والبروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبة عنك إلى من ليس له مثل سابقتك وقدمك ، وإلاً ينيبوا ويقبلوا ، وأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هيئنا ، وزحو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم ثم<sup>(١)</sup> بالأمس .

## ٢٠٨ - خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إما يقاتلوننا فراراً من الأسوة<sup>(٢)</sup> ، وحُباً للأثرة<sup>(٣)</sup> ، وضناً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن<sup>(٤)</sup> في نفوسهم ، وعداوةٍ يجذونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة ، في موقف واحد<sup>(٥)</sup> والله ما أظهم يفعلون ، ولن يستقيموا لكم دون أن تُقصّف فيهم فنّاً المران<sup>(٦)</sup> ، وتقطع على هامهم<sup>(٧)</sup> السيوف ، وتنثر حواجرهم بعمد الحديد ، وتكون أمور جمّة بين الفريقين .

(١) هناك ، يريد البصرة . (٢) الأسوة بالضم والكسر : القدوة : أي فراراً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . (٣) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . (٤) جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . (٥) هو جده لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد تلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الإمام إلى معاوية يقول : « فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي » . (٦) القنا : الرماح جمع قناة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضافة على المعنى الأول على حد قوله تعالى ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ ) - إن فسر العرم بالمطر الشديد - ( وفسر أيضاً بالأجاس والسدود تبنى في الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله ) وعلى المعنى الثاني : أي القنا المتخذة من الشجر . (٧) الهام جمع هامة : وهي الرأس .



## ٢٩ - أدب الامام علي ، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيّ ، وعمرو بن الحَمِق ، يُظهِران البراءة من أهل الشام ، فأرسل عليّ عليه السلام إليهما أن كُفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : السنا مُحَمِّين ؟ » قال : بلى ، قالوا : « أو ليسوا مُبْطِلين ؟ » قال : بلى ، قالوا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا من شتمهم ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَقَامِينَ ، كَشْتَمُونَ وَتَبْرَهُونَ ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ فَقَلْتُمْ : مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، كَانَ أَضَوِّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقَلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبِرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحِ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مَنْ جَهَلَهُ ، وَيَرَعُوهُ عَنِ الْغِيِّ وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لَسَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ » .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، ونتأدب بأدبك .

## ٢١٠ - مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحَمِق يومئذ :

« والله يا أمير المؤمنين ، إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تُؤْتِينِيهِ ، ولا التماس سلطان ترفع ذِكْرِي بِهِ ، ولكنني أحببتك بخصال خمس ، إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووصيه ، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسبق الناس إلى الإسلام ، وأعظم المهاجرين مَهْمًا

في الجهاد ، ولو أني كَلَّفْتُ نَقْلَ الجبال الرَّوَاسِي ، ونَزَحَ البحور الطَّوَامِي <sup>(١)</sup> حتى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فِي أَمْرٍ أَقْوَى بِهِ وَرَأْيِكَ وَأَهْمِنُ عَدْوَكَ ، مَا رَأَيْتُ أَنِي قَدِ ادَّيْتُ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ .

فقال عليٌّ عليه السلام : « اللهم نُورَ قلبه بالتقى ، واهدِه إلى صراطك المستقيم ، ليت أن في جندي مائة مثلك » فقال حجر : إذن والله يا أمير المؤمنين صح جنودك ، وقلَّ فيهم من يُعَشِّك .

### ٢١١ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين نُلَجِّحُهَا <sup>(٢)</sup> وَنُنْتَجِجُهَا ، قد ضَارَسْنَا <sup>(٣)</sup> وضارسانها ، ولنا أعوانٌ وعشيرةٌ ذاتُ عددٍ ، ورأى مجرَّبٌ ، وبأس محمود ، وأزيمتنا ، منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرفقت شرفنا ، وإن غربت غربنا ، وما أمرتنا به من أمر فعلنا .

فقال عليٌّ عليه السلام : أكلُّ قومك يرى مثل رأيك ؟ قال : ما رأيتُ منهم إلا حسناً ، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له عليٌّ عليه السلام خيراً .

### ٢١٢ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُدَيْل الخزاعي :

« إن يومنا ليوم عَصَبُصَبٍ <sup>(٤)</sup> ، ما يبصر عليه إلا كلُّ مُشَبَّعِ القلب ، صادق النية

(١) جمع طام ، من طعى البحر : إذا امتلأ . (٢) أصله من ألح الفحل الناقه . (٣) ضرسته

الحرب تضربها : جربته وأحكته ، وضارس الأمور : جربها وعرفها . (٤) أى شديد .

رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبقي منهم ولا منا إلا الرذال<sup>(١)</sup> » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تُظهراه ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية مَنِيَّتُهُ كما كتب الله له ، فطوبى للجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعمِلوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى<sup>(٢)</sup> بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصدَ بهم قصدَ الردى ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها ، كرهتُنا في الآخرة ، وانتجّازِ موعد ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رَحماً ، وأفضل الناس سابقةً وقدماً ، وهم يا أمير المؤمنين يعملون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتِبَ عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين . فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منسرحة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك ، جَدَلَةٌ ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلت<sup>(٣)</sup> ، ولا ما تحت السماء فما أظلت ، وأنى وَاليت عدوّك ، وعاديت ولياً لك » .

فقال على عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك » .

(١) الدون : الخسيس ، أو الردىء من كل شيء . (٢) استهواه : استماله والفعل متعد ومفعوله هنا

مخدوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم — فالباء للسببية . (٣) أى حملت .

## ٢١٣ - خطبة الامام عليّ

ثم إن علياً عليه السلام صيّد المنبر، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصّبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجّزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمرا<sup>(١)</sup> الإسلام متينةً، وعُراه وثيقةً، ثم جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب، وغنيمة الأكياس<sup>(٢)</sup> عند تفريط العجزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفّه<sup>(٣)</sup> نفسه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه، معارضة وجنده، الفئة الطاغية الباغية، بقودهم إبليس، ويَبْرِق لهم ببارق تسويقه، ويدلّهم<sup>(٤)</sup> بقُروره، وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمعرور من آثر الضلالة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس<sup>(٥)</sup> عنى، وقال في غيرى كفاية، فإن الذود إلى الذودِ إبل<sup>(٦)</sup> : \* وَمَنْ لَا يَذُدُ عَنِ حَوْضِهِ يَتَهَدَّمِ \*

ثم إنى أمركم بالشدّة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا تفتأبوا مسلماً، وانتظروا النصر العاجل من الله، إن شاء الله .

(١) جمع مرس بفتحيتين، ومرس جمع مرسة بفتحيتين أيضاً : وهو الخيل . (٢) جمع كياس : وهو ضد الأحمق . (٣) أصله سفهت نفسه، فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . (٤) أى يحطهم عن منزلتهم . قال تمالى : (فَدَلَّاهُمَا بِقُرُورٍ) (٥) تأخر وتقاعد . (٦) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً . فإلى بمعنى مع .

## ٢١٤ - خطبة الحسن بن عليّ

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدّى شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا لله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قطّ على أمرٍ واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تتأذلوا ، فإن الخلدان يقطع نياط القلوب<sup>(١)</sup> ، وإن الإقدام على الأسنّة نخوة وعصنة ، لم يتمنع قوم قطّ إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

## ٢١٥ - خطبة الحسين بن عليّ

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يأهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، والشّعار<sup>(٢)</sup> دون الدثار ، جدّوا في إطفاء ما وتر<sup>(٣)</sup> بينكم ، وتسهيل ما توغرّ عليكم ، ألا إن الحرب شرها وريع<sup>(٤)</sup> ، وطمها

(١) عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، جمه أنوطة . « والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

جمه أوتنة » . (٢) الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

(٣) الوتر والرتة : الثأر ، وتره يبره ، وورره حقه : نقصه إياه ، ووتره : أدركه بمكروه .

(٤) الريع : الكاف . أى إن شرها عظيم يدعو الناس إلى أن يكفوا عن خوض غمارها .

فظيح ، فن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يَألم كَلُومَهَا<sup>(١)</sup> قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قَمِنَ<sup>(٢)</sup> أن لا ينفذ قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يدعكم بالقيثه<sup>(٣)</sup> « ثم نزل .  
( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨ )

## ٢١٦ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى ابن عباس بالبصرة .

« أما بعد فاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكركم بلائي عندهم ، وعفوى عنهم في الحرب ، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل والسلام . »

فلما وصل كتابه إلى ابن عباس قام في الناس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أيها الناس : استعدوا للشخص إلى إمامكم ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، فإنكم تقاتلون المجلين القاسطين ، الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحق ، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصادق بالحق ، والقيم بالهدى ، والحاكم بحكم الكتاب ، الذي لا يرتشى في الحكم ، ولا يدهن الفجّار ولا تأخذه في الله لومة لائم . »

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٣ )

(١) كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . (٢) جدبر وحقيق . (٣) القيثه : بفتح الفاء وكسرهما ،

والقوة : الغنيمة ، أي نبال الله أن يعويكم بما تمنون من عدوك .

## ٢١٧ - خطبة معاوية

ولما نزل على النخيلة متوجها إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضبا بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجف دموعهم على عثمان خطبهم وقال :

« يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي ، وقد استبان لكم أمره ، والله ما قتل خليفتم غيري ، وهو أمر بقتله ، وألب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لإبادتكم .

يا أهل الشام ، الله الله في دم عثمان فأنا وليه وأحق من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولى المقتول ظلما سلطانا ، فانصروا خليفتم المظلوم ، فقد صنع القوم ما تعلمون ، قتلوه ظلما وبغيا ، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله » ، ثم نزل .  
فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للقاء على .

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٦ )

## وفد عليّ على معاوية

بعد أن نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مَحْصَن الأنصاري ، وسَعِيد بن قيس الهمدانيّ ، وشَبَث بن رِبْعِيّ التيميّ ، فقال : انتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربيعي : يا أمير المؤمنين : ألا تُطِعمه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك إن هو بايعك ؟ فقال عليّ : انتوه فالتوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيته ؟ - وهذا في أوّل ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فاتوه ، ودخلوا عليه .

### ٢١٨ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه وقال :

« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بملكك ، وجّازيك بما قدّمت يداك ، وإنّي أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن نسفك دماءها بينها . »

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :

« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقراية من الرّسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : بأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك . »



قال معاوية : وَنَظِلَ دَمُ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا ، فَذَهَبَ  
سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَتَكَلَّمُ ، فَبَادَرَهُ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَتَكَلَّمَ :

## ٢١٩ - خطبة شبث بن ربعي

نحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابنِ مُحْصَنٍ ، إنه والله لا يخفى علينا ما تنزرو  
وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به  
طاعتهم ، إلا قولك : « قُتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا ، فَنَحْنُ نَطْلُبُ بَدَمَهُ » فاستجاب لك سفهاء  
طَافِمٍ ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت  
تطلب . وَرُبَّ مَتَمَنَى أَمْرٍ وَطَالِبِهِ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحُولُ دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ ، وَرَبِّمَا أُوتِيَ الْمُتَمَنَّى  
أَمْنِيَّتَهُ ، وَفَوْقَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَوَاللَّهِ مَا لَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرٌ ، لئن أخطأت ما ترجو ، إنك  
لشر العرب حالا في ذلك ، ولئن أصبت ما تَمَنَّى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صِلياً<sup>(١)</sup>  
النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله . »

## ٢٢٠ - خطبة معاوية

نحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرَفْتُ فِيهِ سَفَهَكَ ، وَخِيفَةَ حِلْمِكَ ، قَطَعْتُكَ عَلَى هَذَا الْحَسِيبِ  
الشريف سيِّدِ قَوْمِهِ مِنْطَقَهُ ، ثُمَّ عُنَيْتَ بَعْدُ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَلُوِّمْتَ<sup>(٢)</sup> ،

(١) صل النار : كرضى ، وصل بها صلياً بكسر الصاد وضمتها ، قامى حرها .

(٢) لومه لوما : حذله ، وألامه ولومه للمبالغة .

أيها الأعرابي الجلف<sup>(١)</sup> الجافي ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف .

وغضب وخرج القوم وشبث يقول : أفعلينا تهوّل بالسيف ؟ أقسم بالله ليمجّلنّ بها إليك ، فأتوا عليّ ، وأخبروه بالذي كان من قوله ، فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ورجلها ، ثم ينصرفان ، وكانوا بكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام ، لما يتخوّفون أن يكون في ذلك الاستئصال والهلاك .

( تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢ )

## وفد على إلي معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا على ترك الحرب في المحرم إلى انقضائه ، طمعا في الصلح واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث على عدي بن حاتم ، ويزيد ابن قيس ، وشبث بن ربعي ، وزيايد بن خصفة إلى معاوية .

### ٢٢١ - خطبة عدي بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلتنا وأمتنا ، ويحقي به الدماء ، ويؤمن به السبل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين ، أفضلها سابقا ، وأحسنها في الإسلام أنرا ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فانت يا معاوية ، لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل . »

### ٢٢٢ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهددا ، لم تأت مصلحا هيناه يا عدي ، كلاً والله ، إنى لأبئ حرب<sup>(١)</sup> ما يقع<sup>(٢)</sup> لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على

(١) هو جده . (٢) القمعة : تحريك النوى اليابس الصلب مع صوت ، والشنان : جمع شن

بالفتح ، وهو القرية البالية ، وإذا تمقع بالشنان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لاحقيقة له .

ابن عفان رضى الله عنه ، وإني لأرجو أن تكون ممن يَقْتُلُ<sup>(١)</sup> الله عز وجل به ، هَيْهَاتَ يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، قَدْ حَلَبْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ<sup>(٢)</sup> .

فقال له شَبْتُ بن ربيعى وزىاد بن خَصَفَةَ - وتنازعا جواباً واحداً -

« أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا ينفع به من القول والفعل ، وأجبتنا فيما يعمننا وإياك نفعه » .

### ٣٢٣ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلِّغك ما بُمِثْنَا به إليك ، وَلِنُودِّيَ عنك ما سمعنا منك ، ونحن - على ذلك - لن ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظنننا أن لنا عليك به حُجَّةٌ ، وأنتك راجع به إلى الالفة والجماعة ، إن صاحبيناً من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى ، ولن يُمَيِّلُوا<sup>(٣)</sup> بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ، ولا تحالف علياً ، فإننا والله ما رأينا رجلاً قطُّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لحِصَالِ الخَيْرِ كلها منه » .

### ٣٢٤ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فمعاوية ،

(١) أى يقتله . (٢) يعنى بذلك قوة استمداده للقتال وتأهبه له . (٣) التميل بين الشيعين ،

كالترجيح بينهما .

وَأَمَّا الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خَلِيفَتَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَأَوَى  
ثَأْرَنَا<sup>(١)</sup> وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبُكُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ، فَنَحْنُ لَانْرَدُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، أَرَأَيْتُمْ قَتْلَةَ  
صَاحِبِنَا ، أَلَسْتُمْ تَعْمَلُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ ؟ فَلْيَدْفَعُوا إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ بِحَيْبِكُمْ  
إِلَى الطاعة والجماعة .

فقال له شبت : أيسرك يا معاوية أنك أُمَكِنْتُ من عَمَّار<sup>(٢)</sup> تقتله ؟ فقال معاوية :

(١) الثأر : قاتل حيمك . (٢) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ،  
وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ،  
فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر »  
ومراد شبت بهذا القول إحراج معاوية . نقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » : أى  
إنك يا معاوية إن قتلت عمارا - وكان من أصحاب علي - كنت من الفئة الباغية . وتفصيل الخبر في ذلك  
ما روتهُ أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده  
بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا  
أرديتهم وأكسيهم يرتجزون ويقولون ويعملون .

لئن قمنا والنبي يعمل ذلك إذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متظففا ، فكان يحمل اللبنة ويحافى بها عن ثوبه ، فإذا وضعها  
نفض كفيه ، وذاظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر إليه على رضى الله عنه فأنشد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكما وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسممها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يابن سمية (وسمية أمه)  
ما أعرفني بمن تعرض ، ومعه جريدة ، فقال لتكفني أو لأعترضن بها وجهك ، فسمعه النبي وهو جالس في  
ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأذني » فن بلغ ذلك منه فقد بلغ منى ، وأشار بيده فوضمها بين  
عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ،  
فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال  
يريدون قتلى ، يحملون ابنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب  
ويقول « يابن سمية لا يملك أصحابي ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين ، وروى هذا الحديث عبد الله  
ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن  
قتلنا أيضا حزة لأننا أخرجناه (العقد النريد ٢ : ٢٣٧) .

وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلتهُ بعثمان رضي الله عنه ولكن كنتُ قَاتِلَهُ بِنَاتِلِ مولى عثمان ، فقال شيبث :

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَاتُ مَعْتَدِلَا <sup>(١)</sup> ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدُرَ <sup>(٢)</sup> الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبِهَا <sup>(٣)</sup> » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ عَلَيْكَ أَضِيقَ » وتفرَّقَ القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خَصْفَةَ التَّمِيمِيِّ فخلا به . فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أَمَا بَعْدُ يَا أَخَا رِبِيعَةَ ، فَإِنِ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامَنَا ، وَأَوَى قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِ أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلًّا وَعِزًّا وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَوْلِيكَ إِذَا ظَهَرَتْ <sup>(٤)</sup> أَيْ الْمَصْرِينَ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَادُ : فَلَمَّا قَضَى مَعَاوِيَةَ كَلَامَهُ حَدَّثَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا أُنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا <sup>(٥)</sup> لِلْمَجْرُمِينَ » ثُمَّ قَت .

( تاريخ الطبري ٦ : ٢ )

(١) أى إنك إذا عدات عمارا بناتل مولى عثمان : أى سويت بينهما لم تكن معتدلا فى حكامك .

(٢) ندر الشيء كنعصر ندورا : سقط من جوف شيء أو من بين أشياء فظهر . وإلهام الهموس : جمع هامة .

(٣) الرحب بالضم : الاتساع . (٤) أى غلبت وانتصرت . (٥) معيننا وناصرنا .

## وفد معاوية إلى عليّ

ومث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومثن ابن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

### ٢٢٥ - خطبة حبيب بن مسلمة

فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ ، ويُنيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقتم حياتاه ، واستبطأتم وفاته ، فعدّوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤلّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم . »

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعتزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هناك ، ولا بأهل له ، فقام وقال له : « والله لتريبني بحيث تكره » ، فقال عليّ : « وما أنت ولو أجنبت بخيلك ورجلك ؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحقره<sup>(١)</sup> وسوءاً ، أذهب فصوبّ وصعد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط :

(١) في كتب اللغة : حقره حقراً بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجد كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزأة وضحكة ، يقال رجل هزأة بضم الهاء وسكون الزاي أى يهزأ به وضحكة كذلك أى يضحك منه ، فالعنى أنكون حقرة أى حقيراً وتسوءنى سوءاً .

إني إن كلمتك فلمعري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبته به؟ فقال علي: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبته به.

## ٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

حَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أما بعد، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، فأخذ به من الضلالة، وانتاش<sup>(١)</sup> به من الهلكة، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه، وقد أدى ما عليه، صلى الله عليه وسلم، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه، فأحسننا السيرة، وعدلنا في الأمة، وقد وجدنا<sup>(٢)</sup> عليهما أن توليا علينا، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففغرنا ذلك لها، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء جابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم، فقالوا لي: بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني<sup>(٣)</sup>، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق<sup>(٤)</sup> بن طليق، حزب<sup>(٥)</sup> من هذه الأحزاب، لم يزل لله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وللمسلمين عدواً، هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كارهين،

(١) انتشل وأخرج . (٢) وجد عليه: غضب . (٣) يعني طلحة والزبير وما كان منهما من

الخلاف عليه، وانضمهما إلى السيدة عائشة . (٤) الطلقاء: هم الذين عفا عنهم النبي عليه الصلاة

والسلام بعد فتح مكة، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء . (٥) حزب بدل من طليق الثاني: أي ابن حزب

من هذه الأحزاب التي تألفت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش، وغطفان، وبني مرة،

وبني أشجع، وبني سليم، وبني أسد (في غزوة الأحزاب)، وهي غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عدة

الجميع عشرة آلاف مقاتل، وقادهم العام أبو سفيان .



فلا غرؤ<sup>(١)</sup> إلا خِلافكم معه ، وانقيادكم له ، وَتَدْعُونَ آلَ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم ، الذين لا ينبغي لكم شِقَاقَهُمْ ولا خِلافَهُمْ ، ولا أَنْ تَعْدِلُوا بِهِمْ من الناسِ أَحَدًا ، أَلَا إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ ، وَإِحْيَاءِ مَعَالِمِ الدِّينِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ .

فقالا : « اشهد أن عثمان رضي الله عنه قُتِلَ مَظْلُومًا » فقال لهما : « لا أقول إنه قُتِلَ مَظْلُومًا ، ولا إنه قتل ظالما » . قالوا : « فن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما ، فنحن منه برآء » ثم قاما فانصرفا ، فقال عليّ : « إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تُسْمِعُ الْعُمْمُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ، فَهُمْ مُسْلِمُونَ » .

( تاريخ الطبرى ٦ : ٤ )

(١) فلا غرؤ : أى لا عجب ، وقوله إلا خِلافكم معه : أى خِلافكم علىّ معه ، أو هو « خِلافكم معه » بالحاء : أى مخالفتكم له ، ومناصرتكم إياه .

# التحريض على القتال من قبل معاوية

٢٢٧ - خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله ، دعا عمرو ابن العاص ، فاستشاره ، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس » . فجاء عمرو فخصَّص الناس ، وضفَّ علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وفلّوا أحدهم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعليّ ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صنابيرهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، منهم من قد قَتَلَ خليفَتكم ، فالله الله في حكم أن تُضَيِّمُوهُ ، وفي دمكم أن تُطَلُّوهُ » .  
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٦)

٢٢٨ - خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقفة العظمى بصفين ، يحرص أهل الشام « وقد كان منحنيًا على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في سلطانه ، العليّ في مكانه ، الواضح في برهانه ، أحمده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رَزِيَّةٍ من بلاء<sup>(١)</sup> ، أو شدة أو رخاء ،

(١) البلاء : يكون محنة ، ويكون منحة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله ربّ العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين .

أَوْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاتَنَا وَصَلَاتَهُمْ ، وَصِيَامَنَا وَصِيَامَهُمْ ، وَحُجَّتَنَا وَحُجَّتَهُمْ ، وَقِبْلَتَنَا وَقِبْلَتَهُمْ ، وَدِينَنَا وَدِينَهُمْ وَاحِدٌ ؟ وَلَكِنِ الْأَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةٌ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ أَوْلِيَاءَهَا ، وَاحْفَظْ فِيهَا بَيْنَنَا ، مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَطِنُوا بِلَادَكَ ، وَبَعَوْا عَلَيْكَ ، فَجِدُّوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ، وَحَافِظُوا عَلَى حُرْمَاتِكُمْ <sup>(١)</sup> » ثم جلس .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ )

## ٢٢٩ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَعِيرُونَا جَبَاحَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ <sup>(٢)</sup> ، لَا تُقْتَلُوا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَتَّخِذُوا <sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ أَخْطَارٌ ، وَيَوْمٌ حَقِيقَةٌ وَحِفَاطٌ <sup>(٥)</sup> ، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَكَتِ الْبَيْعَةِ ، وَسَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ ، قَدَّمُوا أَحْبَابَ السَّلَاحِ الْمُسْتَلِيمَةِ <sup>(٦)</sup> ، وَأَخْرَجُوا الْحَاسِرَ <sup>(٧)</sup> ، وَاجْلُوا بِأَجْمَعِكُمْ ، فَقَدْ بَاغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ . »

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١ )

- 
- (١) جمع حرمة ، وهي ما لا يجمل انتهاكها . (٢) أي جودوا بروسكم ، ولا تبخلوا بنفوسكم على القتل .  
(٣) في الأصل « لا تقتلوا » على أن القتل مجزوم بلا الناهية ، وأراه محرفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن تسخروا يبذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنجوا من القتل .  
(٤) في الأصل « ولا تتجادلوا » وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتتعاونوا ، ولا يتخذل بعضهم بعضاً .  
(٥) أي يوم محافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . (٦) استلام : لبس الأمة ، وهي الدرع . (٧) الحاسر : من لا مفقر له ، ولا درع ، أو لا جنه له .

## ٣٣٠ - خطبة ذى الكلاع الحميرى<sup>(١)</sup>

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس ، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق ، فعقد فرسه « وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً<sup>(٢)</sup> » وخطب الناس فقال :

« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، أَحْمَدَهُ واستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالعرفان إماماً ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت المعاصى ، وَدَرَسَتِ<sup>(٣)</sup> الطاعة ، وامتلأت الأرض جوراً وضلالة ، واضطربت الدنيا نيراناً وقتنة ، وَوَرَكَ<sup>(٤)</sup> عدوُّ الله إبليسُ على أن يكون قد عُبدَ فى أكنافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطفأ الله به نيرانها ، وَنَزَعَ به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس ، وَأَيْسَهُ مما كان قد طَمِعَ فِيهِ مِنْ ظَفَرِهِ بهم ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم كان من قضاء الله أن ضمَّ بيننا وبين أهل ديننا بصِيفين ، وإنا لنعلم أنَّ فيهم قوماً ، قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقةٌ ذاتُ شأنٍ وَخَطَرٍ عظيم ، ولكنى ضربت الأمر ظهراً وبطناً ، فلم أَرَ يسعنى أن يُهدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرُ نبينا صلى الله عليه وآله ، الذى جهَّز جيشَ العُسرة<sup>(٥)</sup> ، وألحق فى مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله بيتاً ،

(١) هو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أدواء اليمن . (٢) أى شأنها وقدرها . (٣) اتحت . (٤) ورك على الأمر وروكا: قدر . (٥) وذلك أنه فى غزوة تبوك — وكانت سنة تسع للهجرة — أنفق فى تجهيز المقاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها (والأحلاس: جمع حلس بالكسر: وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . والأقتاب جمع قتب بالتحريك : وهو ما يوضع على سنام البعير ) وخمسين فرساً ، فقال =

وَبْنِي سِقَايَةَ<sup>(١)</sup> ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى<sup>(٢)</sup> ، وَاخْتَصَمَهُ بِكَرِيمَتِيهِ أُمَّ كَلْثُومٍ وَرُقِيَّةَ<sup>(٣)</sup> ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَدْ أَذْنَبَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ : ( لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ) وَقَتَلَ مُوسَى نَفْسًا<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ

= عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارض عن عثمان ، فإنني راض عنه » وكان ذلك في زمن حجرة الناس وجذب البلاد ، وشدة الحر ، قال تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أى وقتها ، وهى حالهم فى تلك الغزوة ، ذكروا أن الرجلين كانا يقتسمان تمرة ، وأن العشرة كانوا يمتقبون البعير الواحد . (١) وذلك أنه اشترى بئر رومة ( بضم الراء : بئر بالمدينة ) ثم تصدق بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاه أحدهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من حفر بئر رومة فله الجنة » وأشرف عثمان رضى الله عنه على الثوار حين حصروه ومنعوا الماء عنه ، فقال : أنشدكم الله ، هل علمتم أنى اشتريت رومة من مالى يستعذب بها ، فجعلت رشائى منها كرشاه رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يمتنى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ ثم قال : أنشدكم الله هل علمتم أنى اشتريت كذا وكذا من الأرض ، فزدته فى المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحدا من الناس منع أن يصلى فيه قبل ؟ ثم قال : أنشدكم الله ، هل سمعتم نبيى الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا - أشياء فى شأنه ، فجعل الناس يقولون : مهلا عن أمير المؤمنين .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصد إلى مكة فى غزوة الحديبية ( سنة ست للهجرة ) بعث عثمان بن عفان إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه إنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة وبلغ الرسالة ، واحتبسته قريش عندها ، فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا نبرح حتى نتاجز القوم ، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وبايع عليه الصلاة والسلام لعثمان ، فضرب بيده اليمنى على يده اليسرى وقال : هذه يد عثمان .

(٣) تزوج عثمان السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما ماتت جزع عثمان عليها وقال يارسول الله انقطع صهرى منك ، قال : إن صهرك منى لا ينقطع ، وقد أمرنى جبريل أن أزوجهك أختها بأمر الله : السيدة أم كلثوم .

(٤) وذلك أنه فى إبان نشأته بمصر دخل مدينة منف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتتلان قبطيا يسخر لإسرائيليا ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلى ، فقال موسى للقبطى : خل سبيله ، فقال له لقد هممت أن أحمله عليك ، فوكزه موسى ( أى ضربه بجمع كفه ) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم يكن يقصد قتله ( وذكروا أنه كان إذ ذاك ابن اثنى عشرة سنة ) وقد اعتم لذلك خوفا من عقاب الله . =

فغفر له ، وقد أذنب نوح <sup>(١)</sup> ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم <sup>(٢)</sup> ، ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يعر أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعلم . قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا <sup>(٣)</sup> على قتل عثمان فقد

= ومن اقتصاص فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَمَاعَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه)

(١) يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني ببنجائهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (سورة هود) .

(٢) وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن يقرب شجرة عينها له ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فطاعه : وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ أَيْمَاهُمَا وَقَالَ مَا نَهَا كُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ » . «سورة الأعراف» . (٣) ناصر وشايخ .

خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمه<sup>(١)</sup> ، وسلفه<sup>(٢)</sup> ، وابنُ عمته<sup>(٣)</sup> ، ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا شامكم وبلادكم وبيضتكم<sup>(٤)</sup> ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيتها الأمة ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لكاننا وأهل العراقِ أعتورنا<sup>(٥)</sup> مُضْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللهُ ! ومع أنا والله لانفارق العرصة<sup>(٦)</sup> حتى نموت ، فمليكم بتقوى الله ، وليكن الثبات لله ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزنا لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤ )

### ٣٣١ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبالة من خزّ وعمامة سوداء ، آخذاً بقاتم سيفه ، واضعاً نصل السيف في الأرض متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذي الطول<sup>(٧)</sup> والجلال ، العزيز الجبار ، الحكيم الغفار ، الكبير المتعال ، ذي العطاء والفعال<sup>(٨)</sup> ، والسخاء والنوال ، والبهاء والجمال ، والمنّ

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . (٢) السلف (بفتح فكسر وبكسر فسكون) من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رقية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام على . (٣) أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) البيضة : ساحة القوم . (٥) اعتوروا الشيء : تداواوه . (٦) العرصة : كل بقعة بين الدور واحة ليس فيها بناء . (٧) الطول : الفضل والقدرة والغنى . (٨) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

والإفضال ، مالكِ اليوم الذي لا يَبِيعُ فيه<sup>(١)</sup> ولا خِلال<sup>(٢)</sup> ، أَحْمَدُه على حسن البلاء ،  
وتظَاهرُ النعماء ، وفي كل حال من شدّة أورخاء ، أَحْمَدُه على نِعْمه التّوامِّ ، وآلائه  
العظيم ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة  
النّجاة في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم القِصاص ، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرّحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كان من قضاء الله أن جَمَعَنَا وأهلَ ديننا في هذه الرّقعة من الأرض ، والله يعلم أني  
كنت كارهاً لذلك ، ولكنهم لم يَبْأَسُونَا رِيقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لأنفسنا ، وننظر لمعادِنَا ،  
حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفي حريمنا وَبَيُضَتْنَا<sup>(٣)</sup> ، وقد علمنا أنّ في القوم أحلاماً  
وطغاماً<sup>(٤)</sup> ، ولسنا نأمن طغامهم على ذرّارِيتنا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ،  
فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عدا حمية<sup>(٥)</sup> ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،  
والحمد لله رب العالمين .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لوددتُ أني مُت منذ سنة ، ولكن الله إذا أراد أمراً  
لم يستطع العبادُ رُدّه ، فذستعين بالله العظيم ، وأستغفر الله لي ولكم .  
( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥ والأغانى ١٩ : ٥٥ )

(١) لا يبيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . (٢) الحلال والمخالطة مصدر  
خال : المصادقة ، أي ولا مخالطة فيه فيشفع لك خليلك . (٣) البيضة : ساحة القوم . (٤) الحلم  
بالكسر : الأناة والعقل ، وهو حلم والجمع حلماء وأحلام ، والطغام : أوغاد الناس . (٥) الحمية :  
الأنفة ( وفي الأصل غدا ، وأرى صوابه عدا أي أعداء ) .



# التحريض على القتال

من قبل الإمام عليّ أيضاً

## ٢٣٢ - خطبة الإمام علي

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه أصنابه ، متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلُونَهُ - كأنه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه - فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ <sup>(١)</sup> مِنَ التَّجْبِيرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ <sup>(٢)</sup> مِنَ التَّكْبِيرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُّكُمْ الْبَاطِلَ . أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَتَّابَذُوا ، وَلَا تَخَازِلُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ أَخَذَ بِهَا الْحَقَّ <sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ فَارَقَهَا بِحَقِّ <sup>(٥)</sup> ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ <sup>(٦)</sup> ، لَيْسَ الْمُسْلِمَ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمَنْ ، وَلَا بِالْخَائِفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمِنَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِتْبَاءِ الزُّكَاةِ ، وَحِجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ النَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ . أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ

(١) الخيلاء : الكبر . (٢) النخوة : الافتخار والتعظيم . (٣) القصد : استقامة الطريق .

(٤) أى أدرك رضا الله وثوابه . (٥) محقه : محامه ، ومحق الله الشيء ذهب ببركته . (٦) أى

خرج من الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروقا : إذا خرج من الجانب الآخر .

العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاص السهمي ، أصبحا يُحرِّضان الناس على طلب الدين بزعمهما ، ولقد علمت أني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط ، ولم أعصه في أمر ، أقيه بنفسي في المواطن التي يَنْكُصُ<sup>(١)</sup> فيها الأبطال وترُعد فيها الفرائص<sup>(٢)</sup> ، بنجدة أكرمني الله سبحانه بها وله الحمد ، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لفي حجرى ، ولقد ولت غسله بيدي وخذى تقلبه الملائكة المقرَّبون معي ، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيا ، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله . ( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١ )

### ٢٣٣ - خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الذى لا يُبرمُ ما نقضَ ، ولا يُنقضُ ما أبرمَ ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحدَ المفضلُ ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القومَ الأقدارُ ، حتى لفتَ بيننا في هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجَّلَ النِّقمةَ ، ولكان منه النصر ، حتى يكذبَ الله الظالم ، ويعلم المحقُّ أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم لأقو المدوِّ غداً إن شاء الله ، فأطيلوا الليلة القيامة ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ، والقوهم بالحِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١ وتاريخ الطبرى ٧ : ٦ )

(١) نكص عن الأمر : أحجم عنه .

(٢) جمع فريصة ، وهى لمة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد .

## ٢٣٤ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

« مَعَاشِرَ الْمَسْلَمِينَ : اسْتَشْمِرُوا <sup>(١)</sup> الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ <sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيفِ مِنَ الْهَامِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ <sup>(٤)</sup> ، وَقَلَقُوا السِّيفِ فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلْمِهَا <sup>(٥)</sup> ، وَالْحَطُّوا الْخَزَرَ <sup>(٦)</sup> ، وَاطْمَنُّوا الشَّرَّزَ <sup>(٧)</sup> ، وَنَافَحُوا بِالظُّبَا <sup>(٨)</sup> ، وَصَلُّوا السِّيفِ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ <sup>(٩)</sup> اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوَدُوا الْكِرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامشَوْا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجَّحًا <sup>(١٠)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ <sup>(١١)</sup> الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوِاقِ الْمُطَنَّبِ <sup>(١٢)</sup> ، فَاضْرَبُوا مَبَجَّةَ <sup>(١٣)</sup> ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كَيْسِرِهِ <sup>(١٤)</sup> ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ بَدَا ، وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا <sup>(١٥)</sup> ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ <sup>(١٦)</sup> أَعْمَالِكُمْ .  
( نهج البلاغة : ١ : ٥٧ )

- (١) استشعر : لبس الشعار وهو ما يلبس البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، والمراد : لازموا الخشية والسكينة . (٢) النواجد جمع ناجذ : أقصى الأضراس ، ويعض المرء نواجذه حين يشتد غيظه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم . (٣) فإنه : الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل السابق : أى فإن العض على النواجد أنبى للسيف ، أى أدعى إلى نبوها عن رهوسكم ، نبا السيف عن الضريبة : كل ، وإهام : الرهوس جمع هامة . (٤) الألة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالألة عن جميع أدوات الحرب ، يريد أكملوا السلاح . (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلمها . (٦) الخزر : النظر في أحد الشقين ، وتلك أمانة الغضب . (٧) الطعن في الجواب يمينا وشمالا . (٨) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف . (٩) أى ملحوظون بها . (١٠) اللين : السهل . (١١) العدد الكثير . يعنى جمهور أهل الشام . (١٢) الرواق : بكسر الراء وضمها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطنّب ، أى المشدود بالأطناب ( جمع طنّب بضمّتين ، وهو الحبل ) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام . (١٣) أى وسطه . (١٤) جانبه . (١٥) الصمد : القصد ، صمده من باب نصر قصده . (١٦) لن ينقصكم منها شيئا .

## ٢٣٥ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى ذكركم ، قد دلتم على تجارة تُنجيكم من العذاب ، وتُنشئ<sup>(١)</sup> بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومسكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، وأخبركم بالذي يجب فقال : ( إن الله يحب الذين يُقاتلون في سبيله صفاً ، كأنهم بُنيان مَرصوص ) فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدّموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وعضوا على الأضراس ، فإنه أنبي السيوف عن الهام ، وأربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميتوا الأصوات ، فإنه أطرده للفشل ، وأولى بالوقار ، والتواؤ في أطراف الرماح ، فإنه أمور<sup>(٢)</sup> للأسيمة ، ورايتكم فلا تُميلوها ، ولا تُزبلوها ، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم ، المانعي الذمار<sup>(٣)</sup> ، والصبر عند نزول الحقائق ، أهل الحفاظ الذين يخفرون<sup>(٤)</sup> برايتكم ويكفونها ي ضربون خلفها وأمامها ، ولا يُضيعونها ، أجزأ كل امرئ مسلم قرنه<sup>(٥)</sup> ، وواسى أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه ، فيكسب بذلك اللأمة ، ويأتي به دناءة ، أتى هذا ، وكيف يكون هذا ؟ هذا يقاتل اثنين ، وهذا مُمسك يده ، قد خلى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أو قائماً ينظر إليه ؟ من يفعل هذا مقتته الله ، فلا تعرّضوا لقت الله ، فإنما مردكم إلى الله ، قال الله تعالى لقوم طابهم : ( لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تُنْفَعُونَ إِلَّا

(١) أشق عليه : أشرف . (٢) اسم تفضيل من مار ، سهم ماز : أى خفيف نافذ داخل في الأجسام .

(٣) مايلزمك حفظه وحمايته . (٤) خفره وبه وعليه يخفر بكسر الفاء وضمها : أجاره ومنعه وآمنه .

(٥) القرن : كفتوك في الشجاعة ( أو عام ) وأجزأه : أغناه وكفاه .

قليلاً) وإيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسامون من سيف الآخرة ، استمعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنزل النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩)

## ٢٣٦ - خطبة للإمام علي

وسرّ الإمام علي كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عُقبة وهم يشتمونه ، فخبر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال :

« انهدوا<sup>(١)</sup> إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقار الإسلام وسمى الصالحين ، فوالله لأقرب قوم من الجهل فائدهم ومؤذنيهم<sup>(٢)</sup> معاوية وابن النابغة<sup>(٣)</sup> وأبو الأعور السلمى ، وابن أبي معيط ، شارب الخمر ، المجلود خدا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينقضوني ويخدبونني<sup>(٤)</sup> ، وقيل اليوم ماقاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعومهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فعبدتهم<sup>(٥)</sup> الله ، ألم يُفَنِّخُوا<sup>(٦)</sup> ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إن فسلفنا كانوا غير مرَضِيين ، وعلى الإسلام وأهله متخوفين ، خدعوا شطر هذه الأمة ، وأشربوا قلوبهم حب الفتنه ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضض خدَمَتهم<sup>(٧)</sup> ،

(١) نهد الرجل : نهض ، ونهد لعدوه : صمده . (٢) الأذنين والمؤذنين : الزعيم .  
(٣) هو عمرو بن العاص ، والنابغة : لقب أمه سلمى بنت حرملة . (٤) الجلب بالتسكين : العيب .  
(٥) ذلهم . المعبد : المذل من الطريق وغيره . (٦) الفَنِّخ بالسكون : القهر ، والغلبة والتذليل كالتفنيخ (وفي الأصل : « ألم يفتتحوا » وهو تصحيف) . (٧) يقال فض الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير غليظ مضمفور مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائح النمل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النمل ، فضرِب ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفترقه ، وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة .

وشتت كلتهم ، وأبسلهم<sup>(١)</sup> بخطاياهم ، فإنه لا يذل من البيت ، ولا يعزُّ من عاديت « ،  
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

### ٢٣٧ - خطبة أخرى له

ومرَّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرَّص عليهم الناس — وذُكرَ  
أنهم غسان — فقال :

« إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دَرَاكٍ ، يُنْجِرُ مِنْهُمْ النَّسَمَ<sup>(٢)</sup> ،  
وضرب يُفَلِّقُ مِنْهُ الْهَامَ<sup>(٣)</sup> . ويطيح<sup>(٤)</sup> العظام ، وتسقط منه المعاصم<sup>(٥)</sup> والأكف .  
وحتى يُضْدَعِ جِبَاهَهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهلُ  
الصبر ، وطلَّابُ الأجر ؟ » .  
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

### ٢٣٨ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :

« الحمد لله رب العالمين ، الذي دَحَا<sup>(٦)</sup> تحتنا سبعا ، وسمك<sup>(٧)</sup> فوقنا سبعا ، وخلق فيما  
بينهن خلقًا ، وأنزل لنا منهن رزقا ، ثم جعل لكل شيء قَدْرًا ، يَبْلَى وَيَقْفَى ، غيرَ وجهه  
الحى القيوم ، الذى يحيا ويبقى .

(١) أبسله : أسلمه للهلكة ، أى أهلكهم . (٢) جمع نسمة ، وهى نفس الروح ( يفتح الفاء )

ثم سميت بها النفس ( بالسكون ) . (٣) جمع هامة ، وهى الرأس . (٤) يصح أن يكون مضارع

طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به فى مضيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح

شعره أسقطه ، والشيء أفناه وأذبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك ، أو أشرف على

الملاك وذهب وسقط وتاه فى الأرض . (٥) جمع معصم بكسر الميم ، وهو موضع للسوار أو اليد .

(٦) دحا الله الأرض يدحوها ويدحاها : بسطها . (٧) أى رفع .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسُلًا ، فجعلهم حُجَجًا على عباده عُدْرًا وَنُذْرًا<sup>(١)</sup> ، لا يُطَاعُ إلا بعلمه وإذنه ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُثيب عليها ، وَيُعصِي بعلم منه ، فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يُقَدَّرُ قدره ، ولا يُبْلَغُ شيء مكانه ، أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حتَّى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة ، وانتشر من أمرها ، أن معاوية بن أبي سفيان وجد من طغَامِ الناس أعواناً على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وأوَّلِ ذَكَرٍ صَلَّى معه ، بَدْرِي<sup>(٢)</sup> قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ مَشَاهِدِهِ التي فيها الفضل ، ومعاوية مُشْرِكٌ كان يعبد الأصنام ، والذي ملك الملك وحده ، وبان به وكان أهله ، لقد قاتل على بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله : فعليكم بتقوى الله ، وَالجِدِّ والحزم والصبر ، والله إنا لنعلم إنكم لَعَلَى حق ، وإن القوم لعلى باطل ، فلا يكوننَّ أولى بالجِدِّ على باطلهم منكم في حكم ، وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أعِنَّا ولا تتخذنَّا ، وانصرنا على عدونا ، ولا تحلِّ عنا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

(١) هما مصدران : عُدْرُه يعُدْرُه عُدْرًا بضم فسكون وبضحين وأُنذَرُه إنذاراً ونذراً بضم فسكون وبضمتين : أو جمانان : العُدْر بضميتين جمع عذير وهو العاذر ، والنذر بضميتين جمع نذير وهو المنذر .

(٢) أي حضر غزوة بدر الكبرى التي نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش

## ٢٣٩ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بديل الخزاعي في أصحابه فنخطبهم ، فقال :  
« إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ،  
ليُدْحَضَ<sup>(١)</sup> به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وزين لهم الضلالة ، وزرع في  
قلوبهم حبَّ الفتنة ، ولبس<sup>(٢)</sup> عليهم الأمور ، وزادهم رجساً<sup>(٣)</sup> إلى رجسهم ، وأنتم  
والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطغام الجفأة ، قاتلوه ولا تخشوه ، وكيف تخشونهم ؟  
وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهرٌ مبين ، قوله سبحانه : ( اَتَخَشَوْنَهُمْ فَأَلَّهٗ أَحَقُّ أَنْ  
تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ  
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله مأمٌ في هذه  
بأزكى ولا أتقى ولا أبر<sup>(٤)</sup> ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم ، بارك الله عليكم .

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩ )

## ٢٤٠ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوي صفوف أهل العراق ، ويقول :  
« يامعشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجنة في الآجل .  
إلا ساعة من النهار ، فأرسلوا أقدامكم ، وسووا صفوفكم ، أعبروا ربكم جماجمكم ،  
واستعينوا بالله إلهكم ، واجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم . واضربوا  
فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاque للمتقين . »

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤ )

(١) دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . (٢) التلبيس : التخليط .

(٣) الرجس : القدر والمأثم ، وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .



## ٢٤١ - خطبة للإمام علي

وخطب علي عليه السلام بصفتين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرِّ والفاجر ، وعلى حُجَّبه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يَرْحَمَ بفضله ومنه ، وإنْ عَذَّبَ فيما كَسَبَتْ أيديهم ، وإن الله ليس بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . أَحْمَدُهُ على حسن البلاء ، وتظاهر التَّعْمَاءِ ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وَأَتَوَكَّلُ عليه ، وكفى بالله وكيلًا . ثم إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه . فكان علمه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسَبًا ، وأجملهم منظرًا ، وأسخاهم نفسًا ، وأبرهم لوالده ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِمْلًا ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بِمَظْلَمَةٍ قَطُّ ، بل كان يُظْلَمَ فَيَغْفِرُ وَيَقْدِرُ فَيَصْفَحُ ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حقَّ جهاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرِّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحمده ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمِّ نبيكم معكم وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنة ، وإلى طاعة ربكم ، والعمل بسنة نبيكم ، ولا سواء<sup>(١)</sup> مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ ، لا يستغنى بصلاة مع رسول الله أحد . وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق ،

(١) أى ولا مثل من صلى .

والله إنا على الحق ، وإهم على الباطل ، فلا يَحْتَمِنَنَّ على باطلهم ، وتنفروا عن حكم ، حتى يغلب باطلهم حكم ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٥٠٣ )

## ٢٤٢ - خطبة سعيد بن قيس

وقام سعيد بن قيس يحُطِّب أصحابه بِقُنَاصِرِينَ<sup>(١)</sup> ، فقال :

« الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتبه ، وأورثنا كتابه ، وامتنَّ علينا بنبيه ، فجعله رحمة للعالمين ، وسيد المرسلين ، وقائد المؤمنين ، وختامًا للنبيين ، وحبَّةَ الله العظيم ، على الماضين والغابرين ، ثم كان مما قضى الله وقدره - وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا - أن ضَمَّنَا وعدُّونا بِقُنَاصِرِينَ ، فلا يَجْمَلُ بنا اليومَ الحِيَاصُ<sup>(٢)</sup> ، وليس هذا بأوان انصراف ، ولات حينَ مناص<sup>(٣)</sup> ، وقد خصنا الله بمنَّه برحمته لا نستطيع أداء شكرها ، ولا تَقْدِيرُ<sup>(٤)</sup> قَدْرَهَا ، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله المُصْطَفِينَ الأَخْيَارَ معنا وفي حَبْرَتِنَا ، فوالله

(١) قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشَّام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

(٢) حاص منه يحيص حيصا ومحيصا ومحاصا عدل وحاد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحيص أى العدول واخرى . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون فقيل له في ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا بد منه » قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه « وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويغالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمغالبة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحصر على الفرار منه هـ .

(٣) النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : فر وراغ . أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . (٤) قدر الشيء قدره من التقدير وبابه ضرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

الذى هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مخدوعاً ، إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغى لنا أن تحسّن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بدرى صدق ، صلى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم صلى الله عليه وسلم كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق<sup>(١)</sup> الأسارى ، إلا أنه أخو جفاعة ، فأوردتم النار ، وأورثهم العار ، والله محجلٌ بهم الذل والصغار<sup>(٢)</sup> ، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّدْقِ وَالصَّبْرِ ، فإن الله مع الصابرين ، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجلٌ منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدنٍ وأدخل المقتول ناراً تَأَلَّى ، لا تَفْتُرُ عَنْهُمْ وهم فيها مُبْلِسُونَ<sup>(٣)</sup> ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم وللمؤمنين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣ )

## ٢٤٣ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرص يزيد بن قيس الأرحبي أهل العراق بصفين ، فقال :

« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه ، ولا على إحياء حق رأونا أبتناه ، ولا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبابرة وملوكاً ، ولو ظهروا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - إذن

(١) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه فى الوثاق شده «فَشَدُّوا الْوُثَاقَ»

(٢) الذل والضم . (٣) من أبلس : إذا يئس وتخبر .

لوليكم مثل سَعِيدٍ<sup>(١)</sup> والوليدِ<sup>(٢)</sup> وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ<sup>(٣)</sup> السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيتٍ وَذَيْتٍ<sup>(٤)</sup> ، ويأخذ مال الله ، ويقول لا إثمَ عَلَيَّ فيه ، كأنما أُعْطِيَ ثْرَانَهُ من أبيه . كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا : عبادَ الله : القومَ الظالمين . الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذُكم فيهم لومةُ لائم . إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ، يُفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دينكم ودينياًكم . وهم منَ قد عرقتهم وَجَرَّبْتهم . والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شراً ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٠ ؛ شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٥)

## ٢٤٤ - خطبة هاشم بن عتبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بنُ عُبَيْبَةَ المِرْقَالِ<sup>(٥)</sup> فى عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ؛ قتله على بن أبي طالب ؛ وقد استعمل عثمان بن عفان سميداً على الكوفة بعد الوليد بن عتبة ابن أبى معيط ، وولاه معاوية فى خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ويولى مروان إذا عزله . (٢) هو الوليد بن عتبة بن أبى معيط أبان بن أبى عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ( أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس ) وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . (٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبى موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبى العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . (٤) ذيت وذيت مثله الآخر : أى كيت وكيت . (٥) هو هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخى سعد بن أبى وقاص ، واقب بالمرقال لأن علياً رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أى يسرع ، وهو الذى افتتح جلولاء من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتح ، وفقت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل فى وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

فليس من وجهٍ يَجْمَلُ عليه ، إلا صَبَرَ له ، وقَاتِل فيه قتالاً شديداً . فقال لأصحابه :  
« لا يَهْوُلَنَّكُمْ ماترُونَ من صَبْرهم . فوالله ماترُونَ فيهم إلا حَمِيَّة العرب ، وصبرها  
تحت رآياتها ، وعند مرا كزها ، وإنهم لَعَلَى الضلال ، وإنكم لعلَى الحق ، يا قوم اصْبِرُوا  
وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا ، عَلَى تُوَدَّةٍ رُوَيْدًا ، ثم اثْبِتُوا وتناصروا ،  
واذكروا الله ، ولا يسأل رجلٌ أخاه ، ولا تُكثِرُوا الالتفات ، واصمُدُوا<sup>(١)</sup> صمدهم ،  
وجاهدوا محتسبين ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين » .

( تاريخ الطبري ٦ : ٢٣ )

## ٢٤٥ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معي : عبادَ الله : إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدمٍ ظالمٍ ، إنما قتله  
الصلحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت  
لهم دنياهم ، ولودرس<sup>(٢)</sup> هذا الدين ، لم تلتتموه ؟ فقلنا : لأحداثه ، فقالوا : إنه لم  
يُحْدِث شيئاً ، وذلك لأنه مَكَّهم من الدنيا ، فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يباليون  
لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا ، فاستحلوها  
واستتمروا<sup>(٣)</sup> بها ، واعلموا أن صاحب الحق لو وَلِيَهُم لحال بينهم وبين ما يأكلون  
ويرعون منها ، إن القوم لم يكن لهم سابقةٌ في الإسلام ، يستحقون بها الطاعة والولاية ،  
فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتِلَ إمامنا مظلوماً : ليكونوا بذلك جبابرة وملوكا ، تلك

(١) أى اقصدوا جهنم . (٢) احمى . (٣) استمرا الطعام : وجده مريثا أى هنيئة

مكيدة قد بلغوا بها ما ترَوْن ، ولولاها ما تابهم من الناس رجلٌ ، اللهم إنْ تَنْصُرْنَا ،  
فطالما نَصَرْتْ ، وأن تجعل لهم الأمر فادَّخِرْ لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم .  
( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣ )

## ٢٤٦ - خطبة الأشعث بن قيس

وخطب الأشعث بن قيس أصحابه من كنفدة ليلة الهريز بصفين فقال :

« الحمد لله أحده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأستنصره وأستغفره ،  
وأستجيره ، وأستهديه وأستشيره ، وأستشهد به ، فإنه من هداه الله فلا مضل له ، ومن  
يضل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً  
عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ثم قال :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد فني فيه من  
العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ،  
ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا نحن إن توافقنا غداً إنه لقنيت العرب ، وضيقت الحرّمات ،  
أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحرب ، ولكني رجل مسن أخاف على النساء  
والذراري غداً إذا فنينا .

اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل ، وما توفيتي إلا بالله ،  
عليه توكلت وإليه أنيب ، والرأي يخطئ ويصيب ، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على  
ما أحب العباد أو كرهوا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فأغتنمها وبنى عليها تدييره .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٨٥ )

## ٢٤٧ - خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس آدمٍ مثل حَلَكٍ <sup>(١)</sup>  
الغراب ، فقال :

« الحمدُ لله الذى خلقَ السَّمَوَاتِ العُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ، له ما فى  
السَّمَوَاتِ وما فى الأَرْضِ وما بينهما وما تحت الثَّرَى ، أحده على حَسَنِ البَلَاءِ ، وتظاهر  
النِّعْمَاءِ ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، من هداهُ اللهُ فقد اهتدى ، ومن يُضِلِّ اللهُ فقد  
غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدِّينِ كله ولو كره المشركون ،  
صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقطنا المقاديرُ إلى أهل هذه البلدة من  
الأرض ، فَلَقَّتْ بَيْنَنَا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه وَمَنَّهُ وَفَضْلِهِ ، قَرِيرَةٌ  
أَعْيُنُنَا ، طَيِّبَةٌ أَنفُسُنَا ، نرجو بقتالهم حُسْنَ الثَّوَابِ ، والأَمْنِ مِنَ العِقَابِ ، معنا ابن عم  
نبينا ، وسيف من سيوف الله ، على بن أبى طالب ، صلى مع رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ،  
لم يَسْبِقْهُ إلى الصلاة ذُكْرٌ ، حتى كان شيخاً لم يكن له صَبْوَةٌ <sup>(٢)</sup> ، ولا نَبْوَةٌ <sup>(٣)</sup> ،  
ولا هَفْوَةٌ ، ولا سَقَطَةٌ ، فقيهٌ فى دين الله تعالى ، عالمٌ بحدود الله ، ذوراً رأى أُصَيْلَ ، وَصَبْرَ  
جَمِيلٍ ، وَعَفَافٍ قَدِيمٍ ، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن  
القوم على الباطل ، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريبٌ من مائة بدرى ، سوى  
مَنْ حَوْلَكُمْ من أصحاب محمد ، أكثرُ ما معكم راياتٌ قد كانت مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الحلك : شدة السواد ، وفى الأصل : « حثل » وهو تحريف • (٢) الصبوة : جهلة الفتوة

(٣) نبا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير فى الدين ولا وهن •

فمن يَشْكُ في قتال هؤلاء؟ إلا مَيَّت القلب ، أنتم على إحدى الحسنيين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لي ولكم . ( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٤ ) .

## ٢٤٨ - خطبة الأشتر في المهزمين من الميمنة

ولما هزمت ميمنة العراق ، قال له عليّ : يا مالك ، قال : لبيك ، قال : أنت هؤلاء القوم قتل لهم : « أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه ، إلى الحياة التي لن تبقى لكم » فضى فاستقبل الناس مهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظنّ أنه بالأشتر أعرف في الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلى أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عَضَضْتُمْ بِيَهِنٍ <sup>(١)</sup> آبائكم ، ما أتبع ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : أخلصوا إلى مَذْحِجًا <sup>(٢)</sup> ، فأقبلت إليه مَذْحِجٌ فَقَالَ :

« عَضَضْتُمْ بِصِئْمٍ <sup>(٣)</sup> الجندل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتم له في عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصِّبَاحِ <sup>(٤)</sup> ، وفرسان الطراد ، وَحُتُوفُ الأقران ، ومذحج الطعّان ، الذين لم يكونوا يُسبِّقون بشأهم ، ولا تَطَلُّ دماؤهم ، ولا يُعرفون في مَوْطِنٍ يَخْصِفُ <sup>(٥)</sup> ، وأنتم حدّ أهل مصركم ، وأعزّ حتى في قومكم ، وما تفعلوا في هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ، فاتقوا مأثور الأحاديث في غد ، وأصدّقوا عدوكم اللقاء ، فإن الله مع الصادقين ، والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء ( وأشأر بيده

(١) الهن : اسم يكنى به عن الفرج . (٢) كان الأشتر من النخع ( بالتحريك ) ، وهي قبيلة

كبيرة من مذحج باليمن . (٣) الصم : جمع صتمة ( كفرصة ) ، وهي الصخرة الصلبة كالصتيمة .

(٤) الغارة . (٥) الخسف : الذل .



إلى أهل الشام) رجلٌ على مثال جناح بمَوْضِعٍ من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم ما أحسنتم الفِرَاع<sup>(١)</sup> ، اجلُّوا سواد وجهي ، يرجع في وجهي دمي ، عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإن الله عزَّ وجلَّ لو قد فضَّه ، تبعه من بجانبيه كما يتبع مؤخر السبيل مُقدِّمه .  
قالوا خذ بنا حيث أحببت .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧ )

### ٢٤٩ - خطبة أخرى له فيهم

وروي أنه لما اجتمع إليه عظيم من كان انهزم عن الميمنة حرَّضهم ثم قال :

« عَضُّوا عَلَى النَّوْاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشُدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ<sup>(٢)</sup> ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ وَطَنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتْرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَابِئْسَ اللَّهُ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يِقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا السُّنَّةَ وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَعِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ دُونَ دِينِكُمْ ، فَإِنْ ثَوَابِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَإِنْ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السَّابُّ لِلْعِزِّ ، وَالغَلْبَةُ عَلَى الْفَيْءِ ، وَذَلِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ وَالْإِيمُ عِقَابُهُ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧ )

(١) المقارعة والمناضلة . (٢) وتره : إذا أصابه بوتر ، وهو الثار .

## ٢٥٠ - خطبة عليّ فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى مواقفها ومصافئها ، وكشفت من بيازئها من عدوها ، حتى صار يوم في مواقفهم ومرا كرمهم ، أقبل حتى انتهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جَوَلتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يَحُوْزكم الطُّغَاةُ الجُفَاةُ ، وأعرابُ أهل الشام ، وأنتم لهَامِيمٌ <sup>(١)</sup> العرب ، والسَّنَامُ الأعظم ، ومُحَارُّ الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذضل الخاطئون ، فلولا إقبالكم بعد إيدباركم ، وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المُوَلَّى يومَ الزحفِ دُبُرُهُ ، وكنتم من الهالكين ، ولكن هَوْنٌ وَجَدِي ، وشَقِيٌّ بَعْضُ أَحَاحٍ <sup>(٢)</sup> نفسى ، أئى رأيتكم بِأَخْرَةِ <sup>(٣)</sup> حَزْتُمُوهم كما حازوكم ، وأزَلْتُمُوهم عن مصافِّكم كما أزالوكم ، تَحْسُونَهُمْ <sup>(٤)</sup> بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم <sup>(٥)</sup> ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتتكم الله عزَّ وجلَّ باليقين ، وليعلم المهزوم أنه مُسْخِطٌ رَبَّهُ ، ومُؤَبِّقٌ <sup>(٦)</sup> نفسه ، إن في الفرار مَوْجِدَةً <sup>(٧)</sup> الله عزَّ وجلَّ عليه ، وألذَّ اللّازم له ، والعارَ الباقى ، واعتصارَ النىء من يده ، وفساد العيش عليه ، وإن الفارَّ لا يزيد الفرار في عمره ، ولا يُرْضَى ربه ، فموت المرء مُحَقَّقًا قبل إتيان هذه الخصال ، خير من الرضا بالتلبُّسِ بها والإصرار عليه . »

(تاريخ الطبرى ١٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٨)

- 
- (١) اللهم ، والهيم ( بكسر اللام والميم فيهما ) : السابق الجواد من الحيل والناس .  
(٢) الأحاح : الغيظ وحرارة الغم . (٣) يقال جاء أخرة وأخرة محركتين وقد يضم أولهما أى أخرا . (٤) من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . (٥) العطاش : جمع أهيم وهيماء (والهيام بالضم : أشد العطش) . (٦) مهلك . (٧) أى غضبه .

## ٢٥١ - خطبة خالد بن معمر

ولما ولّى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحمل عليها أهل الشام حملة شديدة ، وانهزم ناس من قومه ، صاح بن انهزم ، وقال يومئذ :

« يا معشر ربيعة : إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبئته ، ومسقط رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعا لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض ، فإن تمسكوا أيديكم وتنكّلوا<sup>(١)</sup> عن عدوكم ، وتزولوا عن مصافكم ، لا يرض الله فعلكم ولا تتمدّموا من الناس معيرا يقول : فضحت ربيعة الذمار<sup>(٢)</sup> ، وحاصت<sup>(٣)</sup> عن القتال ، وأتيت من قبيلها العرب ، فأياكم أن تتشامم بكم العرب والمسلمون اليوم ، وإنكم إن تمضوا مقبلين مُقدّمين ، وتصبروا محتسبين ، فإن الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سجيّة ، واصبروا ونيّتكم أن تؤجروا ، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا . »

( تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٦ )

## ٢٥٢ - خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عقبة بن حديد النمرى يوم صفين لأهله وأصحابه :

« ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيما<sup>(٤)</sup> ، وأصبح شجرها خضيدا<sup>(٥)</sup> ، وجديدها سلا<sup>(٦)</sup> ، وحلّوها مرّ المذاق ، ألا وإني أنبئكم نبأ امرئ صادق : إني قد سمّيت الدنيا

(١) أى تنكصوا وتجنبوا . (٢) ماتجب حمايته وحفظه . (٣) هربت وفرت .

(٤) الهشيم من النبات : الياض المنكسر . (٥) مقطوعا ، خضده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .

(٦) السمل : الخلق من الثياب .

وعَزَفَتْ<sup>(١)</sup> نفسى عنها ، وقد كنت أتمنى الشهادة ، وأتعرض لها فى كل جيش وغارة ، فأبى الله عز وجل إلا أن يُبْلِغنى هذا اليوم ، ألا وإنى متعرض لها من ساعتى هذه ، قد طَمَعْتُ ألا أحرَمَهَا ، فما تنتظرون ، عبادَ الله ، بجهاد من عادى الله ، أخوفا من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ؟ أو من ضربة كَفِّ بالسيف ؟ أنستبدلون الدنيا بالنظر فى وجه الله عز وجل ، ومرافقة النبيين والصدِّيقين ، والشهداء والصالحين فى دار القرار ؟ ما هذا بالرأى السديد ا .

ثم مضى فقال : « يا إخوتى إنى قد بعث هذه الدار بالتى أمامها ، وهذا وجهى إليها . لا تُبْرِحْ وجوهُكُمْ ، ولا يقطع الله عز وجل رجاءكم » فتبعه إخوته وقالوا : « لا نطلب رزق الدنيا بعدك ، فقَبِّحَ اللهُ العيش بعدك : اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك » فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا .  
( تاريخ الطبرى ٦ : ١٥ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٩٠ )

### ٢٥٣ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِبِ » رجل يقال له خَنَثَرُ بن عبيدة بن خالد ، وكان من أشجع الناس ، فلما قتلت الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطان آثَرُ<sup>(٢)</sup> عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إن الفرار فيه معصية الله سبحانه وسُخْطُهُ ، وإن الصبر فيه طاعةُ الله عز وجل ورضوانه ، أفتختارون سُخْطَ اللهِ تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ؟ ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

(١) انصرفت . (٢) أفضل .

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَتِلَى الدُّبُرِ<sup>(١)</sup> أَنَا الَّذِي لَا يَنْثِقِي وَلَا يَغْفِرُ  
وَلَا يُرَى مَعَ الْمَعَاذِرِ الْغُدْرُ<sup>(٢)</sup>

(تاريخ الطبري ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

## ٢٥٤ - تحريض معاوية أيضا

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذي دنا في علوه ، وعلا في دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذي منظر ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمرا أمضاه ، وإذا عزم على شيء قضاه ، لا يؤامر<sup>(٣)</sup> أحدا فيما يملك ، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا . »

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقنتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولقّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يأهل الشام ، إنكم غداً تلقون أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بقوا عليكم ، فأقبأوا من بلادهم حتى نزلوا في بيضتكم<sup>(٤)</sup> ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوماً تدبّون عن نساءكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، واسألوا الله لنا وإسألواكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

(١) وآل : طلب النجاة ، وخلص . (٢) المعازيل : جمع معزال بكسر الميم ، وهو الضعيف الأحق (ومن لا سلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لوما) ، والغدر : جمع غدور مبالغة من غادر . (٣) أي لا يشاور . (٤) ساحتكم .

## ٢٥٥ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصفين بصفين فقال :

« يَا قَيْسُ بْنَ سَعْدٍ ، أَمَا أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَارِضَى لِنَفْسِهِ ؟ إِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خِذْلِ عُمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، وَإِقْحَامَكُمْ <sup>(١)</sup> عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِينِ ، فَلَوْ كَفَيْتُمْ إِذْ خِذَلْتُمْ عُمَانَ خِذْلَتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بَهَذَا ، وَلَكِنْكُمْ خِذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ ، شَعَلْتُمْ <sup>(٢)</sup> الْحَرْبَ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ وَجِدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَرِيعًا إِلَى بِرَازِكُمْ ، غَيْرَ أَنْكَاسٍ <sup>(٣)</sup> عَنْ حَرْبِكُمْ ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بِعَلَى أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمِصْبِيَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كَيْفَتُمْ لِتَخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّاءَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِدْدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَانُوا بِالقِيْلَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي السَّكْرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّاءَ فِي الْحَرْبِ بِمَدَاهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذْتَ الْحَرْبَ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا قَدَرْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفْرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

(١) قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته فيه فانقحمت واقتحمت . (٢) شعل النار ، وأشعلها : ألهبها . (٣) أنكاس : جمع تكس (بالكسر) ، وهو الضعيف المقصر .

## ٢٥٦ - جواب قيس بن سعد

« والله ما كنت أراك يا نعمان تجترى على هذا المقام ، أما المُنْصَفُ الحقُّ فلا ينصح أحاه منْ غَشِّ نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه ، المبطل فيما نَصَحَ غيره ، أما ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذهُ ، قَتَلَ عَمَانَ من لَسْتُ خيراً منه ، وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النَّكث . وأما معاوية ، فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلهم الأنصار . وأما قولك إنا لسنا كالناس ، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، تلقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحقُّ ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً ، أو يمانياً مُسْتَدْرَجاً<sup>(١)</sup> ، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصُؤَيْحِبِكَ<sup>(٢)</sup> ، ولستما والله بدرين ولا عَقَبَيْنِ<sup>(٣)</sup> ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٨٣)

---

(١) استدرجه : خدعه وأذناه . (٢) أراه يعنى به عمرو بن العاص ، وقد كان أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . (٣) أى لا من حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من يابعوه في العقبة .

# خطب الشيعة في وقعة صفين

٢٥٧ - خطبة عكرشة بنت الأطرش

دخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسألت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا على شيء ، قال : ألسنتِ المتقلدة حائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضُرُّكم من ضلَّ إذا هتديتم ، إن الجنة لا يَرَحُلُ من أوطانها ، ولا يَهْرَم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهِرين<sup>(١)</sup> بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية دَلَفَ<sup>(٢)</sup> إليكم بعجم العرب ، غُلِفَ<sup>(٣)</sup> القلوب ، لا يَفْقَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبَّوه ، فألَّهَ اللهُ عبادَ الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك يَنْقُضُ عُرَا الإسلام ، ويُطْفِئُ نور الحق ، هذه بَدْر الصغرى ، وَالْعَقَبَةُ<sup>(٤)</sup> الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ،

(١) مستبينين . (٢) دلف : مشى مشى المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .  
(٣) جمع أغلف وقلب أغلف كأنما غشى بغلاف فهو لا يعي . (٤) تشير إلى بيعة العقبة ( الأولى والثانية ) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أي إن هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كتلك .



امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيبتكم ، فكانى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام  
كالحجر الناهقة ، تصقع<sup>(١)</sup> صقع البعير .

فكانى أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه عكرشة  
بنت الأطرش بن رراحة ، فإن كدت كتملين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله  
قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ » الآية . وإن اللبيب  
إذا كره أمراً لا يجب إعادته ، قال صدقت ، فاذ كرى حاجتك ، قالت : إنه كانت  
صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فتردّ على فقرائنا ، وإنا قد فقدنا ذلك ، فما يُجبر أنا كسير  
ولا يُنعش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك ، فنلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ،  
وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استمان بالحوثة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية :  
يا هذه إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق<sup>(٢)</sup> ، وبحور تنفهِق<sup>(٣)</sup> ، قالت :  
ياسبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب .  
قال معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبى طالب ، فلم تُطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم  
فيهم ، وإنصافهم .

(المقد. الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٣)

## ٢٥٨ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سُرّاقة  
البارقي برخلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شرّاً بقولها فيه ، فلما ورد عليه

(١) الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته : رفعه . وفى صبح الأعشى تصقع قصح البعير . من قصح

الجلمل بجرته ردها إلى جوفه . (٢) انبثق : انفجر ، وانبثق السيل عليهم : أقبل ولم يحتسبوه .

(٣) تنفّع .

كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائنة عن طاعة ، ولا معتلة  
بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمرور محتاج في صدرى . فلما شيعها ،  
وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى<sup>(١)</sup> أنه مجازينى بقولك في<sup>(٢)</sup>  
بالخير خيراً ، وبالشرّ شرّاً ، فالى عندك ؟ قالت : يا هذا ، لا يُطمعك برك بى ، أن أسرك  
بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى  
قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت :  
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ؟  
بحقّ ما دعوتنى بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بدية<sup>(٣)</sup> السلطان  
مدحّصة<sup>(٤)</sup> لما يجب علمه ، ولكل أهل كتاب ، قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة  
وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ،  
فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق . قال معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت  
يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحّض<sup>(٥)</sup> المقال ، وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا  
أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمّار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن والله زورته<sup>(٦)</sup>  
قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن  
أحدث لك مقلا غير ذلك فملت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أياكم يحفظ  
كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات ؟ قال : كأتى  
بها بين بردين زبيريين<sup>(٧)</sup> كشيقي النسبج ، وهى على جبل أزمك<sup>(٨)</sup> ، وبيدها سوط  
منتشر الضفيرة ، وهى كالفحل يهدر<sup>(٩)</sup> في شقشقتة تقول :

(١) البدية : أول كل شيء وما يفجأ منه . (٢) المدحّصة : المزلّة . (٣) دحضت الحجة  
دحضا من باب نفع : بطلت ورجله زلقت ، ومكان دحض زلق . (٤) زور الشيء : حسنه وقومه وهذبه .  
(٥) الزبير : ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه في القטיפيّة . وفى رواية أخرى : عليها برد زيدي نسبة  
إلى زييد ( يفتح الزاى ) بلد باليمن . (٦) من الرمكة : بالضم ، وهى لون الرماد . (٧) يصوت .  
والشقشقة : شيء كالرثة يخرج للبعير من فيه إذا هاج .

« يا أيها الناس : اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبيّن السبيل ، ورفع العِلم ، ولم يدعكم في عمياء مُدْهِمَةً ، فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله جلّ ثناؤه يقول : ( وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ) ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، ويديك يارب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله . هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصدّيق الأكبر ، إنها إْحَنٌ <sup>(١)</sup> بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أُحْدية <sup>(٢)</sup> وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك نارات بنى عبد شمس ، ثم قالت : ( قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يُيْتَهُونَ ) صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنني بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قَسَوْرَةٍ <sup>(٣)</sup> ، لا تدرى أين يُسَلِّكُ بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين ، حين تحمل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل . ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسمّوا لها ؛ قاله الله أيها الناس ، قبل أن تَبْطُلَ الحقوق ، وتعطلّ الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصِهْرِهِ ، وأبي سِبْطِيهِ ، خُلِقَ من طِينَتِهِ ، وتفرغ من نَبَمَتِهِ <sup>(٤)</sup> ،

(١) جمع إحنة : وهي الضغينة والحقد ، ترمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية ( حنظلة ابن أبي سفيان ) وجده لأمه ( عتبة بن ربيعة ) وخاله ( الوليد بن عتبة ) . (٢) تشير إلى ما حدث من هتد زوج أبي سفيان ( أم معاوية ) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلا كتبها ثم أرسلتها . (٣) الأسد والرماة من الصيادين ، والمواحد قصور . (٤) النبعة في الأصل واحدة النبع : شجر القسي والسهام .

وجعله باب دينه ، وأبان ببيغضه المنافقين . وهاهو ذا مُتَلَقُّ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفى أهل أحدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازف ؛ فيالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، وَرِدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ؛ قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلناك ما حرّجت<sup>(١)</sup> في ذلك . قالت : والله ما يسوءني يا بن هند أن يجرى قتلى على يدي من يسعدني الله بشقائه . قال : هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُنئين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان نقصاً . ولقد كان سبباً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر . وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : فما تقولين في ائزير ؟ قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه<sup>(٢)</sup> . وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وأنا أسألك بحق الله يامعاوية ( فإن قریشاً تحدثت أنك أحلها ) أن تعفيني من هذه المسائل ، وتسالني عما شئت من غيرها . قال : نعم ونعمة<sup>(٣)</sup> عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة .

(المقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ . وصحيح الأعمش ١ : ٢٤٨ )

(١) أئمت . (٢) الخواري : الناصر ، أو ناصر الأنبياء . (٣) أى أفضل ذلك إنعاماً لعينك

## ٢٥٩ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وَدُّ كَرَّتِ الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيَّةِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا ، فَقَالَ لِحِوَالَتِهَا :  
أَيْكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ : نَحْنُ نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي  
أَسْرَاهَا ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِقَتْلِهَا ، فَقَالَ : بئس الرأي ، أيجزى بمنلى أن يقتل امرأة اثم كتب إلى  
عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يهد  
لها وطاء<sup>(١)</sup> لينًا ، ويستترها بستر خفيف<sup>(٢)</sup> ، ويوسع لها فى النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها  
الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلى فإنى لا آتية ، وإن كان حتم فاطاعة  
أولى فعملها وأحسن جهازها ، على ما أمر به . فلما دخلت على معاوية . قال : مرحبًا بك وأهلًا !  
قدِمْتِ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ .  
قَالَ : كَيْفَ كُنْتِ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ : رَبِيبَةَ بَيْتٍ ، أَوْ طِفْلًا مُتَّهَدًا . قَالَ : بِذَلِكَ أَمْرُنَاهُمْ ،  
أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ ؟ قَالَتْ : وَأَنْتَى لِي بَعْلٌ مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الرَّابِكَةَ الْجَلَّالَةَ الْأَحْمَرَ ،  
وَالوَاقِعَةَ بَيْنَ الصَّفِينِ بِصَفِينٍ ، تَحْضِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوْقِدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟  
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ الرَّأْسُ وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالدهرُ ذُو غَيْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ ، قَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : أَتَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ ؟  
قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أُنْسِيْتَهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :  
« أَهَى النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبَ الظُّلَمِ ،  
وَجَارَتْ بِكُمْ عَنِ الْقَصْدِ الْمَحَجَّةِ<sup>(٤)</sup> ، فَيَا هَذَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ سَمَاءَ بِكَيْءٍ لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقِهَا ، وَلَا تَنْسَاقُ

(١) الفراش . (٢) أصله من خصف النعل يخصفها كضرب : ظاهر بعضها على بعض وخرزها وهى

نعل خصيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . (٣) أحداث ، جمع غيره بالكسر أو مفرد .

وجمعه أغيار . (٤) جادة الطريق .

لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على العصص ، فكان قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق الظلمة ، فلا يجهن أحد فيقول : كيف وأنى ؟ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده . والصبر خير في الأمور عواقباً :

أيها<sup>(١)</sup> في الحرب قدماً ، غير نا كصين ، ولا متشا كسين .

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شررت علياً في كل دم سفكه . قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتكم ! فثلك بشر بخير وسراً جليسه . قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سررت بالخبر ! فأنى لى بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ، اذ كرى حاجتك . قالت : يا أمير المؤمنين آليت على نفسى ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبة . قال : صدقت ، وأمر لها وللاذين جاوا معها بجوائز وكفا .

(العقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٢)

(١) أيها : كلمة زجر بمعنى حسبك ( وإليه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق ) والقدم :

المضى أمام ، وهو يمشى القدم : إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغبر قدم في سبيل الله » القدم : الإقدام ، أقدم على قرنه إقداماً وقنماً : تقدم عليه بجرأة صدر .

## اختلاف أهل العراق في الموادعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستمرّ القتال ، قال رأسٌ من أهل العراق لعلي : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأي الموادعة . وقال بعضهم : لا ، بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة ، وجنّحت إلى الصلح والمسألة ، فقام عليّ خطيباً ، فقال :

### ٢٦٥ - خطبة الامام عليّ كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أسرى على ما أحب ، حتى قدّحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهي لعدوكم أنهلك ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم منتهياً ، فليس لي أن أحملك على ما سكرهون . »

### ٢٦٦ - خطبة كردوس بن هانيّ

وقام كردوس بن هانيّ ، فقال .

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من عليّ منذ توليناه ، وإن قتلنا لشهيد ، وإن حيّنا لفائز ، وإن عليّاً على بينة من ربه ، وما أجاب القوم إلاّ بإنصافاً ، وكلُّ مُحِقٍّ مُنْصِفٌ ، فمن سلّم له نجاً ، ومن خالفه هوى . »

## ٢٦٢ - خطبة سفیان بن ثور

وقام سفیان بن ثور، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن علينا ليس بالراجع الناكس ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلا في الموادعة . »

## ٢٦٣ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْثُ بن جابر فقال :

« إن علينا لو كان خلوًا من هذا الأمر لسكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذي دعاهم إليه أمس ، ولوردّه عليهم كنتم له أعيب ، ولا يلحد في هذا الأمر إلا راجع على عقبيه ، أو مُسْتِدْرَج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف . »

## ٢٦٤ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفِينَا مَثْوَنته ، فأما إذ استغفينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فرأيك أفضل . »



## ٢٦٥ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحُصَيْن بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :  
« إِنَّمَا بُنِيَ هَذَا الدِّينَ عَلَى التَّسْلِيمِ ، فَلَا تَدْفَعُوهُ بِالْقِيَاسِ ، وَلَا تَهْدِمُوهُ بِالشُّبُهَةِ ،  
وَإِنَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَا لَا تَقْبَلُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ ، لِأَصْبَحَ الْحَقُّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا ،  
وَلَوْ تَرَكْنَا وَمَا نَهَوْنِي ، لِأَصْبَحَ الْبَاطِلُ فِي أَيْدِينَا كَثِيرًا ، وَإِن لَنَا رَاعِيًا قَدْ حَمَدْنَا  
وَزَدَهُ وَصَدَّرَهُ ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا قَالُ وَفَعَلَ ، فَإِن قَالُوا لَا . قُلْنَا لَا ، وَإِن قَالُوا نَعَمْ ،  
قُلْنَا نَعَمْ » .

## ٢٦٦ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملًا  
لعلى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَتَمِّمُوا رَأْيَكُمْ ، فَقَدْ وَاللَّهِ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِالْحَدِيثِ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ <sup>(١)</sup> ، وَإِنَّا لَنُرِيدُ الْقِتَالَ إِسْكَارًا لِلصَّلْحِ حَتَّى رَدَّنا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية ( سنة ست للهجرة )  
بعثت قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما  
الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على  
أن من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشًا من مع محمد لم يردوه عليه ، فبينما  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفلت  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ،  
ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه « بفتح التاء : ما في موضع الباب  
( أى النحر ) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، -

صلى الله عليه وسلم ، وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبتهم إليه إعداراً ،  
 فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى ، ولا القليل بالقتيل ، ولا الشامى بالعراقى ،  
 ولا معاوية بعلى ، وإنه لأمر منعه غير نافع ، وإعطاؤه غير ضائر ، وقد كَلَّتِ البصائر التى  
 كنا نقاتل بها ، وقد حمل الشكُّ اليقينَ الذى كنا نشول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا  
 نمارى به ، فاستظلوا فى هذا النقي<sup>(١)</sup> ، واسكنوا فى هذه العافية ، فإن قلتم نقاتل على ما كنا  
 نقاتل عليه أمس ، فهيات هيات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

= فجعل يئثره بتبليبه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أأرد  
 إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل  
 اصبر واحتمب فإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم  
 صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نقدر بهم ، ووثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى  
 إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه .  
 قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به آياه فضن الرجل بآياه ونفذت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان من حبس بمكة ، فبعث  
 قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم  
 ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا القدر ، وإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .  
 فانطلق إلى قومك . قال : يارسول الله أتردى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير انطلق ،  
 فانطلق معهم حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى  
 المدينة ، فقال : يارسول الله وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ،  
 وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون  
 الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم  
 وضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعواها ، حتى كتبت قريش  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . (١) النوى : ما كان شمسا فينسخه الظل .

## ٢٦٧ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وَقَفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النَّكث ، وأهل الشَّام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله . فاسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبيِّ الله والرأسُ في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والذخائر<sup>(١)</sup> إنه لأشدَّ الناس عقلاً ، وأكرمهم نحيظة ، ولئن كان إلى الشرف والذجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في سُورى عمر رضى الله عنهم ، وبابعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشَّام ، فما الفضل الذى قرَّكم إلى الهدى ، وما النقص الذى قرَّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، كتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشب على عليّ رضى الله عنه .

(١) النحيظة : الطيعة .

## ٢٦٨ - خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما المُكثِرُ المُنْكَرُ بأعلم بها من المُقِلِّ المُعْتَرِفِ ، وقد أخذت الحرب بأنفسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى مادَعَوْكَ إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحنا ، وقد أعطيناك بِقِيَّتِنَا ، وَشُرْحَتِ بِالطَّاعَةِ صُدُورِنَا ، وَنَفَذْتَ فِي جِهَادِ عَدُوِّكَ بِصِيرَتِنَا ، فأنت الوالي المطاع ، ونحن الرعية الأتباع . أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بنبينا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فَسَدِّدْ رَأْيَكَ تَتَّبِعُكَ ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَمْرِكَ ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالي المطاع » .

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

## ٢٦٩ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يومَ قَدُومِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلَيْكَ ، فدعانا حَكِيمًا<sup>(١)</sup> إلى نُصْرَةِ عَامِلِكِ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ<sup>(٢)</sup> فَأَجَبْنَاهُ ، فقاتل عدوك ، حتى أُصِيبَ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ قَيْسٍ عَبْدُوا اللَّهَ حَتَّى كَانَتْ أَكْفُهُمْ مِثْلَ أَكْفِ الْإِبِلِ ، وجباهم مثل

(١) هو حكيم بن حبله . (٢) كان عامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب

عائشة حين قدموا البصرة .

رُكِبَ المَعَزُ ، فَأسْرَ الحَي ، وَسُلِبَ القَتِيل ، فَكُنَّا أولَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَادَنَا بِصَفِينٍ ، وَقَدْ كَلَّتِ البِصَاطِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ، وَبَقِيَ الحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتِ بِالْبَلْغِ بِهَذَا حَاجَتِكَ وَالْأَمْرَ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللهُ فَمَرُّنَا بِهِ .

## ٢٧٠ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهَلَاكِ العِرَاقِ ، وَلَا يَدِينُ لَهُ العِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا نَقَصْنَا أَضْرَمَهُمْ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِن رَأَيْتَ غَيْرَهُ <sup>(١)</sup> ففِينَا وَاللَّهِ مَا يُقَالُ بِهِ الحَدُّ <sup>(٢)</sup> وَيُرَدُّ بِهِ الكَلْبُ <sup>(٣)</sup> ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرٌ » .

## ٢٧١ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِن النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ فِي مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَسَكَلَ الآخِرُ عَنِ الأولِ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ اليَوْمَ مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ نَقَاتِلِ القَوْمَ لَنَا ذِلَالَةٌ ، إِنَّمَا قَاتَلْنَا اللهُ ، فَإِن حَالُ أَمْرِ اللهِ دُونَنَا وَدُونِكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا القِتَالَ »

(١) أى فإن رأيت غير رأيت « وهو الذى عبر عنه بقوله : إني أرى أمرا . . . الخ » وفى الأصل « غيرك » وأراه محرفا . (٢) أى ففينا من البأس ما يقل به حد الأعداء وقوتهم . (٣) الكلب : داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعقر الناس ويعتري الناس أيضا من عضها ، وقد استعاره هنا لطمع الأعداء فيهم وغارتهم عليهم .

## ٢٧٢ - خطبة عمير بن عطار

ثم قام عمير بن عطار، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعيب الواقف ، فقاتل القوم ، إننا معك » .

## ٢٧٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غادر عليهم بنفسى بالفداء ، فأحباكم بسببى هذا إلى الله » .

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرماح ، وقلدها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم » .

## ٢٧٤ - مقال عدي بن حاتم

فقام عدي بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لا تُعَوَّق أهل الحق ، وقد جزع القوم حين تاهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ما تحب ، ناجز القوم » .

## ٢٧٥ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبناك لندنيا . إن معاوية لا خَلَفَ له من رجاله ، ولا يكن بحمد الله الخلفُ لك ، ولو كان له مِثْلُ رجالك ، لم يكن له مِثْلُ صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج<sup>(١)</sup> الحديدَ بالحديد ، واستعين بالله . »

## ٢٧٦ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبناك لندنياً ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبناك إلا الله تعالى وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكفر فيه اللجاج ، وطالت له النجوى<sup>(٢)</sup> ، وقد بلغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأى . »

## ٢٧٧ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدرى كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر<sup>(٣)</sup> لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله اليقيا . »

(١) أى شق سلاحهم ومزقه بسلاحك . (٢) المسارة . (٣) أى ولا أشد وتراً . من

وتره إذا أدركه بمكروه .

## ٢٧٨ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لايوقنون ، أَحْكَمْ بَعْدَ حَكْمِ  
وَأَمْرٍ بَعْدَ أَمْرٍ ؟ مَضَتْ دِمَاؤُنَا وَدِمَاؤُهُمْ ، وَمَضَى حَكْمُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ . »

## ٢٧٩ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية ببيضاء ، من أقرَّ بها هلك ،  
ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد  
مائة ألف قتلوا منا ومنهم ، أفلا كان هذا قبل السيف ، وقبل طلحة والزبير وعائشة قد  
دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم  
وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كان القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن  
أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا<sup>(١)</sup> إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن  
نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أسلموا ،  
ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طَفِئَتْ<sup>(٢)</sup> الفتنة » فقال على : والله إني لهذا  
الأمر كاره .

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل على يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها

(١) يرجعوا . (٢) أي انطفأت .



توهين قوتهم ، وتشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقواه ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعلّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لننّ لم تقبل هذا منهم لا وقاء معك ، ولا نرى معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً » .

وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا نذفمك برؤمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم يردّ من الإذعان وقبول التحكيم .

( الإمامة والسياسة ١ : ٨٩ )

# التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٨٠ - كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم على كُرُوهِ من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وأشرفهم ، فقال له : « أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ فيه ، وما أكثرَ أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيَا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ، وأيمُ الله إنى لأظن ذلك شرًّا لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك ذاهيةُ العرب ، وليس في معاوية خَلَّةٌ <sup>(١)</sup> يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَدَّفَ بمحكك على باطله ، تُدْرِكُ حاجتك منه ، وإن يطمعَ باطلُهُ في حقتك يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأسُ الأحزاب ، وأنه يدَّعي الخلافة من غير مشورة ولا بَيِّمَةٍ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد صدق ، استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ <sup>(٢)</sup> ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أكثرَ من استعملوا ممن لم يدَّعِ الخلافة ، واعلم أن لعمر ومع كل شيء يسُرُّكَ خَبَأٌ <sup>(٣)</sup> يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنسَ أن عليًّا

(١) خصلة . (٢) وجره الدواء (كوعده) وأوجره إياه : جعله في فيه ، وأوجره الرمح :

طعنه ، ووجره : أسمه ما يكره . (٣) الخبء : ماخبي .

بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعةٌ هُدَى ، وأنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين .

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على ، وإنى لو اوقف عند ما رأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله » .  
( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ )

### ٢٨١ - وصية شريح بن هانى لأبي موسى الأشعري

ولما أراد أبو موسى السير ، قام إليه شريح بن هانى الحارثى ، فأخذ بيده وقال :  
« يا أبا موسى : إنك قد نصبتَ لأمر عظيم لا يُجبرُ صدَّعهُ ، ولا تستَقالُ فلتتهُ ،  
ومهما نُقلَ من شيء لك أو عليك ، يَثبُتُ حقُّهُ ، ويُرَى صِحَّتُهُ ، وإن كان باطلاً ،  
وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على ،  
وقد كانت منك تشبيطةٌ <sup>(١)</sup> أيام الكوفة والجل ، فإن تشفعها بشئها يكن الظن بك يقيناً ،  
والرجاء منك ياساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُميتَ بِشَرِّ خَصْمٍ  
فلا تُضعِ العراقَ (فَدَتِكَ نَفْسِي)  
وَأَعْطِ الْحَقَّ شَأْمَهُمْ وَخُذْهُ  
فإنَّ اليومَ فى مَهَلٍ كَأَمْسِ  
وإنَّ غَدًا يَجِئُ بما عليه  
كذلكَ الدهرُ من سَعْدٍ وَنَحْسِ  
ولا يَخْدَعُكَ عمرو ، إن عمراً  
عَدُوُّ الله مَطْلَعُ كلِّ شمسِ  
له خَدَعٌ يحارُّ العقلَ منها  
مُموَّهَةٌ مزخرفةٌ يلبسُ

(١) أى تعويق .

فلا تجمل معاوية بن حرب كشيخ في الحوادث غير نكس<sup>(١)</sup>  
هداه الله للإسلام فردا سوى عرس<sup>(٢)</sup> النبي، وأى عرس؟  
فقال أبو موسى: « ما ينبغي لقوم أتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا، أو أجر<sup>(٣)</sup>  
إليهم حقاً ». (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

## ٢٨٢ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

ولما حُكِّم أبو موسى الأشعري أتاه الأحنف بن قيس ، فقال له :  
« يا أبا موسى ، إن هذا مسير له ما بعده ، من عزِّ الدنيا أو ذلها آخر الدهر ،  
ادع القوم إلى طاعة عليّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من  
أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص  
أن تصافحه بنية ، وأن يُقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة ، وأن يضمك وإياه بيت ،  
فيُمكن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم ، لتكون عليه بالخيار ، فالبادئ مستغلق<sup>(٣)</sup> ،  
والحبيب ناطق » .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان ،  
فلقيه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل وألله قدميك في خفّ واحدة » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦)

(١) كشيخ : يريد به الإمام عليا ، والنكس : الضعيف والمقصر عن غاية الكرم . (٢) أى  
زوجه ، يريد السيدة خديجة رضى الله عنها ، وأى عرس : أى وأى عرس هى . استفهام المراد به  
التعظيم . (٣) أصله من قولهم : استغلقنى في بيمة : لم يجعل لى خيارا فى رده : أى أن البادئ ليس له  
الخيار فى رد ما قال .

## ٢٨٣ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضونَ عنكَ ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوةً لأهل الشام ، وفُرقةً لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول فاذا هو قال فاصمتُ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إن خوفك العراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، فخوفه بمعاوية ، وإن أتاك بالجميل فأتِهِ بالجميل . »

## ٢٨٤ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرجُ الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوتَ ، ولم تأمن ما خفتَ ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرتَ لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايتَ إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ » .

## ٢٨٥ - مقال شرح جليل بن السمط لعمر و

ولما ودَّعه شُرَّحيل بن السُّنط قال له :

« يا عمرو إنك رجل قريش، وإن معاوية لم يبعثك إلا لعله أنك لا تُؤاخي من عجز ولا مكيدة، وقد علمت أن وطأة هذا الأمر لك ولصاحبك، فكن عند ظننا بك ». .  
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

## ٢٨٦ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل ، ودار بينهما من الحوار ما دار ، أقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون ، فتقدم أبو موسى ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نرَ أصحَّ لأمرها ، ولا أَلَمَّ لِشَمئِها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر ، فيؤتوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت عليا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا<sup>(١)</sup> ». ثم تنحى .

---

(١) وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وإني رأيت وعمرا أن نخلع عليا ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر ، فإنه لم ييسط في هذه الحرب يدا ولا لسانا » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب : « وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ( وأهوى إلى عمامته فخلعها ) واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه » .

## ٢٨٧ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :  
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأبئت  
صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق  
الناس بمقامه » .

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل  
الكلب إن تخمّل عليه يلهث ، أو تنزّكهُ يلهث<sup>(١)</sup> » قال عمرو : « إنما مثلك  
كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

( تاريخ الطبرى ٦ : ٤٠٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،

والإمامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٣٢ )

## ٢٨٨ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :  
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح<sup>(٢)</sup> ، والحديث<sup>(٣)</sup> الجليل ، وأشهد أن  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه  
 وآله . أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، تُورث الحسرة ، وتُعقب  
 الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأبى ، لو كان

(١) لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أعيأ . (٢) من

فدحه الدين : أى أثقله . (٣) الحادث .

يُطَاعُ لِقَصِيرٍ<sup>(١)</sup> أمرٌ ، فأبيتم على إباء الخالفين الجفأة ، والمذايدين العصاة ، حتى ارتاب  
الناصح بنصحه ، وضمن الزند بقده ، فكنت وإياكم كما قال أخوه ووازن<sup>(٢)</sup> :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمتين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورها ،  
وأحيا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير  
حجة بيّنة ، ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد ، فبرى الله منهما  
ورسوله وصالح المؤمنين . استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .

(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

## ٢٨٩ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام علي : قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام  
الحسن فتكلم فقال :

« أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو ، وإنما بعثنا ليحكم بالقرآن  
دون الهوى ، فحكمنا بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكماً ، ولكنه  
محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث  
خصال : خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر إذ لم يرّضه لها ، ولم يره أهلاً لها ، وكان أبوه  
أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لاشيء له فيها ، شرطاً مشروطاً من

(١) قصير : هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبراء ملكة الجزيرة ،

وقد دعت إليها ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

(٢) هو دريد بن الصمة .



عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة . وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَمَقْدُونِ الإمامة ، ويحكمون على الناس . وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَمَّ ماعنده من ردّ أو قبول « ثم جلس .

### ٢٩٠ — خطبة عيد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال على لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :  
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض به ، وراغب عنه ؛ وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيارجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كانا حكماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكماً بهواهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه » ثم جلس .

### ٢٩١ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :  
« أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعلى ، والرضا فيه إلى غيره ، جئتم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصابنا بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا العراق ، ولا أماتا حقّ على ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأى ، ولا نفخة شيطان ، وإنما لعليّ اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس . (الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

## ٢٩٢ - خطبة علي

ولما نزل على النَّخِيلَةِ وَأَيَسَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أما بعد : فإنه من ترك الجهاد في الله ، وادّهن في أمره ، كان على شفاً هلكة ،  
إلا أن يتداركه الله بنعمة ، فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يُدعى نور الله ،  
قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ،  
ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُلّوا عليكم لعملوا  
فيكم بأعمال كسرى وهرقل ، تيسروا وتهيئوا المسير إلى عدوكم من أهل المغرب . وقد بعثنا  
إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ،  
ولا حول ولا قوة إلا بالله » . ( تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ )

## ٢٩٣ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس : « أما بعد : فإننا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ،  
وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فأشخص بالناس حين يأتيك رسولي ،  
وأقم حتى يأتيك أمري والسلام » .  
فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأحنف بن قيس ،  
فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس  
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد يا أهل البصرة فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم  
بالنفيр إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون  
ألفاً سوى أبنائكم وعبيدائكم ومواليكم ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي ،

ولا يجعلن رجل على نفسه سيلاً ، فإنى موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه ، عاصياً لإمامه . وقد أمرت أبا الأسود الدؤلى بمشركم ، فلا يلم رجل جمل السبيل على نفسه إلا نفسه » ( تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤ ) .

## ٢٩٤ - خطبة على

فخرج جارية فمسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعائة ، ثم أقبل حتى وافاه على بالنخيلة ، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ورءوس الأسباع ورءوس القبائل ووجوه الناس .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ، وصحابتى على جهاد عدوى المحلّين ، بكم أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتى منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناسحة جليّة خلية من الغش ، إنكم . . . (١) تخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنى أسألكم أن يكتب لى رئيس كل قوم مافى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا » .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألتَ وبما طلبتَ ، وقام مَعْقِل بن قيس الرّياحى فقال له نحواً من ذلك ، وقام عدى بن حاتم وزيايد بن خصفة وحجر بن عدى وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك ، ثم إن الرءوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه . ( تاريخ الطبرى ٤ : ٤٥ )

(١) فراغ فى الأصل .

## ٣٩٥ - خطبة علي

وكتب عليّ إلى سعد بن مسعود الثقفي ، وهو عامله على المدائن : « أما بعد فأني قد بعثت إليك زياد بن خصيفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »

وبلغ عليا أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحروب فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين . فقام في الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أما بعد فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه ، فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين .

وأن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا<sup>(١)</sup> . »

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، وقام إليه صيفي ابن فسيل الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاديت ، ونشايح من أناب إلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله إن تؤتى من قلة عدد ، ولا ضعف نية أتباع .

وقام إليه محرز بن شهاب التيمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين : شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على بصرك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك ، وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال (تاريخ الطبري ٦ : ٤٥)

## ٢٩٦ - خطبة معاوية

ولما فشل التحكيم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، واختلف الناس بالعراق على عليّ  
فما كان لمعاوية همّ إلا مصر ، فدعا أصحابه ليستشيرهم في أمرها ، وكان فيهم عمرو بن العاص  
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوّكم ، جاءوكم وهم لا ترؤن إلا  
أنهم سيقبضون بيضتكم<sup>(١)</sup> ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم ، فردم  
الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا ، وحاكمتهم إلى الله فحكم لنا عليهم ، ثم جمع لنا كلتنا  
وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ويسفك  
بعضهم دم بعض ، والله إنى لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر  
فكيف ترون ارتئاءنا لها ؟ » .

وكان عمرو بن العاص قد صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب ، على أن  
له مصر طعمة مابقي ، فقال لمعاوية : فإني أشير عليك كيف تصنع : أرى أن تبعث جيشاً  
كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتمثق به ، فيأتي مصر حتى يدخلها . . . فسيرة إليها .  
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٦ )

## ٢٩٧ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج وودّعه ، وقال  
له عند وداعه إياه :

(١) البيضة : حوزة كل شيء .

« أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمنّ ، وبالمهل والتؤدة ، فإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفو عن أدبر ، فإن قيل فيها ونعمت ، وإن أبي فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثرَ الناس عندك ، وكلّ الناس فأولُ حسنا .  
(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧)

### ٢٩٨ — خطبة محمد بن أبي بكر

وقدم محمد بن أبي بكر مصر واليا عليها من قبل على بن أبي طالب ( سنة ٣٦ هـ ) فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصّرنا وإياكم كثيرا بما عصى عنه الجاهلون ، ألا إن أمير المؤمنين ولأنى أموركم ، وعهد إلى ما قد سمعتم ، وأوصانى بكثير منه مشافهة ، ولن آلوكم خيرا ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ما ترون من إمارتى وأعمالى طاعةً لله وتقوى ، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى . وإن رأيتم عاملا لى عمل غير الحق زائفا ، فارفعوه إلى وعاتبونى فيه ، فإنى بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جديرون ، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته .  
(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٢)

### ٢٩٩ — خطبة لمحمد بن أبي بكر

وأقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر ، فقام محمد بن أبى بكر فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد معاشر المسلمين والمؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه ،

وينتمشون الضلالة ، ويشبّون نار الفتنة ، ويتسلطون بالجزيرية ، قد نصبوا لكم العداوة ، وساروا إليكم بالجنود .

عباد الله فمن أراد الجنة والمغفرة ، فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدكم في الله .  
انتدبوا إلى هؤلاء رحمكم الله مع كنانة بن بشر « ثم انتهى الأمر بقتل محمد بن أبي بكر .  
( تاريخ الطبري ٦ : ٥٩ )

### ٣٠٠ - خطبة لعلی وقد استصرخه محمد بن أبي بكر

ولما سير معاوية عمرو بن العاص إلى مصر ( سنة ٣٨ هـ ) - وكان عليها محمد بن أبي بكر من قبل علی - بعث ابن أبي بكر إلى علی يستصرخه ، فقام علی في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، فإن هذا صريح محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النابغة ، عدو الله ، وولى من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشدّ اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدءوا بكم وإخوانكم بالفز ، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر .

عباد الله : إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكنت لعدوكم ، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة ، فولفوني بها هناك غدا إن شاء الله . »

( تاريخ الطبري ٦ : ٦١ وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ٣٤ )

### ٣٠١ - خطبة عليّ حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر

ولما بلغ عليا مقتل محمد بن أبي بكر ، حزن عليه حتى رُئى ذلك في وجهه وتبين فيه وقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال :  
« ألا إن مصر قد افتتحها الفجّرة أولو الجور والظلم ، الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغّوا الإسلام عوجا ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله ، فعند الله نحتسبه ، أما والله إن كان - ما علمت - ليمنّ ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ، ويحب هدى المؤمن .

إني والله ما ألوم نفسي على التقصير ، وإني لمقاساة الحرب نجد<sup>(١)</sup> خبير ، وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم ، وأقوم فيكم بالرأى المصيب ، فأستصرخكم معلننا ، وأناديكم نداء المستغيث مُعْرَبَا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم النارُ ، ولا ينقض بكم الأوتار ، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، فتجرجرتم جرجرة<sup>(٢)</sup> الجمل الأشدق ، وثناقلتم إلى الأرض ثناقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب<sup>(٣)</sup> كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم « ثم نزل :  
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٢)

(١) التجرد : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . (٢) الجرجرة : صوت رده البعير في حنجرته ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب . (٣) جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب . من

قولهم : تذاهبت الريح أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمى الذئب ذئبا لاضطراب مشيته .



## فتنة الخوارج

٣٠٢ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضللا ، ونزلوا حروراء<sup>(١)</sup> في اثني عشر ألفا ، وأمروا على القتال شبث بن ربعي ، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال : لا تمجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نقيم من الحكيم ؟ وقد قال الله عز وجل : « إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهم<sup>(٢)</sup> » فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج : قلنا أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يحكم به

(١) بظاهر الكوفة .

(٢) الآية في الصلح بين الزوجين ( وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا )

ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ<sup>(١)</sup>» فقالوا له : « أَوْ تَجْعَلِ الْحَكْمَ فِي الصَّيْدِ ، وَالْحَدِيثَ يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا كَالْحَكْمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أَعَدْلٌ عِنْدَكَ ابْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا ؟ فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا بِمَدُولٍ ، وَنَحْنُ أَهْلُ حَرْبِهِ ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَحِزْبِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجَعُوا<sup>(٢)</sup> ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فَأَبَوْهُ ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا ، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ وَالِاسْتِفَاضَةَ<sup>(٣)</sup> وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا الْإِسْتِفَاضَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ، إِلَّا مِنْ أَقْرَبِ الْجَزْيَةِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

### ٣٠٣ — مناظرة الامام عليّ لهم

ثم خرج إليهم عليّ حتى انتهى إليهم وهم يحاصمون ابن عباس ، فقال : انته عن كلامهم  
ألم أنهلك رحمتك الله ؟

(١) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ بِمَحْكُمٍ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ) .

(٢) يشيرون إلى قوله تعالى ( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

(٣) استفاض المكان استفاضة : اتسع ، وهي هنا مرادفة للموادعة .

ثم تكلم فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج<sup>(١)</sup> فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث<sup>(٢)</sup> فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال عليّ : فما أخرجكم علينا؟ قالوا حكومتكم يوم صفين . قال : أنشدكم بالله أتعلون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شرًّا أطفال وشرًّا رجال ، امضوا على حكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا<sup>(٣)</sup> ومكيدة ، فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أبيتم إلا الكتاب ، اشتدَّتْ على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكما يُحكّم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فضبرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إننا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال . قالوا : فضبرنا عن الأجل لم جعلتهُ فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عزَّ وجلَّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم » .

( تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل للببرد ٢ : ١٢٨ )

(١) الفلج والإفلاج : الظفر والفوز . (٢) أوعث : وقع في الوعث ( الوعث بالسكون : المكان

السهل الدهس تنبئ فيه الأقدام والطريق المسر ) . (٣) الإدهان : النش .

## ٣٠٤ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وها كها :

« قالوا إن علياً لما اختلف عليه أهل النهروان والقرى وأصحاب البرانس ، ونزلوا قرية يقال لها حروراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إليّ ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومُقامِكُم بالكوفة؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشكُّ في جهاده ، فزعمتُ أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ، وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بابعثكم ، وإن قضى عليكم بابعثوني ، فلو لا شكك لم تفعل هذا ، وألحق في يدك . قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالنا معي عدوا لا نشكُّ في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتالنا وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسالي المنافق وتحكيمي الكافر ، فانت أرسلت أبا موسى مبرئاً ، ومعاوية حَكَمَ عَمْرًا ، أتيت بأبي موسى مبرئاً ، فقلت : لا ترضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا علي لا تعطِ هذه الدنْيَةَ فإنها ضلالة؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتابُ الله تبعتك ، وإن جرّك إليّ تبعتنى . زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ماني يديك هذا الأمر ، فخذنني ويحك عن اليهودي والنصراني ومُشرِكِي العرب ، أأهم أقربُ إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : ( قُلْ فَأَنوُا

بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَمَا كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْتَىٰ بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَىٰ ، قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحِجَّةً ، قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ . هَذِهِ وَاحِدَةٌ . زِدْنِي ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أُعْظَمُ مَا نَقَمْتُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : تَحْكِيمَ الْحَكَمِينَ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا ، فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شُكًا وَتَبْذِيرًا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَتَىٰ مُسَمَّىٰ أَبُو مُوسَىٰ حَكَمًا ، حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ ، قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ ، مُسَمَّىٰ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ ، قَالَ : نَعَمْ إِذْنًا فِرْسَالَهُ كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَىٰ قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَىٰ عَقِبِهِ كَافِرًا ، كَانَ يَضُرُّ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي إِنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلْ رَضِيتُ حُكْمَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : لَا ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَيَلِكُ يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ ! هَلْ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مَعَاوِيَةَ ؟ وَكَيْفَ أَحْكَمُهُ وَحَكَمُهُ عَلَىٰ ضَرْبِ عُنُقِي ، إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَةً أَوْ نَصْرَانِيَةً ، خَافَا شِقَاقَ بَيْنَهُمَا ، فَفَرَّعَ النَّاسَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ، وَفِي كِتَابِهِ : ( فَابْتَئُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ) فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى ، وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يَجُوزُ لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَحَكَمَا . قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَمَهْلِنَا حَتَّىٰ نَنْظُرَ ، فَانصرف عنهم عليّ .

فقال له صعصعة بن صوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي في كلام القوم ، قال : نعم ما لم تَبْسُطْ يَدًا ، فنأدى صعصعة ابن الكواء ، فخرج إليه فقال : أنشدكم الله يا معشر

الخارجين أن لا تكونوا عارًا على من يغزولغيره<sup>(١)</sup> ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لقينًا بأمرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأمسك .

قالوا إن عليًا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء : إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حدًا ، استتبعناه من ذلك الذنب بعينه ، وإن توبت أن تعرف هدى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أنا قد فتننا ، فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز : أدركنا والله هذه الآية ( ألم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فصلوا خلف عليّ الظهر ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضًا ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنهر وان .

( المقد الفريد ٢ : ٢٤٠ )

### ٣٠٥ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقرروا بالكوفة أشاعوا أن عليًا رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضلالا ، فأتى الأشعث بن قيس عليًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب عليّ الناس فقال :

« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقيل لعليّ إنهم خارجون ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود ،

(١) أي لغير منفعتة الشخصية بل للمسلمين وجمع كلمتهم يعني عليا وأصحابه .

وأيديا كَشَفْنَات<sup>(١)</sup> الإبل ، وعليهم قُصُصٌ مَرَحَضَةٌ<sup>(٢)</sup> وهم مشمرون . قالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟ قال : جئتم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار ، فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمتنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تدنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعتنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ الله إلا ما صدقتم أنفسكم . أما علمتم أن الله أمركم بتحكيم الرجال في أرب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا : اللهم نعم ، قال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحدَيْبِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، قالوا : نعم ولكن علينا محامنا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس : أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محام رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل<sup>(٤)</sup> بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للسانب<sup>(٥)</sup> : اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكيم أن لا يجورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعى مثل دعوى على . قال : فأيهما رأيتموه أولى فولوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة

( للمقد الفريد ١ : ٢١٢ )

لعبد الله بن وهب الراسبي .

(١) ثفنة البعير : ركبته . (٢) قص جمع قيص ، ورحض الثوب : غسله .

(٣) أي وبين أهل الحديبية . والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

(٤) النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . (٥) وكان هلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

### ٣٠٦ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لني خطبته ، إذ حكمت (١) المحكّمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل : إن سكتوا عمّنا ، وإن تكلموا حجّجنا ، وإن خرجوا علينا قاتلنا ، فوثب يزيد ابن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غيرَ مودّع (٢) ربّنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة (٣) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان (٤) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تُخوّفنا ؟ أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات (٥) ، ثم لتعلمن آيتنا أولى بها صلياً (٦) . »

ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هورا بهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة .  
(تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

### ٣٠٧ - خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) أى قالوا لا حكم إلا الله ، ويسمى الخوارج المحكّة : أى الذين يمتعون التحكيم . (٢) أى غير متروك ولا مقطوع : أى هذا دائماً . (٣) يريد بها قبول التحكيم . (٤) الإذهان والمداهنة : إظهار غير ما يضر . (٥) أى نضربكم بجدها لا بعرضها ، ضربه بالسيف مصفحاً : أى بعرضه . (٦) صلى النار وبها صلياً : قاسى حرها .



« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقومٍ يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عناءً وتبارك<sup>(١)</sup> - آثرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من<sup>(٢)</sup> وضر<sup>(٣)</sup> ، فإنه من يُمنَّ وَيُضَرَّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عزَّ وجلَّ ، والخلودُ في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور<sup>(٤)</sup> الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البِدَعِ المُضِلَّةِ » .

### ٣٠٨ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكَ<sup>(١)</sup> ، فلا تدعوا نِكْمَ زِينَتِهَا ، وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تَلَفَّتِنَاكُمْ<sup>(٢)</sup> عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

### ٣٠٩ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، ورأية تحفون بها ، وترجعون إليها » .  
فعرضوها على زيد بن حُصَيْنِ الطائِي فآبَى ، وعلى حُرْقُوصِ بن زهير فآبَى ، وعلى

(١) هلاك . (٢) أى قطع وهجر . (٣) جمع كورة بالضم ، وهى المدينة والصقع .

(٤) سريع .

حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأبيا ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أَدعها فرقا<sup>(١)</sup> من الموت » فبايعوه ( لعشر خلون من شوال سنة ٥٣٧ هـ ) .

### ٣١٠ - خطبة شريح بن أوفى العبسي<sup>(٢)</sup>

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال .

« إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، والجهاد في تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعْوَتنا أَنْ قد اتبعوا الهوى ، وَتَبَدُّوا حكم القرآن ، وجاروا في الحكم والعمل ، وأن جهادهم على المؤمنين فرض ، وأقسم بالذي تمنوا<sup>(٣)</sup> له الوجوه ، وتخضع دونه الأبصار ، لو لم يكن أحد على تغيير المنكر ، وقتال القاسطين<sup>(٤)</sup> مساعداً ، لقاتلتهم وحدي فرداً حتى ألقى الله ربي ، فيرى أني قد غيّرت (إرادة رضوانه) بلساني ، يا إخواننا ، اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف ، حتى يطاع الرحمن عز وجل ، فإن

---

(١) جزعا وخوفا . (٢) قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها . وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر الفقرات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » . (٣) تذلل وتخضع . (٤) الجائرين .

يُطْعِمُ اللهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَثَابَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْأَمْرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْتِصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَخَرَجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ نَتَمَدَّدُ فِيهِ الْجَمَاعُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قَلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَدْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَخَرَجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ <sup>(١)</sup> » نَسَكْنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سُكَّانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

### ٣١١ - مقال زيد بن حصين الطائي

قال زيد بن حصين الطائي :

« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ أَتَيْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرَجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ، فَأَمَّا الْمَدَائِنُ ، فَإِنَّ بِهَا قَوْمًا يَمْنَعُونَكُمْ مِنْهَا ، وَيَمْنَعُونَهَا مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْلِمُوهُمْ بِخُرُوجِكُمْ ، وَسَيَرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ <sup>(٢)</sup> . »

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا عَلَى ذَلِكَ ، وَكُتِبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ .

( تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤ )

(١) هل نهر دجلة شرقا . (٢) النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ .

## ٣١٢ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهران

فلما نزلوا بالنهران ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث<sup>(١)</sup> ، أتاهم الإمام عليّ - كرم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق الهوى ، وطمّح بها النزق<sup>(٢)</sup> وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تُضَيِّحُوا تُفْهِمِكُمُ الأمة غداً صرعى بأثناء<sup>(٣)</sup> هذا النهر ، وبأهضام<sup>(٤)</sup> هذا الغائط<sup>(٥)</sup> ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان مبین معكم ، وقد طوّحت بكم الدار ، واحتبلكم<sup>(٦)</sup> المقدار .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن<sup>(٧)</sup> ومكيدة لكم ؟ ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأني أعرفُ بهم منكم ؟

- 
- (١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبل مّتم ( أى دنا ولادها ) فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محمّقا في أولها وفي آخرها ، قالوا : فأتقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشدّ توقيا على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها لاعلى أفعالها ، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طييء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلما ونصرانيا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا ، وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وأرسل إليهم على رسولا ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى أتى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير ما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماهم . (٢) الطيش . (٣) جمع فني بالكسر : أى منعطفاته . (٤) جمع هضم ( بالفتح ويكسر ) وهو المطنن من الأرض . (٥) الغائط : المطنن الواسع من الأرض . (٦) أوقمكم في الحباثة . (٧) دهن الرجل : إذا نافق .

( عرقهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر ) وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ؟  
فمصيتموني وأكرهتموني حتى حكمت ، فلما أن فعلتُ شرطتُ واستوتقتُ ، فأخذت  
على الحكيم أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم  
الكتاب والسنة ، وعملاً بالهوى ، فنبذنا أمرها ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ،  
ومن أين أتيتم ؟ » .

قالوا : إنا حكمنا ، فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن تبنا  
كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أبيتَ فأعتر لنا ، فإننا منابذك على سواء<sup>(١)</sup> إن الله  
لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصب<sup>(٢)</sup> ، ولا بقى منكم وابر<sup>(٣)</sup> » ، أبعده إيماني  
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتي معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى  
بالكفر ؟ لقد ضللتُ إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبوا شر ما ب<sup>(٤)</sup> ، وارجعوا  
على أثر الأعتاب<sup>(٥)</sup> أما إنكم ستلقون بهدى ذلاً شاملاً ، وسيفناً قاطعاً ، وأثرة<sup>(٦)</sup>  
يتخذها الظالمون فيكم سنة .

(١) هو من قوله تعالى ( وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ) ومعناه إذا هادنت قوما فلمت منهم النقص العهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى  
النقص حتى تعلمهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقص مستوين لئلا يتهموك بالغدر ،  
ثم أوقع بهم . (٢) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الخصى) ، وحصبه : رماه  
بالحصباء . (٣) أى أحد . وىروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصلحه . وىروى آثر ، وهو  
الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكيه . وىروى آبز ، وهو الواهب . (٤) أى ارجعوا شر مرجع .  
(٥) الأعتاب جمع عقب ( بكسر القاف ) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :  
« وَنُرِدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ » يدعو عليهم بانمكاس حالهم وارتدادهم وعودهم من العز  
إلى اللذل . (٦) أى استبدادا عليكم بالوقء والغنائم .

## ٣١٣ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن علياً قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراق هذه الحكومة ، التي أنتم ابتدأتموها  
وسألتموها<sup>(١)</sup> وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودَهْنًا ، فأبيتم على  
إبَاء الخالفين المناذيين ، وعدلتم عنى عدول النكداء<sup>(٢)</sup> العاصين ، حتى صرفت رأيي  
إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أخفاء الهام<sup>(٣)</sup> ، سُفهاء الأحلام ، فلم آتِ ( لا أبالكم )  
بِجُرْأ<sup>(٤)</sup> ، ولا أردت بكم ضراً ، والله ما خبَلتكم<sup>(٥)</sup> عن أموركم ، ولا أخفيت شيئاً  
من هذا الأمر عنكم ؛ ولا أوطأتكم عُشْوَةً<sup>(٦)</sup> ، ولا دنيت<sup>(٧)</sup> لكم الضراء ، وإن  
كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً ، فأجمع رأيي مَلَيْتكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا  
عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يَعدُواوا ، فتأها<sup>(٨)</sup> وتركا الحق وهما يُبْصِرانه ، وكان  
الجور هوأهما ( وقد سبق استئيناؤنا عليهما في الحكم بالعدل ) والصدُّ للحق بسوء رأيهما  
وجورِ حكهما ، والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق ، وأتياً بما لا يُعرَف ،  
فبيئنا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين<sup>(٩)</sup> أحلَّ  
لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون

(١) المراد : سألتونف أن أجيب إليها . (٢) رجل نكد ( بكسر الكاف وفتحها وسكونها )

وأنكد أى عسر ، وقوم أنكاد ومناكيد ، ولم أر فى كتب اللغة جمعه على نكداء . (٣) أخفاء : جمع

خفيف ، والهام : الرءوس ، وهو كناية عن قلة العقل . (٤) البجر ، بالضم والفتح : الشر والأمر

العظيم ، ويروى حراما . (٥) منمتكم وحبستكم . (٦) المشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير

بيان ، وبالفتح الظلمة ، ويقال : أوطأته عشوة ، أى غررته وحملته على أن يركب أمرا غير مستبين الرشد ،

فربما كان فيه عطبه . (٧) دناءه وأدناه : قربه . (٨) ضلا . (٩) همزة الاستفهام

مقدرة قبل أن : أى هل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك ؟

دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَظَمَ عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ » .

فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وَهَيَّئُوا للقاء الرب ، الرَّوَاحَ الرَّوَاحَ إلى الجنة ، فزحف عليهم على فأنفاهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُفَلِّتْ منهم إلا عشرة ( وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ ) .

( تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤ )

### ٣١٤ - خطبة المستورد بن علفة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب<sup>(١)</sup> ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتماضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفة من بنى سعد بن زيد مائة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تحقُّق راياته ، معلِّناً مقاتلته ، مُبَلِّغاً عن ربه ، ناصحاً لأُمَّته ، حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مختاراً ، ثم قام الصديق فَصَدَّقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرآن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداها طعنٌ على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ، ثم

(١) وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن . ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم » .

قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل ، مُسوِّياً بين الناس في إعطائه ، لا مؤثراً لأقاربه ، ولا مُحَكِّماً في دين ربه ، وهأنتم تملون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أجباب وبيع<sup>(١)</sup> .  
( السكامل للمبرد ٢ : ١٥٤ )

---

(١) وقد وجه إليهم الإمام علي ، عبد الله بن عباس داعياً فأبوا ، فسار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت

منهم إلا خمسة منهم المستورد .



# خور أصحاب الإمام

وتقاعسهم عن نصرته

## ٣١٥ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشخص<sup>(١)</sup> إليه مَنْ قبله من الناس . فأمرهم ابن عباس بالشخوص مع الأحنف بن قيس ، فَشَخَصَ معه ألف وخسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يُشَخَصْ إليه منكم إلا ألف وخسمائة ، وأنتم في الديوان<sup>(٢)</sup> »

(١) شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

(٢) الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وهو فارسي معرب . قال القلقشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجازين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحذقهم بالأمر ، ووقوفهم على الجلي منها والخفي » اهـ ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وهى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، =

ستون ألفاً ، سوى أبنائكم وعبيدناكم<sup>(١)</sup> ومواليكم ، ألا فانفروا<sup>(٢)</sup> ،  
ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً ، فإني موقِعٌ بكلِّ من وجدته تخلف عن دعوته ،  
عاصياً لإمامه ، حزناً يُعقِبُ ندماً ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يلم امرؤ  
جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ )

### ٣١٦ - خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم وأعزَّ نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى  
معاوية وأشياعه القاطنين ، الذين نبدوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « واشتروا به تمناً  
قليلاً » ف « بيئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

### ٣١٧ - مقال الأشعث بن قيس

فقال الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نَفِدَتْ نِبَالُنَا ، وَكَاتَتْ سِيوفُنَا ، وَنَصَلَتْ<sup>(٣)</sup> أَسِنَّةُ رِمَاحِنَا وَعَادَ

---

= ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول  
من دون الدواوين في العرب سنة ٢٣ أى رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم فى النسب  
وأرزاقهم ( انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣ ) . (١) جمع عبد . (٢) نفر إلى الشيء :  
أسرع إليه . (٣) سقطت .

أكثرها قصدا<sup>(١)</sup> فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستمدد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا ، فإنه أقوى لنا على عدونا .

فأقبل على الناس حتى نزل بالنخيلة<sup>(٢)</sup> ، ثم دخل الكوفة .

(الامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩) .

### ٣١٨ - خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :

« أيها الناس استعدوا لقتال عدوي ، في جهادهم القربة إلى الله عز وجل ، ودرئكم الوسيلة عنده ، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ، مؤزعين<sup>(٣)</sup> بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكب<sup>(٤)</sup> عن الدين ، يعمهون<sup>(٥)</sup> في الطغيان ويتسكعون<sup>(٦)</sup> في عمرة الضلال ، ف « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط<sup>(٧)</sup> الخيل - وتوكلوا على الله ، وكنى بالله وكيلاه . »

(١) رمح قصد ، وقصيد ، وأقصاد : أى متكسر . (٢) وعسكر بها حين نزلها ، وأمر

الناس أن يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام . فجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير ، وبقى المعسكر خاليا ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة . (٣) أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . (٤) من نكب عن الطريق : أى عدل ومال . (٥) من العمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال .

(٦) تسكع : مشى مشيا متعسفا ، وتحجير . (٧) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به كالمرباطة أو جمع رباط فيل بمعنى مفعول .

فَا نَفَرُوا وَلَا تَيْسَّرُوا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم  
ووجوههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي ينظرون<sup>(١)</sup> ، فمنهم المعتل ، ومنهم المتكره ،  
وأقلهم من نشط ، فقام فيهم خطيباً فقال :

(شرح ابن أبي الحديد م : ١ : ص ١٧٩ ، والامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ )

### ٣١٩ - خطبة له أيضاً في استنفارهم لقتال معاوية

« عبادَ الله : مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اناقلتم<sup>(٢)</sup> إلى الأرض ا  
أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلاً ، وبالذل والهوان من العز خلقاً ؟ أو كلما نذبتكم  
إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكان قلوبكم مألوسة<sup>(٣)</sup> فأنتم  
لا تعقلون ، وكان أبصاركم كمة<sup>(٤)</sup> فأنتم لا تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود  
الشري<sup>(٥)</sup> في الدعة<sup>(٦)</sup> ، وثعالب روَاعة حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بنقذ  
سجيس الليالي<sup>(٧)</sup> ، ما أنتم بركب يُصَال بكم ، ولا ذي عز يُعْتَصَم إليه ، لعمر الله لبئس  
حشاش<sup>(٨)</sup> الحرب أنتم ، إنكم تُكادون ولا تكيدون ، وتُنقِص أطرافكم  
ولا تتحاشون<sup>(٩)</sup> ، ولا يُنقَم عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أخوا الحرب اليقظان  
ذو العقل ، وبات لذل من وادع ، وغلب المتخاذلون ، والمتلوب مقهور ومسلوب ،  
ثم قال :

(١) يؤخرهم . (٢) تناقلتم . (٣) من الألس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ،  
ألس (كحفي) فهو مأوس . (٤) كه : جمع أكه من كه بصره (كفرح) اعترته ظلمة تطمس عليه .  
(٥) الشري : موضع تنسب إليه الأسد ، قيل هو شري الفرات وناحيته وبه غياض وآجام ومأسدة .  
(٦) أي في وقت الدعة والحفض . (٧) يقال : لا آتيك سجيس الليالي : أي أبدا .  
(٨) جمع حاش اسم فاعل ، من حش النار : أي أوقدها . (٩) أي ولا تهتمدون عن ذلك وتتلافونه  
بالدفاع عنها ، من حاشية الشيء وهي ناحيته كما تقول تمنحي عنه : أي تباعد عنه من الناحية .

« أما بعد : فإن لي عليكم حقاً ، وإن لكم عليّ حقاً ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتمكم ، وتوفير فيشكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين أمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجموا إلى ما أحب ، تناولوا ما تطلبون ، وتدركوا ما تأملون »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهى :

### ٣٢٠ - صورة أخرى

« أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذل من العز خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهادِ عدوكم دارت أعينكم ، كأنكم من الموت فى غمزة<sup>(١)</sup> ، ومن الدهول فى سكرة<sup>(٢)</sup> ، يرتج<sup>(٣)</sup> عليكم حوارى فتعمهون ! فكان قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعلمون ! ما أنتم لى بثقة سجنس اليالى ، وما أنتم بركن يمال بكم<sup>(٤)</sup> ، ولا زوافير<sup>(٥)</sup> عز يفتقر إليكم ، ما أنتم إلا كابل ضل رعانها ، فكما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمر الله سمر<sup>(٦)</sup> نار الحرب أنتم ، تُكادون ولا تسكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون<sup>(٧)</sup> ، لا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله إنى لأظن بكم أن لو حَسَّ<sup>(٨)</sup> الوغى ،

(١) الغمزة : الشدة . (٢) يغلق ، والحوارى : المحاور . (٣) أى يستند إليكم ويمال على

العدو بقوتكم . (٤) جمع زافرة ، والزافرة من البناء : ركنه ، ومن الرجل : عشيرته .

(٥) من سعر النار والحرب : كمنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقوله : قوم

كظم للغيط جمع كاظم . (٦) أى فلا تمتعضون . (٧) اشتد ، وكذا استحر ، وأصل الوغى :

الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة .

وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتَ ، قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْ ابْنِ أَبِي ظَالِبٍ ، انْفِرَاجَ الرَّأْسِ <sup>(١)</sup> ، وَاللَّهُ إِنْ أَمَرَ  
يُمْكِنُ عُدُوهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ <sup>(٢)</sup> لِحْمَهُ ، وَيَهْتِمُّ عِظَمَهُ ، وَيَفْرِي <sup>(٣)</sup> جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ  
عَجْزِهِ ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جِوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ <sup>(٤)</sup> فَأَمَّا أَنَا :  
فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ <sup>(٥)</sup> تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشٌ <sup>(٦)</sup> الْهَامِ ، وَتَطْيِیحُ  
السَّوَاعِدُ وَالْأَفْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْنَّصِيحَةُ لَكُمْ  
وَتَوْفِيرُ فَيْئَتِكُمْ عَلَيَّ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ  
بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .  
( نهج البلاغة ١ : ٤٢ )

### وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« وَاللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، مَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا ظَاهِرِينَ <sup>(٧)</sup> عَلَيْكُمْ ،  
فَقَالُوا : أَيْعَلِمُ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فَقَالَ :

« نَعَمْ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنْ أَرَى أُمُورَهُمْ قَدْ عَلَتْ ، وَأَرَى أُمُورَكُمْ  
قَدْ خَبَتْ <sup>(٨)</sup> ، وَأَرَاهُمْ جَادِّينَ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَأَرَاكُمْ وَائِنِينَ <sup>(٩)</sup> فِي حَقِّكُمْ ، وَأَرَاهُمْ مَجْتَمِعِينَ ،  
وَأَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، وَأَرَاهُمْ لِصَاحِبِهِمْ مَعَاوِيَةَ مُطِيعِينَ ، وَأَرَاكُمْ لِي عَاصِينَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ  
ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ بَعْدِي ، لَتَجِدَنَّاهُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ ، كَأَنَّهُمْ وَاللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ شَارَكُوكُمْ

(١) أي انفراجا لا التمام بعده . (٢) عرق العظم عرقا . أكل ماعليه من اللحم ، كتمعرقه .

(٣) يمزق . (٤) الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . (٥) السيوف ، نسبة إلى

مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . (٦) عظامها الرقيقة .

(٧) متصنين . (٨) من خبت النار ، أي سكنت وانطفأت . (٩) من وني : إذا فتر

في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكشون<sup>(١)</sup> كَشَيْشِ الضَّبَابِ ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويُحْيِفُونَ علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يَحْرِمُونَكم ويحجبونكم ، ويذنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان ، ولقيتم الذل والهوان ، ووقع السيفُ ، ونزل الخوفُ ، لنَدِمْتُمْ وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكّرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكار .

### ٣٢١ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ إن الله قد أكرمكم به كرامةً ما قبلتموها حقّ قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهْكُمْ في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُجَلِّين ، فوالله لكانكم صُمٌّ لا تسمعون ، وقلوبكم غُلْفٌ<sup>(٢)</sup> مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون . عبادَ الله أليس إنما عهدُكم بالجور والعدوان أمسٍ ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حقٍّ محرومٌ مشتومٌ عِرْضُهُ ، ومضروبٌ ظهْرُهُ ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلْتَقَى بالعراء<sup>(٣)</sup> ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولّوا نُجْرَ مِينٍ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجيبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين . »

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

(١) كش الضب كشيشا : صوت . (٢) جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى غلافا فهو

لا يعي . (٣) العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء .

### ٣٢٢ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف عليّ ، فبعث النعمان بن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر<sup>(١)</sup> فأغاروا عليها ، وبها عامل لعليّ في ثلثمائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بمفسر<sup>(٢)</sup> من مناسر أهل الشام أظلكم ، انجحر<sup>(٣)</sup> كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابه ، انجحر الضب في جحره ، والضب في وجارها<sup>(٤)</sup> ، المورور من غررتومه ، ولئن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء<sup>(٥)</sup> ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ؟ عني لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وضم لا تستمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .  
( تاريخ الطبري ٦ : ٧٧ )

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

### ٣٢٣ - صورة أخرى

منيت<sup>(١)</sup> بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ! لا أبالك ، ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يحجمكم ، ولا حجة تحمشمكم<sup>(٢)</sup> ؟ أفوم فيكم مستصرخا ، وأناديكم متفوتنا<sup>(٣)</sup> ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تكشف الأمور

(١) بلد على الفرات شمال الكوفة . (٢) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) من انجحر الضب : أي دخل جحره . (٤) الوجلار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها .

(٥) النجاء : السرعة في السير ، نجوت مجاء أي أسرعت وسبقت ، وقالوا : النجاء النجاء ، والنجاء النجاء

فدوا وقصروا . (٦) بليت . (٧) تفضبكم . (٨) قاتلا واغوثاه .



عن عواقب المساءة؟ فما يُدركُ بكم نأر، ولا يُبلغُ بكم مَرَام؟ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ، فَجَرَّجَرْتُمْ<sup>(١)</sup> جَرَّجَرَةَ الْجَلِّ الْأَسْرِّ<sup>(٢)</sup> وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ<sup>(٣)</sup> الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ<sup>(٤)</sup> ضَعِيفٌ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ». (نهج البلاغة ١ : ٤٦)

### ٣٢٤ - خطبة الامام وقد أغار الضحاک بن قيس على الحيرة<sup>(٥)</sup>

ووجه معاوية الضحاک بن قيس فأغار على الحيرة وغنم أموال أهلها ، وبلغ ذلك علياً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :

« أيها الناسُ المجتمعَةُ أبدانهم ، المختلفةُ أهواؤهم ، كلامُكم يُوهي الصمَّ<sup>(٦)</sup> الصَّلابَ ، وفعلُكم يُطمِعُ فيكم الأعداءَ ، تقولون في المجالسِ كَيْتَ وَكَيْتَ<sup>(٧)</sup> ، فإذا جاء القتالُ قلمَ حَيْدِي حَيَّادٍ<sup>(٨)</sup> ، ما عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَّاحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ<sup>(٩)</sup> ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ المَطُولِ<sup>(١٠)</sup> ، هِيَّاتِ لَا يَمْنَعُ الضَّمِيمَ الدَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ

- 
- (١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتِه ، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب .  
 (٢) المصاب بدء السرر ( بالتحريك ) ، وهو وجع في الكركرة ( رضى زور البعير ) .  
 (٣) النضو : البعير المهزول ، والأدبر : المدبور أى المجرّوح . (٤) جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاهبت الريح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته . (٥) شمال الكوفة . (٦) يوهى : يشق ويخرق ، والصم : جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت . (٧) بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . (٨) حيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنجى عن أيتها الحرب ، وهى نظيرة قولهم ( فيبى فيباح ) أى اتسمى . (٩) الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « بالضم ) والتعلة ( ككتبية ) ، والملة ( بالفتح ) ما يتمل به « ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفرد لها ولا بد أن تكون جمع أعلولة بالضم : كأضاليل وأحاجيب والأعيب . . الخ . والمعنى إن أقوالكم هذه تعمل بأباطيل لاجدوى لها . (١٠) مبالغة فى ما ملل .

الحقُّ إلا بِالجِدِّ ، أَى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخبب ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصِلٍ<sup>(١)</sup> ، أصبحتُ والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعِد العدو بكم ، ما بالكم ؟ ما دراؤكم ؟ ما طيبكم ؟ القومُ رجالُ أمثالكم ! أقولاً بغير علم ، وغفلةً من غير ورع ، وطمعاً فى غير حق ! » .

وزاد ابن قُتيبةَ فى الإمامة والسياسة :

« فرَّقَ الله بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من خيرٍ لى منكم ، وأعقبكم بعدى من شرِّ لكم منى ؛ أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً ، وسيقاً قاتلاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون بعدى فيكم سنةً ، تفرِّقُ جماعتكم ، وتبسِّكى عيونكم ، وتُدخلُ الفقر بيوتكم ، تَمْتَوْنَ والله عندها أن لورايتمونى ونصرتمونى ، وستعرفون ما أقول لكم عمَّا قليل .

استنفرتكم فلم تنفروا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأسمعتكم فلم تعوا ، فأنتم شهود كأغياب ، وصمُّ ذوو أسماع ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظكم بالموعظة النافعة ، وأحسكم على جهاد المُحلِّين<sup>(٢)</sup> ، الظالمةِ الباغين ، فما أتى على آخر قولى ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً<sup>(٣)</sup> عزين<sup>(٤)</sup> ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت<sup>(٥)</sup> أيديكم ، وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغةً عن ذكرها ، وشغلتموها بالأباطيل والأضاليل . » .

(نهج البلاغة : ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦ )

(١) سهم أفوق مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارِى عن النصل . (٢) أى الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . (٣) الحلق : محرّكة جمع حلقة ربسكون اللام) وحلقة القوم : الذين يجتمعون مستديرين . (٤) جمع عزة (بالكسر) : وهى الطائفة من الناس . (٥) دعاء عليهم : أى خسرتم ولا أصبتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أى انقصر كأنه لصق بالتراب .

## ٣٢٥ - خطبة الإمام

وقد أغار صفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معاوية سُفيان بن عَوْف الغامدي في جيش ، فأغاروا على الأنبار<sup>(١)</sup> وقتلوا عامل علىّ عليها وهو حَسَّان بن حسان البكري ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، وانتهى الخبر إلى علىّ فخرج مُغضِباً حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس فرقَى رِبَاوَةَ<sup>(٢)</sup> من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لبأسُ التقوى ، ودِرْعُ الله الحصينة ، وجَنَّتَهُ<sup>(٣)</sup> الوثيقة ، فمن تركه رغبةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذل ، وشمله البلاء ، ودِيَتْ<sup>(٤)</sup> بالصغار والقماءة<sup>(٥)</sup> ، وَضُرِبَ على قلبه بالإسهاب<sup>(٦)</sup> ، وأدبِلَ<sup>(٧)</sup> الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسيم الحسْف<sup>(٨)</sup> ، ومُنْعَ النِّصْفِ<sup>(٩)</sup> ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزؤم من قبل أن يغزؤكم ، فوالله ما غزى قوم قَطُّ في عُقْمِ<sup>(١٠)</sup> دارهم إلا ذلُّوا ، فنخذاذتم

(١) بلد على الفرات . (٢) الربوة والرباوة مثلثين : ما ارتفع من الأرض . (٣) وقابته . (٤) ذل ، وأصله من داث الشيء من باب باع : لان وسهل ومنه الديوث ، وهو الرجل الذي لاغيرة له على أهله ، والصغار : الذل . (٥) قأ : كجمع وكرم ، قامة : ذل وصغر . (٦) هكذا في رواية ابن أبي الحديد ، من أسهب بالضم : أى ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : (طبع الشام) بالأسداد . (٧) من أداله الله من عدوه : أى نصره عليه ، والباء في قوله « بتضييع الجهاد » للسببية . (٨) أى أولى الذل والضم ، وفي رواية المبرد « وسيمى الحسْف » بالإضافة ، والسيمي : العلامة . قال المبرد : هكذا حدثونا وأظنه سيم الحسْف : من قول الله عز وجل « يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » (٩) النصف بالكسر ويثلاث ، والنصف والنصفة محركين الإنصاف . (١٠) وسطها وأصلها .

وتوا كلمت وتُمل عليكم قولى ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شدت<sup>(١)</sup> عليكم الغارات ، ومُلِكت عليكم الأوطان ، هذا أخو غامد<sup>(٢)</sup> قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان ابن حسان البكرى ، ورجالاً منهم كثيراً ونساء ، وأزال خيلكم عن مسالِحهما<sup>(٣)</sup> .

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدخِل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة<sup>(٤)</sup> ، فَيُنزِعُ حِجْلها<sup>(٥)</sup> وقُلبها<sup>(٦)</sup> ، وقلائدِها ورُعْتها<sup>(٧)</sup> ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع<sup>(٨)</sup> والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرین<sup>(٩)</sup> ، مانال رجلاً منهم كلم<sup>(١٠)</sup> ، ولا أريق لهم دم ؛ فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، ما كان عندى فيه ملوماً ، بل كان به عندى جديراً .

يا عَجَباً كلَّ العَجَب ! عَجَبٌ يُمِيت القلب ، وَيَشغَل الفهم ، وَيُكثِر الأحزان ! من تَضَافِر<sup>(١١)</sup> هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حَقكم ، حتى أصبحتم غَرَضاً<sup>(١٢)</sup> تُرْمَوْنَ ولا تُرْمَوْنَ ، وَيُعَارُ عليكم ولا تُفِيرُونَ ، وَيُعْضى اللهُ عزَّ وجلَّ فيكم وترضون ، إذا قلت لكم اغزوم في الشتاء ، قلت هذا أوان قر<sup>(١٣)</sup> وصر ، وإن قلت لكم اغزوم

(١) شن الغارة عليهم : صبها من كل وجه ، من شن الماء على رأسه إذا صب .  
(٢) يريد سفيان بن عوف الغامدى قائد الحملة على الأنبار . (٣) جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر .  
(٤) المعاهدة : ذات العهد ، وهى النمية . (٥) الحجل بالكسر والفتح : الخللخال ؛ وهى القيد حجل لأنه يكون مكان الخللخال . (٦) القلب : سوار المرأة . (٧) الرعثة بالفتح : القرط ، والجمع رعاث بالكسر ، وجمع الجمع رعث بضمين . (٨) قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .  
(٩) أى تامين ، وفى رواية المبرد : « موفورين » أى لم ينل أحداً منهم بأن يرزأ فى بدن ولا مال .  
(١٠) جرح . (١١) تعاون وتناصر . (١٢) وفى رواية نهج البلاغة : « فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيثا يئيب » والترح : محرقة الهم ، والغرض : الهدف . (١٣) القر مثلثة القاف : البرد ، والصر : شدة البرد . وفى النهج : « وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلت هذه صبارة القر ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد الراء : شدة برده .

في الصيف ، قلم هذه حجارة<sup>(١)</sup> القَيْظ ، أَنْظِرْنَا<sup>(٢)</sup> يَنْصَرِمِ الحرعنا ، فإذا كُنتم من الحرِّ والبرد تفرُّون ، فأنتم والله من السيف أفرُّا يا أشباه الرجال ولا رجال ، وَيَا طَعَامَ<sup>(٣)</sup> الأحلام ! وَيَا عقول رَبَّاتِ الحِجَالِ<sup>(٤)</sup> ، لَوَدِدْتُ أنى لم أركم ولم أعرفكم ، مَعْرِفَةُ اللهِ جَرَّتْ ندمًا ، وأعقت سَدَمًا<sup>(٥)</sup> ! قاتلسكم الله ! لقد ملأتم قلبي قَيْحًا<sup>(٦)</sup> ، وشحنتم صدرى غَيْظًا ، وَجَرَّ عَتْمُونِي نَعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا<sup>(٧)</sup> ، وأفسدتم على رأبي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قریش : إن ابن أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا رأى له في الحرب الله دَرَمٌ<sup>(٨)</sup> ! ومن ذا يكون أعلم بها منى ، أو أشدَّ لها مِرَاسًا ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نَيْفَتْ<sup>(٩)</sup> اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطَاع ( يقولها ثلاثًا ) .

فقام إليه رجل ومعه أخوه<sup>(١٠)</sup> فقال :

« يا أمير المؤمنين أنا وأحى هذا ، كما قال الله تعالى : ( رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي

(١) شدة الحر . (٢) أى أهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفي رواية النهج « أهلنا يسبخ عنا الحر » بتشديد الباء المفتوحة : أى يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد سبخ عنه ، ومنه قولهم : اللهم سبخ عنى الحمى : أى خففها . (٣) أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده . والأحلام العقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضا على حلوم ، وفي رواية النهج : « حلوم الأطفال » . (٤) الحجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهى القبة ، وموضع يزين بالستور والثياب للعروس - كناية عن النساء . (٥) السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . (٦) القيج : ما يكون فى القرحة من صديدها ، وشحنتم : ملأتم ، وفي رواية الكامل : « ولقد ملأتم جوفى غيظا » . (٧) النعب : جمع نعبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهمام : الهم ، وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع فى الإناء نفسين أو ثلاثة . (٨) لله دره : أى عمله ، والدر أيضا : اللبن ، أى لله اللذى الذى رضعه ، وهو تعجب أريد به التهمك ، وفي رواية النهج : « لله أبوهم » ! (٩) نيفت : زدت ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرفت على الستين » أى زدت أيضا . (١٠) الرجل وأخوه : يعمران بابن عفيف من الأنصار .

وَأَخِي ( فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ جَهْرَ الْغَضَا<sup>(١)</sup> ) ، وَشَوْكَ الْقَتَادِ<sup>(٢)</sup> ) « فَدَعَا لَهَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

( نهج البلاغة ١ : ٣٥ ، الكامل للمبرد ١ : ١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٥ ، والأغانى ١٥ : ٤٣ )

## ٣٢٦ — خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتلَّ الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إِنْ اللَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا اخْتَارَ لَهُ نَفْسًا وَرَهْطًا وَبَيْتًا ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، إِلَّا نَقَصَهُ اللَّهُ مِنْ عَمَلِهِ مِثْلَهُ ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ إِلَّا وَتَكُونُ لَنَا الْعَاقِبَةُ ، وَتَلْعَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ . » ( مروج الذهب ٢ : ٥٣ )

## ٣٢٧ — خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إِلَى مَعَاوِيَةَ هَلَاكُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ<sup>(٣)</sup> ، قَامَ فِي النَّاسِ خُطْبِيًّا ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

(١) شجر جمره يبق طويلا . (٢) شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر ففسدت عليه ، وخرجت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأنت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجليستار ( رجل من أهل الخراج ) ، فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، ( وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة ) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى =

« أما بعد : فإنه كانت لعلی بن أبی طالب یدان یمینان ، قَطِعتَ إحداهما یوم صفرین  
( یعنی عمار بن یاسر ) ، وقَطِعتَ الأخرى الیوم ( یعنی الأشتر ) » .

( تاریخ الطبری ٦ : ٥٤ )

---

= إلى القلزم استقبله الجایستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل به  
الأشتر ، وسأل الدهقان : أى الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عملا قد جعل فيه سما  
وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فا استقرت فی جوفه حتى ثلث ، وأتى من كان معه  
عل الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك علیا ، فقال : « للیدین والفم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنودا  
منها العسل » .

## فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى البصرة فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يرون رأينا في عثمان ، وَيُعْظِمُونَ قِتْلَهُ ، وقد قُتِلُوا فِي الطلَب بدمه ، فهم مَوْتُورُونَ حَفِيقُونَ لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَذُؤَا لَوْ يَجِدُونَ مِنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطلَب بدم عثمان ، ودفَع إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمْرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ <sup>(١)</sup> ، فُضِيَ حَتَّى نَزَلَ البصرة فِي بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ البصرة ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عُثْمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رَهْوسُ أَهْلِهَا .

---

(١) وكان الذي سدد لمعاوية رأيه في تمريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صهار العبدى ، وفيه : « أما بعد : فقد بلغنا وقتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعا وبغيا ، فقررت بذلك العيون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ، ولسك موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا ذكيا ذا عفاف ودين إلى الطلَب بدم عثمان فعلت ، فإن لا إخال الناس إلا مجمعين عليك ، وإن ابن عباس غائب عن المصر والسلام » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فمررت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . رحمك الله وسددك ، اثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أطل عليك ، فمررت وحييت والسلام » .



### ٣٢٨ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان ، قتله على بن أبي طالب ظلماً ، فطلبتم بدمه ، وقاتلتهم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أصيب منكم الملاء الأخيار ، وقد جاءكم الله بإخوان لكم ، لهم بأسٌ يُتَّقَى ، وعددٌ لا يُحصى ، فلقوا عدوكم الذين قتلوكم ، فبلغوا الغاية التي أرادوا صابرين ، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا ، فالنوم<sup>(١)</sup> وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ، ليشفوا صدوركم من عدوكم . »

### ٣٢٩ - خطبة الضحاک بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحاک بن عبد الله الهلالي فقال :

« قَبَّحَ اللهُ ما جِئْتَنَا بِهِ ، وما دعوتنا إليه ، جئتنا والله بمنزل ما جاء به صاحبك : طلحة والزبير ، أتينا وقد بايعنا علينا واجتمعنا له ، فكلمتنا واحدة ، ونحن على سبيل مستقيم ، فدعوانا إلى الفرقة ، وقاما فينا بزُخرف القول ، حتى ضربنا بعضنا ببعض عدواناً وظلماً ، فاقتلنا على ذلك ، وإيم الله ما سلطنا من عظيم وبال ذلك ، ونحن الآن مُجْمِعُونَ على بيعة هذا العبد الصالح ، الذي أقال العثرة ، وَعَقَا عن المسيء ، وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا ، أفنأمرنا الآن أن نختلع أسيفنا من أعماها ، ثم يضرب بعضنا بعضاً ، ليكون معاوية أميراً ، وتكون له وزيراً ، ونعدل بهذا الأمر عن علي ؟ والله ليؤم من

(١) ساعدوهم .

أيام على مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، خيرٌ من بلاء معاوية وآل معاوية ، لو بقوا في الدنيا ، ما الدنيا باقية<sup>(١)</sup> .

فقام عبد الله بن حازم السلمى ، فقال للضحاك : « اسكت فلست بأهل أن تتكلم في أمر العامة » ثم أقبل على ابن الحضرمي ، فقال : « نحن يدك وأنصارك . والقول ما قلت ، وقد فهمنا عنك ، فادعنا أنى شئت » فقال الضحاك لابن حازم : « يا ابن السوداء<sup>(٢)</sup> ، والله لا يعزُّ من نصرت ، ولا يذلُّ بحذِّ لانك من خذلت » فذشاما .

### ٣٣٠ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التيمي فقال :

« عباد الله : إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تتمتلوا وتتنازوا<sup>(٣)</sup> ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤوا شعشعكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحماً الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذى يقرأ عليكم . »

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف بن قيس : « أما أنا فلا ناقة لى فى هذا ولا جمل<sup>(٤)</sup> » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا ببعثكم ، ففتح

(١) ما : ظرفية ، أى مادامت الدنيا باقية . (٢) وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها عجل .

(٣) التبز : محركة اللقب ، والتناز : التعارض والتداعى بالألقاب . (٤) أصل المثل للحارث

ابن عباد البكرى حين قتل جساس بن مرة كلييا ، وهاجت الحرب بين بكر وتغلب ( حرب البسوس ) وكان

الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة .

بكم واقعة ، وتصيبكم قارعة<sup>(١)</sup> ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبثون الناصحين .

\* \* \*

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد ابن أبي بكر - فأفزع ذلك زيادا وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشراطاً .

### ٣٣١ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابن الحضرمي فيكم ، لم أطع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد - في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى القلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحت فيكم مضموناً ، وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقيمتكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تمعدون إلا على النجدة ، ولا تعذرون على الجبن . »

### ٣٣٢ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على عليّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم<sup>(١)</sup> له ذلّ ، وَخِذْلَانِكُمْ إياه عار ، وأنتم حتىّ مضاركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم فسبروا بصاحبكم ، وإن استمدّوا معاوية فاستمدّوا عليّاً عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعوم . »

### ٣٣٣ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يوم الجمل نمنع مصرّنا ، ونطّيع أمنا ، ونطلب دم خليفتنا المظلوم ، نجدّنا في القتال ، وأقمنا بعد انهزام الناس ، حتىّ قُتِلَ منا من لا خير فينا بعده ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليّ ما نخاف من معاوية ، فهبّوا لنا أنفسكم ، وامنعوا جاركم ، أو فأبلفوه مأمّنه . »  
فقال الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجبروه .

### ٣٣٤ - خطبة الإمام علي

واستنفر عليّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال :

(١) أسلمه : خذله .

« أليس من العجب أن ينصرني الأزدي<sup>(١)</sup> ، وَتَحَذُّنِي مُضَرَ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ نَمِيمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَمِيمِ الْبَصْرَةَ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَجِدَّ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصَ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلَمَّا بَدَأَتْ وَالْحَرْبَ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ صُمَّاً بُلْكَماً ، لَا يَفْقَهُونَ حِوَاراً ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا<sup>(٢)</sup> ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْأَمِّ<sup>(٣)</sup> ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلْمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ<sup>(٤)</sup> تَصَاوُلَ الْفُجْحَيْنِ يَتَخَالَسَانِ<sup>(٥)</sup> أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْيَمُونِ ، فَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا ، وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُونَا الْكَيْتَ<sup>(٦)</sup> ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقَمِيًّا جِرَانَهُ<sup>(٧)</sup> ، وَمَتَّبَعُونَا أَوْطَانَهُ ، وَلِعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيْمَ اللَّهُ لَتَحْتَبِئِبَهَا دَمًا<sup>(٨)</sup> ، وَلَتُنْدَبِعَهَا نَدْمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْيُنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ<sup>(٩)</sup> فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبَ ، وَأَنْكَفَلَ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْخَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

(١) هم من العرب اليمانيين . (٢) قتلهم الأقارب في ذات الله كثير ، قتل على عليه السلام الجهم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شبيهة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . (٣) لقم الطريق : الجادة الواضحة منها . (٤) التصادول : أن يصول كل من القرنين على صاحبه . (٥) التخالس : التسالب ، أي يبغي كل أن يسلب روح الآخر . (٦) الإذلال . (٧) جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالبعير يلتقي جرانه على الأرض . (٨) يقال لمن أسرف في الأمر : تحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الخالب الدم . (٩) مجاشع بن دارم : أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة يوم الجمل .

### ٣٣٥ - خطبة أعين بن ضبيعة

فلما قدمها دخل على زياد ، وهو بالأزد مقيم فأخبره بأسره ، ثم خرج فأتى رحله ، فجمع إليه رجالا من قومه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا قوم : على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتَهْرَيْقون دماءكم ، على الباطل مع السفهاء الأشرار ؟ وإني والله ما جئتكم حتى عُيِّبَت إليكم الجنود ، فإن تَنبَّهوا إلى الحق يُقبل منكم وَيُكَفَّ عنكم ، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم » .

فقالوا بل نسمع ونطيع ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي وواقفهم عامة يومه يناشدهم الله ويقول : « يا قوم لا تنكثوا بيمينكم ، ولا تُخالفوا إمامكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكمُ بيمينكم وخلافكم » .

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

### ٣٣٦ - خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، ففاجاه ساعة وسأله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خَيْرًا ، ما أعظم غناكم<sup>(١)</sup> ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم

(١) أي كفايتكم ونعمكم .

لأميركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيَّعَهُ من أنكره ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه «  
ثم قرأ عليهم كتاب عليّ عليه السلام ، فقام صَبْرَةَ بن شيان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ،  
ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حَرْبٌ ، ولبن سالم سَلِمٌ ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك  
فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم  
يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

### ٣٣٧ - خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمسِ سلما ، فأصبحوا اليوم حربا ، وإنكم  
كنتم حربا فأصبحتم سلما ، وإنى والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا  
على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتموني ، حتى نصبتُم لي منبرا وسريرا ، وجعلتم لي شُرطا  
وأعوانا ، ومُناديا وجمعة ، فما فقدتُ بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم لا أجيبه اليوم ، فإن لم  
أجبهِ اليومَ أجبهِ غداً إن شاء الله ، واعلموا أن حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا  
والدين من حربكم أمسِ عليّا ، وقد قدّمَ عايكم جاريةً بن قدامة ، وإنما أرسله عليّ ليصدع  
أمر قومه ، والله ما هو بالأمر المطاع ، ولو أدرك أمّله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكان  
لي تبعًا ، وأنتم الهامة العظمى ، والجمرة الحامية ، فقدّموه إلى قومه ، فإن اضطرُّ إلى  
نصركم ، فسيروا إليه إن رأيتم ذلك » .

## ٣٣٨ - خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسّيء ، والتوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها حرام ، وجروحها قصاصٌ ونحن معك نحبُّ ما أحببت . »

فمجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا . »

## ٣٣٩ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمس يوم الجمل ، وإنا لندرجو اليوم أن يُمحصَّ<sup>(١)</sup> ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين . وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أدركنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غداً إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلينا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب عليّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوعك . »

(١) من محص الذهب بالنار كقطع : أخلصه ما يشوبه .



## ٣٤٠ - خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سربنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينا بمفونا<sup>(١)</sup> دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس . »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بني تميم أن هزموم ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرق جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا ، وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

(شرح ابن أبي الحديد : ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة : ١ : ٥٣)

## ٣٤١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على تكريم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتابا صُحْبَةَ صَعْصَعَةَ بن صُوحان ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأنى باب معاوية ، فقال لِأَذْنِهِ ، اسْتَأْذِنَ لِرَسُولِ أمير المؤمنين على بن أبي طالب - وبالباب جماعة من بني أمية - فأخذته النعال والأيدي ، لقوله « أمير المؤمنين » ، وكثرت عليه الجلبة ، فاتصل ذلك بمعاوية ، فأذن له ، فدخل عليه ،

(١) المفو : الزيادة .

فقال : السلام عليك يا ابن أبي سُفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنّه لو كانت الرسل تُقتلُ في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طيناً أو تكلفاً ، فقال له بمن الرجل ؟ قال من نزار ، قال وما كان نزار ؟ قال كان إذا غزا انكش<sup>(١)</sup> ، وإذا لقي افترش<sup>(٢)</sup> ، وإذا انصرف احترش<sup>(٣)</sup> ، قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان يطيل النجّاد<sup>(٤)</sup> ، ويعول العباد ، ويضرب ببقاع الأرض العمّاد . قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من جديلة ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المكرّمات غيثاً نافعاً ، وفي اللقاء لهباً ساطعاً ، قال فمن أيّ أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حسناً أبيض<sup>(٥)</sup> وهاباً ، يقدم لضيفه ما وجد ، ولا يسأل عما فسد ، كثير المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال ويحك يا ابن صوحان ! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً ؟ قال بلى والله يا ابن أبي سُفيان ؟ تركت لهم ما لا يصلح إلّا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر<sup>(٦)</sup> ، والسرير والمنبر<sup>(٧)</sup> ، والملك إلى المحشر . ففرح معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، قال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صمصمة ما أراد ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد<sup>(٨)</sup> ، بعدتم عن أنف<sup>(٩)</sup> المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويلك يا ابن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ،

(١) انكش وتكش : أسرع ، والكيش : الرجل السريع . (٢) افترش فلانا : غلبه وصرعه .

(٣) احترش الشيء : جمعه وكسبه . (٤) حائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

(٥) أي أبيض اللون كناية عن أنه حر لارقيق ، أو أبيض العرض نقيه . (٦) الأحمر : الذهب ،

والأبيض : الفضة (والسيف أيضا) والأصفر : الذهب . كناية عن الغنى والثروة (وقد كان لقريش

في الجاهلية مركز تجارى هام) . (٧) كناية عن الملك والمقدرة الخطابية . (٨) أورد إبله الماء

وأصدرها : ردها وأرجعها . (٩) روضة أنف : لم ترع .

ذلك لبني هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صعصعة : الوعد ببني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المناجزة<sup>(١)</sup> ، فقال معاوية لشيء ما سوّده قومه ، ودِدْتُ أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بنى أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال !

( صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧ )

## ٣٤٢ - صورة أخرى

وروى أبو على القالى هذا الخبر فى الأمالى بصورة أخرى ، قال :

« دخل صعصعة بن ضوحان على معاوية أول ما دخل عليه - وقد كان يَبْتُلُغ معاوية عنده فقال معاوية : بمن الرجل ؟ فقال رجل من نزار ، قال وما نزار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش<sup>(٢)</sup> ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لَبِقَ افترش ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال كان يغزو بالخليل ، ويُغِيرُ بالليل ، ويجود بالنَّيْل ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر<sup>(٣)</sup> ، قال : وما أمهر ؟ قال : كان إذا طلب أفضى<sup>(٤)</sup> ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى<sup>(٥)</sup> قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جديلة قال : وما جديلة ؟ قال : كان يُطِيلُ النَّجَاد ، وَيُمِدُّ الجِيَاد ، وَيُجِيدُ الجِلَاد ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من دُعِمَى ، قال : وما دُعِمَى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى

(١) وفى مروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاورة » والوارد فى الأمثال : « المناجزة قبل

المناجزة » أى المسالمة قبل المماثلة فى القتال ، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . (٢) لم أجد

هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وأرى أنها محرفة عن ( احترش ) كما ورد فى رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف

تأليف الجمل فى الروایتين . (٣) وفى نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ » . (٤) أفضى إلى

الشيء : وصل إليه . (٥) أنضى بغيره : هزله ، وأنضى الثوب : أبلاه .

قَالَ : وَمَا أَفْصَى ؟ قَالَ كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتُ <sup>(١)</sup> ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتُ ، وَيَحْمِي الْجَارَاتُ ، قَالَ :  
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ : وَمَا عَبْدُ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : أَبْطَالٌ ذَادَةٌ <sup>(٢)</sup> ،  
 جَحَاجِحَةٌ <sup>(٣)</sup> سَادَةٌ ، صِنَايِدُ قَادَةٌ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَفْصَى ، قَالَ : وَمَا  
 أَفْصَى ؟ قَالَ : كَانَتْ رِمَاحُهُمْ مُشْرَعَةً <sup>(٤)</sup> وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً <sup>(٥)</sup> ، وَجِفَانُهُمْ مُفْرَعَةً ، قَالَ :  
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ لُكَيْزٍ ، قَالَ : وَمَا لُكَيْزٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ ،  
 وَيَمَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَجَلٍ ، قَالَ :  
 وَمَا عَجَلٌ ؟ قَالَ : اللَّيْثُ الضَّرَّاعِمَةُ <sup>(٦)</sup> ، الْمَلُوكُ الْقَمَاقِمَةُ <sup>(٧)</sup> ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ <sup>(٨)</sup> ، قَالَ :  
 فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ كَعْبٍ ، قَالَ : وَمَا كَعْبٌ ؟ قَالَ : كَانَ يُسَمَّرُ <sup>(٩)</sup> الْحَرْبَ ،  
 وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ الْكَرْبَ ، قَالَ : فَمِنْ أَىِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَالِكٍ ،  
 قَالَ : وَمَا مَالِكٌ ؟ قَالَ : هُوَ الْهَمَامُ لِلْهَمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ لِلْقَمَامِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ . مَا تَرَكْتُ لِهَذَا  
 الْحَيِّ مِنْ قَرِيضٍ شَيْئًا ، قَالَ : بَلْ تَرَكْتُ أَكْثَرَهُ وَأَحَبَّهُ ، قَالَ : وَمَاهُو ؟ قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمْ  
 الْوَبْرَ وَالْمَدْرَ <sup>(١٠)</sup> وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ <sup>(١١)</sup> ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ  
 وَالْمِنْبَرَ ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَسِيرًا قَالَ : وَأَنَا  
 وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَمِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَرُدُّ ، وَوَصَلَهُ وَأَكْرَمَهُ .  
 ( الْأَمْوَالُ ٢ : ٢٣٠ )

\* \* \*

- (١) القارات : جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير . (٢) جمع ذائد ، وهو المدافع .  
 (٣) جمع جحجج : وهو السيد ، كالجحجج . (٤) مسددة . (٥) مملوءة .  
 (٦) جمع ضرغام ، وهو الأسد . (٧) جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .  
 (٨) القروم ، جمع قرم : كشمم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، كجففر ، وهو الرجل  
 المسن ( كناية عن كثرة التجربة ) والأسد . (٩) سعر الحرب : كنع ، وسعرها : أوقدها .  
 (١٠) كناية عن البادية ، والمدر : المدن والحضر . (١١) شمار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ،  
 والشعيرة والشعارة بالفتح ، والمشمع موضعها ، والمشمع الحرام : بالمزدلفة .

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ، وكان قدِمَ عليه بكتاب علىّ ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما أخذ من مال الله فهو لى ، وما تركت منه كان جائزاً لى » فقال صعصعة :

مُتَمَتِّكَ نَفْسُكَ مَالاً يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَةَ لَا تَأْتِمُّ

فقال معاوية : يا صعصعة تملئت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يتجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبأل أمرِك ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخرُ نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بينى وبينك ؟ قال : الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير ، قال : اتسع بطن من لا يشبع<sup>(١)</sup> ، ودعا عليه من لا يجمع<sup>(٢)</sup> .

(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

(١) يعرض بمعاوية إذ كان مبطانا (أى أكلوا) وكان أيضا بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال فيه سيدنا على فى وقعة صفين :

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية  
(والخاوية ماتحوى من الأمعاء أى العظيم البطن) .

(٢) دعا عليه : معطوف على لايشبع : أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد بمن لا يجمع النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو ترميض آخر بمعاوية . أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة - ٤ : ٣٨٦ - قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء ، فحطاني حطاة - والحطو : تحريك الشيء مزعرا - وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فجئت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه » أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية .

### ٣٤٣ - تمة في الحكم<sup>(١)</sup>

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إن الله قرَنَ وعده بوعيده ليكون العبدُ راغباً راهباً . ليست مع العزَاءِ مُصِيبَةٌ . الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله . ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كن عليه : البِنَى ، واللَّتْكَ ، والمكْر . ذَلَّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة ، لا يكونن قولك لَنفوا في عفو ولا عقوبة . إذا فاتك خير فأدركه ، وإن أدركك شرٌّ فاسْبِغْهُ . إن عليك من الله عيوناً تراك . احْرِصْ على الموت تُوَهَّبْ لك الحياة - قاله لخالد بن الوليد حين بعته إلى أهل الرِّدَّة - رحم الله امرأً أعان أخاه بنفسه . أطوع الناس لله أشدَّهم بغضاً لمصيته . إن الله يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك ، إن أولى الناس بالله أشدَّهم تولياً له . لا تجعل سرك مع علانيتك ، فَيَمْرَجْ<sup>(٢)</sup> أمرك ، خير الخصلتين لك أبغضهما إليك . صنائع المعروف تقي مصارع السوء . »

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الولاة من شَقِيَّتْ به رعيتَه . اتقوا من تَبَغِضَهُ قلوبكم . أعقل الناس أعذرهم للناس . لا تؤجل عمل يومك لغدك . من لم يعرف الشرَّ كان جديراً أن يقع فيه . ما الخمرُ صِرْفاً بأذهبَ للمقول من الطمع . قلنا أدبر شيء فأقبل . مرُّ ذوى القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ، تَمَّضْ عن الدنيا عينك وَوَلِّ عُنْهَا قلبك . وإياك أن تُهْلِكَ كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعها ،

(١) فى كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه ، وفى نهج

البلاغة ، وشرح ابن أبى الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه فاقرأها هناك .

(٢) يفسد ويختلط .

وعاينت سوء آثارها على أهلها ، وكيف عَرِي من كَسْت ، وجاع من أطمعت ، ومات من أحييت . احتفظ من النعمة احتفاظك من المصيبة ، فوالله لى أخوهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك . الدنيا أمل مخترَم وأجل منتَقص ، وبلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرأ فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه واستقال ذنبه . إياكم والبِطْنة فإنها مَكْسَلَةٌ عن الصلاة ، مَفْسَدَةٌ للجوف ، مؤدية إلى السقم . رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى ، أفلح من حَفُظَ من الطمع والغضب والهوى نفسه .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ <sup>(١)</sup> اللهُ بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك . أنتم إلى إمام فَمَالٌ أحوج منكم إلى إمام قَوَالٍ - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه . »

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكَا . الحُرْمَانُ خير من الامتنان . مِلَاكُ أمرِك الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم . وجليتكم الوفاء . القِرابَةُ تُتَقَطَعُ . والمعروف يُكْفَرُ . ولم يُرَ كالمودة . لا تُتَمَارَسُ فيها ولا حلما . فإن السفية يؤذيك . والحليم يَقْلِيكُ <sup>(٢)</sup> . واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات . مأخوذ بالسيئات . »

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما ألدَّخان على النار بأدلَّ من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غنوم ، فما كان منها فى سرور فهو ربح . »

ومن كلام المغيرة بن شعبة :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجل الصئول<sup>(١)</sup> ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« الشؤد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة ، والشرف كف الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمني ، والفقر شره النفس » .

ومن كلام أبي ذر :

« إن لك في مالك شريكين : الحذنان<sup>(٢)</sup> والوارث ، فإن قدرت ألا تكون أخسّ الشركاء حظا فأفمل » .  
(مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤ )

---

(١) صئول الجمل : واثب الناس أو صار يقتلهم ويمدو عليهم . (٢) حدثان الدهر :

نوبه وأحدائه .



سقطت هذه الخطب سهوا في أثناء الطبع  
فأوردناها في آخر الجزء وهما هي ذى :

## خطب الوفود

بين يدي عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر<sup>(١)</sup> فقال :

٤٤٤ — خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غرة من خَلَقْنَا من قومنا ، وسادة من وراءنا من أهل مصرنا  
وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطينا ، والفرائض لعيبالاتنا ، يزدد بذلك الشريف  
تأميلا ، وتسكن لهم أبا وصولا ، وإن تكن مع ما نمت به<sup>(٢)</sup> من وسائلك ، ونُدلي به  
من أسبابك ، كالحلِ (٣) ، لا يحل ولا يُرْتَحَلُ ، نرجع بأنوف مصلومة<sup>(٤)</sup> ، وجدود

(١) في البيان والتبيين: ابن وكيع . (٢) نتوسل به . (٣) في البيان والتبيين « كالجِد »  
وفي نهاية الأرب « كالجِدل » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالجِدل » بجم مفتوحة ودال مكسورة ،  
وصف من الحدل بفتححتين : وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خلقة أو وجع لا يملك  
أن يقيمه . وارتحل البعير ورحله : حط عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل لعدم توازن  
العدلين عليه ، وكذا لا يحل من سركه لا يرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا ينتفع به ، فالمنى أنك إن لم تعطنا تكن  
كالبعير الحدل العديم الجدوى . (٤) المقطوعة من أصلها .

عائرة، فَمَحْنَا<sup>(١)</sup> وأهالينا بِسَجَلٍ مُتْرَعٍ<sup>(٢)</sup> من سِجَالِكَ المترعة « .

### ٣٤٥ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من أياديك ما تَسُدُّ به الخِصَاصَةَ ، وتطرد به الفاقة ، فإننا بَقِفُ<sup>(٣)</sup> من الأرض يابس الأكناف ، مُشْمَعِرِ الدَّرْوَةِ ، لا مُتَّجِرَ ولا زَرَعَ ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمراى ومسمع « .

### ٣٤٦ - خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرصُ قانِدُ الحِرْمَانِ ، فاتق الله فيما لا يُغْنِي عنك يوم القيامة قِيلاً ولا قِلاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المَمْتِاحِ<sup>(٤)</sup> ، فإن كل امرئٌ يجمع في وعائه إلا الأقل من عسى أن تقتحمه الأعين فلا يُوفدُ إليك « .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

(١) الميح : الإعطاء . (٢) المترع : الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . (٣) ما ارتفع

من الأرض كالقفة . (٤) استماحة : سأله العطاء . والامتياح : الإعطاء .

## ٣٤٧ - خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير، بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبارة ، ومنازل كسرى وقيصر وبنى الأصغر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان المخصبة في مثل حَوْلَاء السَّلَى<sup>(١)</sup> وحَدَقَة البعير الغاسقة<sup>(٢)</sup> ، تأتيمهم ثمارهم غَصَّة قبل أن تتغير ، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سَبِيخَة هشاشة ، زَعِقَة نَشَاشَة<sup>(٣)</sup> ، طَرَف في فلاة ، وطَرَف في ملح أجاج<sup>(٤)</sup> ، جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبِيخَة نَشَاشَة لا يحف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مَرَى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يَسْتَعْذِب<sup>(٥)</sup> الماء من فرسخين ، ويخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرَنِّق<sup>(٦)</sup> ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا فَعْمَة<sup>(٧)</sup> ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير ، وأشرفنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، ووقفنا<sup>(٨)</sup> صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا

(١) الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء ونزلوا في مثل حولاء الناقة . يريدون الحصب وكثرة الماء والخضرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .  
(٢) السوداء . (٣) هشاشة : يسيل ماؤها . سبيخة نَشَاشَة : لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها ، والسبيخة بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح . (٤) ملح مر . (٥) استعذب : امتق عذبا .  
(٦) الترنيق : إدامة النظر . (٧) مملئة (أى بساكنها) . (٨) مكيال .

في أرضنا ، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها ، فإلا ترفع  
خديستنا<sup>(١)</sup> وتنعش ركيستنا<sup>(٢)</sup> وتجبّر فافتنا وتزد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ،  
وتصفر<sup>(٣)</sup> درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بجفر نهر نستعذب به الماء ، هلكننا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت أسمعها بعدها .

( العقد الفريد ١ : ١١٦ ، وشرح العيون ٦٨ وتاريخ الطبري ٤ : ٢٠٩ )

انتهى الجزء الأول

وبليه

الجزء الثاني وأوله : الباب الثالث في خطب ووصايا

العصر الأموي

(١) رفعت من خسيسته : فعلت به فعلا فيه رفعته . (٢) الركن : قلب أول الشيء على آخره ،

وارتكس : ارتكس ووقع . (٣) صفره : صبغه بصفرة ، أى تبدلنا بالدرهم الأبيض دينا را أصفر

وتجعل فضتنا ذهباً .

# فهرس

## الجزء الأول

من جمهرة خطب العرب

## الباب الأول

### الخطب في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب		٩
مقال مرثد الخير .	١	١٠
» سبيع بن الحارث .	٢	١١
» ميثم بن مثوب .	٣	١١
» مرثد الخير .	٤	١٢
طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير .	٥	١٣
وفود العرب يعززون سلامة ذافائس بابت له مات		١٧
خطبة الملبب بن عوف .	٦	١٧
» جمادة بن أفلح .	٧	١٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير .	٨	١٨
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته :	٩	١٩
حديث بعض مقاول حمير مع ابنه وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه .	١٠	٢٠
إحدى ملكات اليمن وخاطبوها .	١١	٢٥
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى .	١٢	٢٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي .	١٣	٢٧
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني .	١٤	٣٣
قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي .	١٥	٣٢
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر .	١٦	٣٤
رد امرئ القيس عليه .	١٧	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني .	١٨	٣٧
خطبة عمرو بن كلثوم .	١٩	٣٧
أ كثم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه .	٢٠	٣٧
خطبة قس بن ساعدة الإيادي .	٢١	٣٨
قس بن ساعدة عند قيصر .	٢٢	٣٩
خطبة المأمون الحارثي .	٢٣	٣٩
بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان .	٢٤	٤٠
مناقرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين .	٢٥	٤١
أشراف العرب بين يدي كسرى		٤٦
مقال حذيفة بن بدر الفزاري .	٢٦	٤٦
مقال الأشعث الكندي .	٢٧	٤٧
مقال بسطام الشيباني .	٢٨	٤٧
مقال حاجب بن زرارة .	٢٩	٤٨
مقال قيس بن عاصم السعدي .	٣٠	٤٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود العرب على كسرى		٥٠
خطبة النعمان بن المنذر .	٣١	٥١
خطبة أ كثم بن صيفي .	٣٢	٥٦
خطبة حاجب بن زرارة .	٣٣	٥٧
خطبة الحارث بن عباد .	٣٤	٥٧
خطبة عمرو بن الشريد .	٣٥	٥٩
خطبة خالد بن جعفر الكلابي .	٣٦	٦٠
خطبة علقمة بن علاثة العامري .	٣٧	٦٠
خطبة قيس بن مسعود الشيباني .	٣٨	٦١
خطبة عامر بن الطفيل العامري .	٣٩	٦٢
خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي .	٤٠	٦٣
خطبة الحارث بن ظالم المري .	٤١	٦٣
مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر .	٤٢	٦٤
ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر .	٤٣	٦٦
ليبيد بن ربيعة يصف بقلة .	٤٤	٦٧
كلمات هند بنت الخس الإيادية .	٤٥	٦٨
خطبة كعب بن لؤي .	٤٦	٧٣
خطبة هاشم بن عبد مناف .	٤٧	٧٤
خطبة هاشم بن عبد مناف في قریش وخزاعة .	٤٨	٧٥
خطبة عبد المطلب بن هاشم .	٤٩	٧٦
خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة	٥٠	٧٧
خطب الكهان		٧٨
الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس .	٥١	٧٨
عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث .	٥٢	٧٩
كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم .	٥٣	٨٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أحمد كهان لليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة .	٥٤	٨١
خمسة نفر من طي ، يمتحنون سواد بن قارب الدوسي .	٥٥	٨٢
حديث مصاد بن مذعور القيني .	٥٦	٨٦
حديث خنافر بن التوعم الحميري مع رثيه شصار .	٥٧	٨٨
شافع بن كليب الصديقي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم	٥٨	٩٠
سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي .	٥٩	٩١
شق أنمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا .	٦٠	٩٣
وفود عبد المسيح بن بقميلة على سطيح .	٦١	٩٤
شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف .	٦٢	٩٧
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزي سلمة الكاهن .	٦٣	٩٨
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية .	٦٤	١٠٠
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم ، في منامه من حفر زمزم .	٦٥	١٠٩
<b>خطب الكواهن</b>		١٠٣
الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة .	٦٦	١٠٣
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب .	٦٧	١٠٥
حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام بن قضاة .	٦٨	١١٠
كاهنة ذى الخليفة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم .	٦٩	١١٢
رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادي .	٧٠	١١٣
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية .	٧١	١١٤
عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال .	٧٢	١١٥
<b>الوصايا</b>		١١٩
وصية أوس بن حارثة لابنه مالك .	٧٣	١١٩
وصية ذى الإصبع العدواني لابنه أسيد .	٧٤	١٢٠
وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .	٧٥	١٢١



رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٢٢	٧٦	وصية الحرث بن كعب لبنيه .
١٢٣	٧٧	وصية عامر بن الظرب لقومه .
١٢٤	٧٨	وصية دويد بن زيد لبنيه .
١٢٦	٧٩	وصية زهير بن جناب الكلبي .
١٢٦	٨٠	وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه .
١٢٧	٨١	وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط .
١٢٩	٨٢	وصية حصن بن حذيفة لبنيه .
١٣٠	٨٣	وصية لأكثم بن صيفى .
١٣٣	٨٤	وصية أكثم بن صيفى لطفى .
١٣٤	٨٥	وصية أكثم بن صيفى لبنيه ورهطه .
١٣٥	٨٦	نصيحة أكثم بن صيفى لقومه .
١٣٦	٨٧	أمثال أكثم بن صيفى وبرز جمهور الفارسي .
١٤١	٨٨	نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد .
١٤٢	٨٩	وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني .
١٤٥	٩٠	وصية أمامة بنت الحرث لابنتها أم إياس .

## الباب الثاني

### الخطب والوصايا

#### في عصر صدر الإسلام

١٤٧	خطب النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبعها
١	١٤٧ أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه .
٢	١٤٨ أول خطبة خطبها بالمدينة .
٣	١٤٨ خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة .

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له يوم أحد .	٤	١٤٩
خطبته بالخيف .	٥	١٥١
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٦	١٥١
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٧	١٥٢
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٨	١٥٢
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	٩	١٥٣
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٠	١٥٣
خطبته يوم فتح مكة .	١١	١٥٤
خطبته في الاستسقاء .	١٢	١٥٤
خطبته في حجة الوداع .	١٣	١٥٥
خطبته في مرض موته .	١٤	١٥٨
خطبة أكرم بن صيفي يدعوه قومه إلى الإسلام .	١٥	١٥٩
وصية أبي طالب لوجهه قريش عند موته .	١٦	١٦١
خطب الوفود بين يديه صلى الله عليه وسلم		١٦٣
خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٧	١٦٣
خطبة ثابت بن قيس بن الشماس .	١٨	١٦٣
عمرو بن الأهتم والزرقان بن بدر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٩	١٦٤
خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	٢٠	١٦٥
رده صلى الله عليه وسلم .	٢١	١٦٦
خطبة ظبيان بن حداد بين يديه صلى الله عليه وسلم .	٢٢	١٦٧
خطبة مالك بن نمط بين يديه صلى الله عليه وسلم .	٢٣	١٦٨
سفانة بنت حاتم بين يديه صلى الله عليه وسلم :	٢٤	١٦٩
وصية دريد بن الصمة .	٢٥	١٧٠
وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه .	٢٦	١٧١
وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه .	٢٧	١٧١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب يوم السقيفة		١٧٣
خطبة سعد بن عبادة .	٢٨	١٧٣
خطبة أبي بكر رضى الله عنه .	٢٩	١٧٤
نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة .	٣٠	١٧٥
خطبة الحباب بن المنذر .	٣١	١٧٦
خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .	٣٢	١٧٦
خطبة أخرى للحباب بن المنذر .	٣٣	١٧٧
خطبة بشير بن سعد .	٣٤	١٧٧
خطب أبي بكر الصديق ووصاياه		١٧٩
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم .	٣٥	١٧٩
خطبته بعد البيعة .	٣٦	١٨٠
خطبة أخرى له بعد البيعة .	٣٧	١٨١
خطبة أخرى .	٣٨	١٨٢
خطبة له .	٣٩	١٨٣
خطبة له .	٤٠	١٨٤
خطبة له .	٤١	١٨٥
خطبة له فى الأنصار .	٤٢	١٨٦
وصيته لأسامة بن زيد .	٤٣	١٨٧
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة .	٤٤	١٨٧
خطب الفتوح فى عهد أبى بكر		١٨٨
وصيته لخالد بن الوليد .	٤٥	١٨٨
خطبة خالد بن الوليد	٤٦	١٨٨
خطبة لأبى بكر فى ندب الناس لفتح الشام .	٤٧	١٨٩
فتح الشام — خطبة أبى بكر .	٤٨	١٩٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عمر	٤٩	١٩٠
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٥٠	١٩١
خطبة أبي بكر	٥١	١٩٢
خطبة خالد بن سعيد بن العاص	٥٢	١٩٢
خطبة ذى الكلاع .	٥٣	١٩٣
وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر .	٥٤	١٩٤
وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص .	٥٥	١٩٥
وصية أبي بكر لعمر بن العاص .	٥٦	١٩٥
وصية أخرى .	٥٧	١٩٦
وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان .	٥٨	١٩٦
وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان .	٥٩	١٩٧
دعاء أبي بكر .	٦٠	١٩٩
وصيته لشرحبيل بن حسنة .	٦١	١٩٩
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح .	٦٢	٢٠٠
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا .	٦٣	٢٠٠
خطبة أبي بكر .	٦٤	٢٠١
وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة .	٦٥	٢٠١
خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك .	٦٦	٢٠٢
خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك .	٦٧	٢٠٣
قصص معاذ بن جبل .	٦٨	٢٠٤
خطبة عمرو بن العاص .	٦٩	٢٠٤
خطبة أبي سفيان بن حرب .	٧٠	٢٠٥
وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته .	٧١	٢٠٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها .	٧٢	٢٠٦
خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها .	٧٣	٢٠٧
رثاؤها لأبيها	٧٤	٢١٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب عمر بن الخطاب رضی الله عنه		٢١١
خطبته حين ولى الخلافة .	٧٥	٢١١
خطبة أخرى .	٧٦	٢١١
خطبة له .	٧٧	٢١٢
خطبة له .	٧٨	٢١٢
خطبة أخرى .	٧٩	٢١٣
خطبة له .	٨٠	٢١٤
خطبة له .	٨١	٢١٥
خطبة له .	٨٢	٢١٧
خطبة له .	٨٣	٢١٧
خطبة له .	٨٤	٢١٨
خطبة له .	٨٥	٢١٨
خطبته عام الرمادة .	٨٦	٢٢٠
خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر .	٨٧	٢٢١
خطب الفتوح في عهد عمر		٢٢٢
في فتح فارس		
خطبة المثني بن حارثة الشيباني .	٨٨	٢٢٢
خطبة عمر .	٨٩	٢٢٢
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص .	٩١	٢٢٣
وصيته لسعد بن أبي وقاص .	٩٢	٢٢٤
وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا .	٩٣	٢٢٤
وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص .	٩٤	٢٢٥
وصيته للمجاهدين .	٩٥	٢٢٧
وصية عمر ليعلى بن أمية في إجلاء أهل نجران .	٩٦	٢٢٨
خطبة لعمر .	٩٧	٢٢٨
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	٩٨	٢٢٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات .	٩٩	٢٢٩
خطبة عاصم بن عمرو .	١٠٠	٢٣٠
خطبة طليحة بن خويلد الأسدي .	١٠١	٢٣٠
الخنساء تحرض أولادها على القتال .	١٠٢	٢٣١
خطبة عتبة بن غزوان .	١٠٣	٢٣٢
خطبة لسعد بن أبي وقاص .	١٠٤	٢٣٣
خطبة عمر .	١٠٥	٢٣٣
خطبة لعلي .	١٠٦	٢٣٤
خطبة طاحه بن عبيد الله .	١٠٧	٢٣٥
خطبة عثمان بن عفان .	١٠٨	٢٣٥
خطبة علي بن أبي طالب .	١٠٩	٢٣٦
خطبة النعمان بن مقرن .	١١٠	٢٣٧
خطب رجال من الفاتحين		٢٣٩
بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده		
خطبة النعمان بن مقرن .	١١١	٢٣٩
خطبة المغيرة بن زرارة .	١١٢	٢٤٠
مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس .	١١٣	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم .	١١٤	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة بندار .	١١٥	٢٤٣
خطبة عمر .	١١٦	٢٤٤
خطبة عثمان بن أبي العاص في فتح الشام .	١١٧	٢٤٤
بين الروم ومعاذ بن جبل .	١١٨	٢٤٦
بين أبي عبيدة ورسول الروم .	١١٩	٢٤٩
بين باهان وخالد بن الوليد .	١٢٠	٢٥٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
جواب خالد	١٢١	٢٥٢
خطبة عمرو بن العاص .	١٢٢	٢٥٤
خطبة عمر .	١٢٣	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٤	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٥	٢٥٦
خطبة عمر .	١٢٦	٢٥٦
وصية أبي عبيدة للمسلمين وقد أصابه طاعون عمواس .	١٢٧	٢٥٧
خطبة معاذ بن جبل .	١٢٨	٢٥٨
رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة .	١٢٩	٢٥٨
ابن العاص ومعاذ والطاعون .	١٣٠	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل .	١٣١	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل أيضا .	١٣٢	٢٦٠
خطبة عبادة بن الصامت .	١٣٣	٢٦١
خطبة شداد بن أوس .	١٣٤	٢٦١
خطبة أبي الدرداء .	١٣٥	٢٦٢
خطبة يزيد بن أبي سفيان .	١٣٦	٢٦٢
وصية العباس بن عبد المطلب .	١٣٧	٢٦٣
وصية عمر للخليفة من بعده .	١٣٨	٢٦٣
خطب يوم الشورى		٢٦٦
خطبة عبد الرحمن بن عوف .	١٣٩	٢٦٦
خطبة عثمان بن عفان .	١٤٠	٢٦٧
خطبة الزبير بن العوام .	١٤١	٢٦٧
خطبة سعد بن أبي وقاص .	١٤٢	٢٦٨
خطبة علي بن أبي طالب .	١٤٣	٢٦٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب عثمان بن عفان رضى الله عنه		٢٧٠
خطبته حين بايعه أهل الشورى .	١٤٤	٢٧٠
خطبته بعد البيعة .	١٤٥	٢٧١
خطبة أخرى .	١٤٦	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٧	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٨	٢٧٢
خطبته حين نقم عليه الناس .	١٤٩	٢٧٣
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة .	١٥٠	٢٧٤
خطبته في الرد على الثوار .	١٥١	٢٧٥
خطبته وقد اشتد عليه الحصار .	١٥٢	٢٧٦
آخر خطبة خطبها عثمان .	١٥٣	٢٧٦
خطبة الوليد بن عقبة .	١٥٤	٢٧٧
خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها .	١٥٥	٢٧٨
خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية .	١٥٦	٢٧٨
خطبة عبد الله بن مسعود .	١٥٧	٢٨٠
أبو زبيد الطائي يصف الأسد .	١٥٨	٢٨١
خلافة الإمام على كرم الله وجهه		٢٨٥
وصية على لقيس بن سعد .	١٥٩	٢٨٥
خطبة لقيس بن سعد .	١٦٠	٢٨٥
فتنة أصحاب الجمل		٢٨٦
خطبة طلحة .	١٦١	٢٨٦
خطبة السيدة عائشة بالمربد .	١٦٢	٢٨٦
خطبة لعلى .	١٦٣	٢٨٧
خطبة لعلى .	١٦٤	٢٨٨



الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أعلى .	١٦٥	٢٨٩
خطبة عدى بن حاتم .	١٦٦	٢٨٩
خطبة زفر بن زيد :	١٦٧	٢٩٠
خطبة على بالربذة :	١٦٨	٢٩١
خطبة سعيد بن عبيد الطائي .	١٦٩	٢٩٢
خطبة الحسن بن علي .	١٧٠	٢٩٣
خطبة الحسن بن علي .	١٧١	٢٩٣
خطبة عمار بن ياسر .	١٧٢	٢٩٤
خطبة أبي موسى الأشعري .	١٧٣	٢٩٥
صورة أخرى .	١٧٤	٢٩٦
صورة أخرى .	١٧٥	٢٩٧
خطبة زيد بن صوحان .	١٧٦	٢٩٧
خطبة القعقاع بن عمرو .	١٧٧	٢٩٨
خطبة سيحان بن صوحان .	١٧٨	٢٩٨
خطبة الحسن بن علي .	١٧٩	٢٩٩
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل .	١٨٠	٢٩٩
خطبة علي بن أبي طالب .	١٨١	٣٠١
خطبة علي بن أبي طالب .	١٨٢	٣٠٢
خطبة علي .	١٨٣	٣٠٣
خطبة الأشر .	١٨٤	٣٠٤
خطبة السيدة عائشة .	١٨٥	٣٠٥
خطبة علي .	١٨٦	٣٠٥
خطبة السيدة عائشة يوم الجمل .	١٨٧	٣٠٦
خطبة زفر بن قيس .	١٨٨	٣٠٧
خطبة جرير بن عبدالله البجلي .	١٨٩	٣٠٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة زياد بن كعب .	١٩٠	٣٠٨
خطبة الأشعث بن قيس .	١٩١	٣٠٩
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	١٩٢	٣٠٩
خطبة معاوية .	١٩٣	٣١٠
فتنة معاوية		٣١٢
استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه وقد أراد المسير إلى الشام		
خطبة الإمام علي .	١٩٤	٣١٢
خطبة هاشم بن عتبة .	١٩٥	٣١٢
خطبة عمار بن ياسر .	١٩٦	٣١٣
خطبة قيس بن سعد بن عبادة .	١٩٧	٣١٣
خطبة سهل بن حنيف .	١٩٨	٣١٤
خطبة الإمام علي .	١٩٩	٣١٤
خطبة الأشتر النخعي .	٢٠٠	٣١٥
مقال من ثبطوه عن المسير .	٢٠١	٣١٦
رد الإمام عليهم .	٢٠٢	٣١٦
خطبة عدى بن حاتم الطائي .	٢٠٣	٣١٧
خطبة زيد بن حصين الطائي .	٢٠٤	٣١٨
خطبة أبي زينب بن عوف .	٢٠٥	٣١٨
خطبة زيد بن قيس الأرجبي .	٢٠٦	٣١٩
خطبة زياد بن النضر .	٢٠٧	٣١٩
خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي .	٢٠٨	٣٢٠
أدب الإمام علي وكرم خلقه .	٢٠٩	٣٢١
مقال عمرو بن الحمق .	٢١٠	٣٢١

المخطبة أو الوصية	رقم المخطبة	رقم الصفحة
مقال حجر بن عدى .	٢١١	٣٢٢
مقال هاشم بن عتبة .	٢١٢	٣٢٢
خطبة الإمام على .	٢١٣	٣٢٤
خطبة الحسن بن على .	٢١٤	٣٢٥
خطبة الحسين بن على .	٢١٥	٣٢٥
خطبة عبد الله بن عباس .	٢١٦	٣٢٦
خطبة معاوية .	٢١٧	٣٢٧
وفد علىّ على معاوية		٣٢٨
خطبة بشير بن عمرو .	٢١٨	٣٢٨
خطبة شبت بن ربيعى .	٢١٩	٣٢٩
خطبة معاوية .	٢٢٠	٣٢٩
وفد علىّ على معاوية .		٣٣١
خطبة عدى بن حاتم .	٢٢١	٣٣١
جواب معاوية .	٢٢٢	٣٣١
خطبة يزيد بن قيس .	٢٢٣	٣٣٢
خطبة معاوية .	٢٢٤	٣٣٢
وفد معاوية إلى على		٣٣٥
خطبة حبيب بن مسلمة :	٢٢٥	٣٣٥
خطبة على بن أبى طالب .	٢٢٦	٣٣٦
التحريض على القتال من قبل معاوية		٣٣٨
خطبة عمرو بن العاص .	٢٢٧	٣٣٨
خطبة أخرى .	٢٢٨	٣٣٨
خطبة معاوية يحرّض أهل الشام .	٢٢٩	٣٣٩
خطبة ذى الكلاع الحميرى .	٢٣٠	٣٤٠
خطبة يزيد بن أسد البجلي .	٢٣١	٣٤٣

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
التحريض على القتال من قبل الإمام على		٣٤٥
خطبة الإمام على .	٢٣٢	٣٤٥
خطبة أخرى له .	٢٣٣	٣٤٦
ومن كلام له كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين .	٢٣٤	٣٤٧
خطبة أخرى للإمام على .	٢٣٥	٣٤٨
خطبة للإمام على .	٢٣٦	٣٤٩
خطبة أخرى له .	٢٣٧	٣٥٠
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٣٨	٣٥٠
خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي .	٢٣٩	٣٥٢
خطبة أبي الهيثم بن التيهان .	٢٤٠	٣٥٢
خطبة للإمام على .	٢٤١	٣٥٣
خطبة سعيد بن قيس .	٢٤٢	٣٥٤
خطبة يزيد بن قيس الأرحبي .	٢٤٣	٣٥٥
خطبة هاشم بن عتبة المرقال .	٢٤٤	٣٥٦
خطبة عمار بن ياسر .	٢٤٥	٣٥٧
خطبة الأشعث بن قيس .	٢٤٦	٣٥٨
خطبة الأشتر النخعي .	٢٤٧	٣٥٩
خطبة الأشتر النخعي في المنهزمين من الميمنة .	٢٤٨	٣٦٠
خطبة أخرى له فيهم .	٢٤٩	٣٦١
خطبة على فيهم وقد عادوا إلى موافقهم .	٢٥٠	٣٦٢
خطبة خالد بن معمر .	٢٥١	٣٦٣
خطبة عقبة بن حديد النمري .	٢٥٢	٣٦٣
خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد .	٢٥٣	٣٦٤
تحريض معاوية أيضا :	٢٥٤	٣٦٥
ماخطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين .	٢٥٥	٣٦٦

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
جواب قيس بن سعد .	٢٥٦	٣٦٧
خطب الشيعيات في وقعة صفين		٣٦٨
خطبة عكرشة بنت الأطرش .	٢٥٧	٣٦٨
خطبة أم الخير بنت الحريش .	٢٥٨	٢٦٩
خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية .	٢٥٩	٢٧٣
اختلاف أهل العراق في المواعدة		٣٧٥
خطبة الإمام علي .	٢٦٠	٣٧٥
خطبة كردوس بن هاني .	٢٦١	٣٧٥
خطبة سفيان بن ثور .	٢٦٢	١٧٦
خطبة جريث بن جابر .	١٦٣	٣٧٦
خطبة خالد بن معمر .	٢٦٤	٣٧٦
خطبة الحصين بن المنذر .	٢٦٥	٣٧٧
خطبة عثمان بن حنيف .	٢٦٦	٣٧٧
خطبة عدى بن حاتم .	٢٦٧	٢٧٩
خطبة عبدالله بن حجل .	٢٦٨	٣٨٠
خطبة صعصعة بن صوحان .	٢٦٩	٣٨٠
خطبة المنذر بن الجارود .	٢٧٠	٢٨١
خطبة الأحنف بن قيس .	٢٧١	٢٨١
خطبة عمير بن عطار .	٢٧٢	٢٨٢
خطبة علي بن أبي طالب .	٢٧٣	٣٨٢
مقال عدى بن حاتم .	٢٧٤	٣٨٢
مقال الأشتر النخعي .	٢٧٥	٣٨٣
مقال عمرو بن الحمق .	٢٧٦	٣٨٣
مقال الأشعث بن قيس .	٢٧٧	٣٨٣
مقال عبد الرحمن بن الحارث .	٢٧٨	٣٨٤
مقال عمار بن ياسر .	٢٧٩	٣٨٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
التحكيم بين عليّ ومعاوية		٣٨٦
كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٠	٣٨٦
وصية شريح بن هانيء لأبي موسى الأشعري .	٢٨١	٣٨٧
وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٢	٣٨٨
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٨٣	٣٨٩
رد عمرو بن العاص عليه .	٢٨٤	٣٨٩
مقال شرح حبيب بن السمط لعمر بن العاص .	٢٨٥	٣٩٠
خطبة أبي موسى الأشعري .	٢٨٦	٣٩٠
خطبة عمرو بن العاص .	٢٨٧	٣٩١
خطبة الإمام بعد التحكيم .	٢٨٨	٣٩١
خطبة الحسن بن علي .	٢٨٩	٣٩٢
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٠	٣٩٣
خطبة عبد الله بن جعفر .	٢٩١	٣٩٣
خطبة علي .	٢٩٢	٣٩٤
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٣	٣٩٤
خطبة علي .	٢٩٤	٣٩٥
خطبة علي .	٢٩٥	٣٩٦
خطبة لمعاوية .	٢٩٦	٣٩٧
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٩٧	٣٩٧
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٨	٣٩٨
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٩	٣٩٨
خطبة علي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر .	٣٠٠	٣٩٩
خطبة علي وقد بلغه مقتل محمد بن أبي بكر .	٣٠١	٤٠٠

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٤٠١		فتنة الخوارج
٤٠١	٣٠٢	مناظرة عبد الله بن عباس لهم .
٤٠٢	٣٠٣	مناظرة الإمام علي لهم .
٤٠٤	٣٠٤	صورة أخرى .
٤٠٦	٣٠٥	مناظرة ابن عباس لهم .
٤٠٨	٣٠٦	خطبة يزيد بن عاصم المخاربي .
٤٠٨	٣٠٧	خطبة عبد الله بن وهب الراسبي .
٤٠٩	٣٠٨	خطبة حرقوص بن زهير السعدي .
٤٠٩	٣٠٩	خطبة حمزة بن سنان الأسدي .
٤١٠	٣١٠	خطبة شريح بن أوفى .
٤١١	٣١١	مقال زيد بن حصين الطائي .
٤١٢	٣١٢	خطبة علي في تخويف أهل النهروان .
٤١٤	٣١٣	صورة أخرى .
٤١٥	٣١٤	خطبة المستورد بن علفة .
٤١٧		خوار أصحاب الإمام وتقا عسهم عن نصرته
٤١٧	٣١٥	خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة .
٤١٨	٣١٦	خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان .
٤١٨	٣١٧	مقال الأشعث بن قيس .
٤١٩	٣١٨	خطبة الإمام علي بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج يستنفر الناس لقتال معاوية .
٤٢٠	٣١٩	خطبة له أيضا في استنفارهم لقتال معاوية .
٤٢١	٣٢٠	صورة أخرى .
٤٢٣	٣٢١	خطبة أبي أيوب الأنصاري .
٤٢٤	٣٢٢	خطبة الإمام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر .
٤٢٤	٣٢٣	صورة أخرى .

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة الإمام وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة .	٢٢٤	٤٢٥
خطبة الإمام وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار :	٢٢٥	٤٢٧
خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة .	٢٢٦	٤٣٠
خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر .	٢٢٧	٤٣٠
فتنة البصرة		٤٣٢
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي .	٢٢٨	٤٣٣
خطبة الضحاك بن عبد الله الهلالي :	٢٢٩	٤٣٣
خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي .	٢٣٠	٤٣٤
خطبة زياد بن أبيه .	٢٣١	٤٣٥
خطبة شيان الأزدي .	٢٣٢	٤٢٦
خطبة صبرة بن شيمان .	٢٣٣	٤٢٦
خطبة الإمام علي .	٢٣٤	٤٢٦
خطبة أعين بن ضبيعة .	٢٣٥	٤٣٨
خطبة جارية بن قدامة .	٢٣٦	٤٣٨
خطبة زياد :	٢٣٧	٤٣٩
خطبة أبي صبرة شيمان .	٢٣٨	٤٤٠
خطبة صبرة بن شيمان .	٢٣٩	٤٤٠
خطبة خنفر الحماني .	٢٤٠	٤٤١
صعصة بن صوحان ومعاوية .	٢٤١	٤٤١
صورة أخرى .	٢٤٢	٤٤٣
تتمة في الحكم :	٢٤٣	٤٤٦
خطب الوفرد بين يدي عمر بن الخطاب		٤٤٩
خطبة هلال بن بشر :	٢٤٤	٤٤٩
خطبة زيد بن جبلة .	٢٤٥	٤٤٩
خطبة الأحنف بن قيس .	٢٤٦	٤٥٠
خطبة الأحنف بن قيس .	٢٤٧	٤٥٠



## فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

الأحنف بن قيس : ٣٨١ - ٣٨٨ -  
٤٥٠

الأشتر النخعي : ٣٠٤ - ٣١٥ - ٣٥٩  
٣٦٠ - ٢٦١ - ٣٨٣

الأشعث بن قيس الكندي : ٤٧ - ٣٠٩  
٣٥٨ - ٣٨٣ - ٤١٨

أعين بن ضبيعة : ٤٣٨

أكثم بن صيفي : ٣٧ - ٥٦ - ١٣٠  
١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٢٦

١٥٩

أمامة بنت الحرث : ١٤٥

أم الخير بنت الحرث : ٢٦٩

امرؤ القيس : ٣٦

أوس بن حارثة : ١١٩

(ب)

بسطام الشيباني : ٤٧

بشير بن سعد : ١٧٧

بشير بن عمرو : ٣٢٨

(١)

أبو أيوب الأنصاري : ٤٢٣

أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ١٧٤

١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥

١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩

١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٥ - ١٩٦

١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٥ - ٢٠٦

أبو زبيد الضائي : ٢٨١

أبو الدرداء : ٢٦٢

أبو زينب بن عوف : ٣١٨

أبو سفيان : ٢٠٥

أبو طالب بن عبدالمطلب : ٧٧ - ١٦١

أبو عبيدة بن الجراح : ٢٠٣ - ٢٤٩

٢٥٧

أبو موسى الأشعري : ٢٩٥ - ٢٩٦

٢٩٧ - ٢٩٠

أبو الهيثم بن التيهان : ٣٥٢

( خ )

خالد بن جعفر الكلابي : ٦٠  
خالد بن سعيد بن العاص : ١٩٢ - ١٩٤  
خالد بن معمر : ٣٦٣ - ٣٧٦  
خالد بن الوليد : ١٨٨ - ٢٠٢ - ٢٥٠ -  
٢٥٢

خنافر بن التوعم : ٨٨  
خنسر بن عبيدة : - ٣٦٤  
الخنساء : ٢٣١  
خنفر الجماني : ٤٤١

( د )

دريد بن الصمة : ١٧٠  
دويد بن زيد : ١٢٤

( ذ )

ذوالأصبع العدواني : ١٢٠  
ذوالكلاع الحميري : ١٩٣ - ٣٤٠

( ر )

ربيع بن عامر : ٢٤٢

( ز )

زبراء الكاهنة : ١١٠  
الزبير بن العوام : ٢٦٧  
الزرقاء بنت عدلى : ٣٧٣  
زفر بن زيد : ٢٩٠  
زفر بن قيس : ٣٠٧  
زهير بن جناب الكلبي : ١٢٦  
زياد بن أبيه : ٤٣٥ - ٤٣٩  
زياد بن كعب : ٣٠٨  
زياد بن النضر : ٣١٩

( ث )

ثابت بن قيس بن الشماس : ١٦٣

( ج )

جارية بن قدامة : ٤٣٨  
جرير بن عبد الله البجلي : ٢٢٩ -  
٣٠٨ - ٣٠٩

جماعة بن أفلق : ١٨  
الجمانة بنت قيس : ١٤١

( ح )

حاجب بن زرارة : ٤٨ - ٥٧

الحارث بن ذبيان : ١٣ - ١٦

الحارث بن ظالم المرى : ٦٣

الحارث بن عباد : ٥٧

الحارث بن كعب : ١٢٢

الحباب بن المنذر : ١٧٦

حبيب بن مسلمة : ٢٣٥

حجر بن عدلى : ٣٢٢

حذيفة بن بدر الفزاري : ٤٦

حرب بن أمية : ١٠٠

حرقوص بن زهير : ٤٠٩

حريث بن جابر : ٣٧٦

الحسن بن علي : ٢٩٣ - ٢٩٩ - ٣٢٥ -

٣٩٢ - ٤٣٠

الحسين بن علي : ٣٢٥

حصن بن حذيفة : ١٢٩

الحصين بن المنذر : ٣٧٧

خزعة بن سنان : ٤٠٩

حممة بن رافع الدومى : ١٨

(ص)

صبرة بن شيمان ٤٣٦ - ٤٤٠  
صمصعة بن صوحان : ٣٨٠ - ٤٤١ -  
٤٤٣

(ض)

الضحاك بن عبد الله الهلالي : ٤٣٣  
ضمرة بن ضمرة : ٦٦

(ط)

طريف بن العاصي : ١٣ - ١٦  
طريفة الكاهنة : ١٠٥  
طلحة بن عبيد الله : ٢٣٥ - ٢٨٦  
طليحة بن خويلد الأسدي : ٢٣٠  
طهفة بن أبي زهير النهدي : ١٦٥

(ظ)

ظبيان بن حداد : ١٦٧

(ع)

عائشة رضي الله عنها : ٢٠٧ - ٢١٠ -  
٢٨٦ - ٣٠٥ - ٣٠٦  
عاصم بن عمرو : ٢٣٠  
عامر بن جوين : ٢٧  
عامر بن الطفيل : ٤١ - ٦٢  
عامر بن الظرب : ١٨ - ١٩ - ١٢٣  
عبادة بن الصامت : ٢٦١  
العباس بن عبد المطلب : ٢٦٣  
عبد الرحمن بن الحرث : ٣٨٤  
عبد الرحمن بن عمير : ٤٣٤  
عبد الرحمن بن عوف : ١٩١ - ٢٦٦

زيد بن جبلة : ٤٤٩

زيد بن حصين الطائي : ٣١٨ - ٤١١

زيد بن صوحان : ٢٩٧

(س)

سبيع بن الحرث : ١١

سطيح الذئبي : ٩١ - ٩٤ - ٩٧

سعد بن أبي وقاص : ٢٢٩ - ٢٣٣ -  
٢٦٨

سعد بن عبادة : ١٧٣

سعيد بن العاص : ٢٧٨

سعيد بن عبيد الطائي : ٢٩٢

سعيد بن قيس : ٣٥٤

سفانة بنت حاتم : ١٦٩

سفيان بن ثور : ٣٧٦

سلمى الهمدانية : ١١٣

سهل بن حنيف : ٣١٤

سواد بن قارب : ٨٢

سيحان بن صوحان : ٢٩٨

(ش)

شافع بن كليب الصديقي : ٩٠

شيث بن ربيع : ٣٢٩

شداد بن أوس : ٢٦١

شرحبيل بن السمط : ٣٩٠

شريح بن أوفى : ٤١٠

شريح بن هاني : ٣٨٧

الشعثاء الكاهنة : ١٠٣

شق أنمار : ٩٣ - ٩٧

شيمان الأزدي : ٤٣٦ - ٤٤٠

- عبد الله بن بديل بن ورقاء : ٢٢٠ -  
٣٥٢  
عبد الله بن جعفر : ٣٩٣  
عبد الله بن حجل : ٣٨٠  
عبد الله بن الزبير : ٢٧٨  
عبد الله بن عامر الحضرمي : ٤٣٣  
عبد الله بن عباس : ٣٢٦ - ٢٥٠ -  
٣٨٧ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤٠١ -  
٤٠٦ - ٤١٧  
عبد الله بن مسعود : ٢٨٠  
عبد الله بن وهب : ٤٠٨  
عبد المطلب بن هاشم : ٧٦ - ١٠٠ -  
١٠١  
عتبة بن غزوان : ٢٣٢  
عثمان بن أبي العاص : ٢٤٤  
عثمان بن حنيف : ٣٧٧  
عثمان بن عفان رضي الله عنه : ٢٣٥ -  
٢٦٧ - ٢٧٠ - ١٧١ - ٢٧٢ -  
٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦  
عجفاء بنت علقمة : ١١٤  
عدي بن حاتم : ٢٨٩ - ٣١٧ - ٣٣١ -  
٣٧٩ - ٣٨٢  
عزى سلمة : ٩٨  
عصام الكندي : ١٤٢  
عطارد بن حاجب بن زرارة : ١٦٣  
عقراء الكاهنة : ١١٥  
عقبة بن حديد النمرى : ٣٦٣  
عكرشة بنت الأطرش : ٣٦٨  
علقمة بن علاثة : ٤١ - ٦٠ -  
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :  
٢٢٤ - ٢٣٦ - ٢٦٩ - ٢٨٥ -  
٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩١ -  
٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ -  
٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣٢٤ -  
٣٣٦ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ -  
٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٣ -  
٣٦٢ - ٣٧٥ - ٣٨٢ - ٣٩١ -  
٣٩٤ - ٢٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٩ -  
٤٠٠ - ٤٠٢ - ٤٠٤ - ٤١٢ -  
٤١٤ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ -  
٤٢١ - ٤١٤ - ٤٥ - ٤٢٧ -  
٤٣٦  
عمار بن ياسر : ٢٩٤ - ٣١٣ - ٣٥٧ -  
٣٨٤  
عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ١٧٦ -  
١٩٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ -  
٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ -  
٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ -  
٢٢٤ - ٢١٥ - ١٢٧ - ٢٢٨ -  
٢٢٣ - ٢٤٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -  
٢٦١  
عمرو بن الأهم : ١٦٤  
عمرو بن الحمق : ٣٢١ - ٣٨٣  
عمرو بن الشريد : ٥٩  
عمرو بن العاص : ٢٠٤ - ٢٥٤ -  
٣٣٩ - ٣٨٩ - ٣٩١  
عمرو بن كلثوم : ٣٧ - ١٢١  
عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٦٣

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ١٤٧ -

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ -

١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ -

١٦٦

مخالس بن مزاحم : ٦٤

مرة بن ذهل : ٤٠

مرثد الخير : ١٠ - ١٢

المستورد بن علفة : ٤١٥

مصاد بن مذعور القينى : ٨٦

معاذ بن جبل : ٢٠٤ - ٢٤٦ - ٢٥٨ -

٢٥٩ - ٢٦٠

معاوية بن أبى سفيان : ٣١٠ - ٣٢٧ -

٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٦٥ -

٣٨٩ - ٣٩٧ - ٤٣٠

المغيرة بن زرارة : ٢٤٠

المغيرة بن شعبة : ٢٤٢ - ٢٤٣

الملبب بن عوف : ١٧

المنذر بن الجارود : ٣٨١

مهلهل بن ربيعة : ٤٠

ميثم بن مثوب : ١١

( ن )

النعمان بن بشير : ٣٦٦

النعمان بن ثواب العبدى : ١٢٦

النعمان بن مقرن : ٢٣٧ - ٢٣٩

النعمان بن المنذر : ٥١

نفيل بن عبد الغزى :

عمير بن حبيب : ١٧١

عمير بن عطار : ٣٨٢

عوف بن ربيعة الأسدى : ٧٩

( ق )

قاصر بن سلمة : ٦٤

قبيصة بن نعيم : ٣٤

قس بن ساعدة : ٣٨ - ٣٩

القعقاع بن عمرو : ٢٩٨ - ٢٩٩

قيس بن خفاف البرجمى : ٣٢

قيس بن رفاعة : ٣٢

قيس بن زهير : ١٢٧

قيس بن سعد بن عبادة : ٢٨٥ - ٣١٣ -

٣٦٧

قيس بن عاصم السعدى : ٤٩

قيس بن عاصم المقرى : ١٧١

قيس بن مسعود الشيبانى : ٦١

( ك )

كاهن بنى الحارث بن كعب : ٨٠

كاهن ذو الخليفة : ١١٢

الكاهن الخزاعى : ٧٨

الكاهن اليمى : ٨١

كردوس بن هانى : ٣٧٥

كعب بن اوى : ٧٣

( ل )

لبيد بن ربيعة : ٦٧

( م )

المأمون الحارثى : ٣٩

مالك بن نط : ١٦٨

المنفى بن حارثة الشيبانى : ٢٢٢

محمد بن أبى بكر : ٣٩٨

( و )

الوليد بن عقبة : ٢٧٧

( ى )

يزيد بن أبي سفيان : ٢٦٢

يزيد بن أسد البجلي : ٣٤٣

يزيد بن عاصم المحاربي : ٤٠٨

يزيد بن قيس : ٣١٩ - ٣٣٢ - ٣٥٥

( هـ )

هاشم بن عبد مناف : ٧٤ - ٧٥

هاشم بن عتبة : ٣١٢ : ٣٢٢ - ٣٥٦

هانيء بن قبيصة الشيباني : ٣٧

هلال بن بشر : ٤٤٩

هند بنت الخلس الإيادية : ٦٨